مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

العدد التّاسع – فبراير 2024 م

نظرة في منهج
المعجم التاريخي للغة العربيّة

الخنساء..
أشعر شواعر العرب

إطلالة على مجمع
اللغة العربيّة الأردني

قراءة في كتاب
السياسة اللغويّة وموقع لغة الأمة

نسخة بي دي إف (PDF)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾

[فصلت ٤٤]

صدق الله العظيم

مُبشّرات بقاء العربيّة

لاتــزالُ العربيّة بخير، ولا يزالُ مستقبلُها واعدًا يبشّرُ بالخير العميم والبركة واليُمن، ومُبشّراتُ بقاء العربيّة وانتشارها وخلودها كثيرةٌ ومتنوّعةٌ، في مقدّمتها حملُها لكتاب الله تعالى الخالد، والمحفّزُ الذّاتيّ الذي يشعُرُ به كلّ متحدّثٍ بها وباحث في مناكبها.

وفي العدد التّاسع من مجلّة مجمع اللغة العربيّة الغرّاء، توافدت علينا موضوعات ومقالات متعدّدة المشارب، متنوّعة الأصباغ والألوان، كلٌّ يتغنّى بحبّ العربيّة، ويتغزّلُ بجمالها بأسلوبه الخاصّ في ميدان تخصّصه.

يطالعنا في هذا العدد جملةٌ من أخبار المجامع اللغويّة في عالمنا العربيّ، منها الملفّ الذي خصّصناه لمجمع اللغة العربيّة الأردنيّ الذي يُعدُّ مفخرة من مفاخر المؤسّسات والمنارات اللغويّة التّعليميّة في الأردنّ، حيث يستعرض العدد أهمّ المنجزات العلميّة التي قام بها المجمع من ملتقيات وندوات، والإصــدارات التي أصدرها مجمع الأردنّ منذ نشأته إلى الآن، مع ذكر أشهر أعلامه وجهابذة أقطابه.

ونجد على رأس أخبار المجامع تكريم صاحب السّموّ الشّيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي للفائزين بجائزة الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية في دورتها السادسة. هذه الجائزة اللغويّة الأكاديميّة التي لا تزالُ تجتذبُ إليها الأكاديميين اللغويين والباحثين في شتّى المجالات اللغويّة عامًا بعد عام، كما نجد في العدد وقفة مع خبر افتتاح مقرّ جديد لمجلس اللسان العربي في موريتانيا الذي هو ثمرة يانعة طيّبة من ثمرات الرّعاية التي يوليها حاكم الشارقة حفظه الله تعالى لمعاقل العلوم ومنارات الثقافة في الأقطار.

في ساحة البيان القرآني، قد سعد العدد التاسع بمقال رصين حول العلاقة الوطيدة بين النّحو والقرآن، وتحدّث الكاتب المغربي عبد المالك حسنيوي عن جُهُود القُرّاءِ في خِدْمَةِ عِلْمِ الأَصْوَاتِ العَرَبِيِّ حيث بيّن فضيلته الجهود والمباحث التي قدّمها القرّاء لعلم الأصــوات بخدمتهم للقراءات القرآنيّة.

في ميدان الأدب الخصب والدراسات النقديّة، قد حفل العدد التاسع بجملة من المقالات والدراسات منها: العُنْوَانُ: عَتبةٌ أم نصٌّ مُــوازٍ للدكتور رشيد الخديري، ناقش فيه العناصر الثلاثة: المبدع والنّصّ والقارئ، وسلّط الضوء على العنوان بوصفه مدخلا لقراءة النّصّ، كما ذكّرنا الكاتب كريم الطّيبي الأستاذ المحاضر في جامعة محمد الأول بالمملكة المغربية ببُكَائِيّة مَالِكِ بنِ الرَّيبِ في رثاءِ نفْسِه، مسلّطا الأضواء النّقديّة الكاشفة حول الجماليّات التي تتّسم بها هذه القصيدة الرّثائيّة العاطفيّة التي استطاعت أبياتها بما تحمل من صدق في المشاعر وصواب في الفِكَر وتوفيق في المعالجة أن تنتزع قصب السَّبق في الخلود الأدبي على مدار قرون من الزّمن.

وفي ميدان المعجميّات، يطالعنا العدد بمقال بعنوان: نظرة في منهج المعجم التّاريخي للغة العربيّة، بقلم الدكتور المعجميّ اللامع إيميل بديع يعقوب الذي تحدّث فيه عن صواب المنهج وجملة من تفاصيل مفرداته.

هــذا، بالإضافة إلــى موضوعات ومقالات أخرى متنوّعة في اللغويات وميدان الكتب والدراسات، وحقل أعلام العربية، وستظلّ مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالشارقة بإذن الله تعالى، تتحف قرّاءها بالجديد الذي تبدعه الأقلام وتجود به القرائح في كل عدد يوفّقنا الله العليّ الكبير إلى صوغه وإخراجه، ونتوجّه بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكل مجتهد يسعى إلى نجاح هذه المجلّة، ويمدّ لنا يد العون في نسج خيوطها ورسم معالمها.

هيئة التّحرير

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلّة أدبيّة لغويّة تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السّنة الثّانية – العدد التّاسع – فبراير 2024 م

مجلّة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

رئيس التحرير

د. امحمد صافي المستغانمي

أعضاء التحرير

أ.د. بن عيسى باطاهر

د. هشام دقاق

أ. شيماء عبد الله

أ. هبة هشام

منسق العلاقات العامة

أ. ماجد الهولي

أ. رشا أبو جهين

التصميم والإخراج

سارة علي

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 401 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala
www.alashj.ae
Sharjah.ala
info@alashj.ae
مجمع اللغة العربية بالشارقة

امسح الرمز

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني

Magazine@alashj.ae

18

إطلالةٌ على مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

118

بُكَائِيّةُ مَالِكِ بنِ الرَّيبِ فِي رثاءِ نفْسِه

يُعَدُّ مالكُ بنُ الرَّيْبِ التّميميُّ من أشهرِ الشُّعراءِ الصَّعاليكِ المُسلمِين، ونسبُه هو: «مالكُ بنُ الرّيبِ بنِ حوط بنِ قوط بنِ حسل بنِ ربيعةَ بنِ كابيةَ بنِ حرقوص بنِ مازنِ بن عمرو بنِ تميم» ، وقد وُلدَ في باديةِ تميمٍ بالبَصرةِ وبها ترَعْرعَ، ويُكَنَّى بأبي عُقبةَ.

126

دِرَاسَةٌ في أَبْجَدِيَّةِ الذَّاتِ.. تَحْلِيلُ قَصِيدَةِ عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ

تبدُو الحياةُ بتقلُّباتِها، وتتلاحمُ صورُها أمامَ النّاظرِ القائمِ القَعيدِ، ويظهرُ الكبَرُ مظهرًا من مظاهرِ الموتِ المؤجَّلِ من بين أنقاضِ العمرِ المهدودِ يُطلُّ عَبدةُ بنُ الطّبيبِ ليَشملَ أولادَه بالحرْصِ والخوفِ والحبِّ والرّعايةِ.

المحتويـات

أخبار المجامع

10 «بمكرمة من حاكم الشّارقة» افتتاح مقرٍّ جديدٍ لمجلس اللّسان العربيّ في موريتانيا

12 مَجْلِسُ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ يقيم عدّة ندوات

14 «مَجمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالشَّارِقَةِ» يُشَارِكُ فِي احْتِفَاءِ «اتِّحَادِ المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ» بِالمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

16 حاكم الشّارقة يكرّم مجمَع اللغة العربيّة بالشّارقة «خلال افتتاح مؤتمر اللّغة العربيّة الدّوليّ السّابع»

لغويّات

38 جُهودُ القُرّاءِ ..في خِدْمَةِ عِلْمِ الأَصْوَاتِ العَرَبِيِّ

44 العَـرَبِيَّـةُ بِالسَّلِيقَةِ أَوِ النَّحْوُ السَّلِيقِيُّ

معجميّات

76 المُؤَنَّثُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ: دِرَاسَةٌ إِحْصَائِيَّةٌ فِي مُعْجَمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُعاصِرة

84 من المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة: رحلة مـع الاسـم رأس

كتب ودراسات

92 قراءةٌ في كتابِ.. السّياسَةُ اللُّغـويّـةُ ومَوقعُ لُغَـةِ الأُمَّـةِ للدكتور صالـح بلعيـد

100 وقفة مع الأعمال الفائزة في جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة

أدب ونقد

116 العُنْوَانُ: عَتبةٌ أم نصٌّ مُوازٍ

الدُّكْتُـورُ سُـلْطَانُ القَاسِـمِـيُّ يُكَـرِّمُ الفَائِزِينَ بِجَائِزَةِ الشَّـارِقَةِ لِلدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّـةِ وَالـمُعْجَمِيَّةِ فِـي دَوْرَتِهـا السَّـادِسَـةِ

نظرة في منهج المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

صَدرَتْ في السَّنَواتِ القَليلَةِ الماضِيَةِ عِدَّةُ مَعاجِمَ تاريخيَّة، بَل عِدَّةُ أَجْزاءٍ منها، بَعْضُها عامٌّ، وبَعْضُها مُتَخَصِّصٌ في بَعْضِ العُلومِ والشِّعْر...

ابنُ درّاجٍ القَسطلّيُّ .. الشَّاعرُ المُغتربُ

إنَّ المُطَّلِعَ على ديوانِ ابنِ درّاجٍ القَسْطلّيّ سيدركُ أنَّ هذا الشّاعرَ قد تركَ واحدًا من أكبرِ دواوينِ الشِّعرِ العربيِّ، حَيْثُ عُدَّ من أهمِّ شُعراءِ بَلاطِ المنصورِ ابنِ أبي عامرٍ، وحافظًا لمعاركه، وأيّامِ دولتِه...

فصاحةُ غلام

لمّا استُخلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ الله عنه، قَدِمَ عليه وُفودُ أهلِ كُلِّ بلدٍ، فتقدَّمَ إليه وَفدُ أهلِ الحجازِ فاشرَأَبَّ منهم غلامٌ للكلامِ، فقال له عمر: يا غلام، لِيَتَكَلَّمْ مَنْ هو أسنُّ منك. فقال الغلامُ: يا أميرَ المؤمنين، إنّما المرءُ بأصغرَيْه قلبِه ولِسانِه...

قـصّـة مثـل

إيَّاكِ أعْني وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ.
أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاري، وذلك أنه خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدًا فقالت له أخته: انْزِلْ في الرَّحْبِ والسَّعَة

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

مجمع اللغة العربية بالشارقة في الصّحف

في مقرّه الجديد الّذي افتتح بمكرمة صاحب السّمو حاكم الشّارقة

مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا يناقش سبل تنسيق العمل وبناء الشراكات في خدمة اللّغة العربيّة

•• الشارقة-الفجر

في إطار جهوده لتعزيز اللّغة العربيّة والحفاظ على هويّتها وثقافتها، استضاف مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا، الّذي افتتح بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، ندوة بعنوان: "تنسيق العمل وبناء الشّراكات في خدمة اللّسان العربيّ"، بمشاركة 20 جهة من الهيئات والمؤسسات والجمعيّات الّتي تعمل على دعم وتطوير اللّغة العربيّة في موريتانيا والعالم العربيّ. وتناولت النّدوة موضوعات متعدّدة تتعلّق بالتّحديات والفرص الّتي تواجه اللّغة العربيّة، والمشاريع والبرامج والأنشطة الّتي تقوم بها الهيئات المشاركة في النّدوة لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة وتنمية قدرات متحدّثيها ومتعلّميها، ... الخبرات والمعارف والمقترحات بين المشاركين، ومناقشة أفضل الممارسات المتّبعة لإثراء أساليب تعليم اللّغة العربيّة، وابتكار البرامج والأدوات الّتي تساهم في تيسير تعلّمها وتعليمها، بما يتلاءم مع التّطوّرات التّقنيّة والمعرفيّة المتقدّمة.

وناقشت النّدوة الطّرق والوسائل المناسبة لتحسين التّواصل والتّفاعل والتّعاون بين الهيئات العاملة في مجال اللّغة العربيّة، والّتي تضمّ أعضاء منسقيّة "سدنة اللّغة العربيّة"، الّتي تضمّ العديد من الهيئات من أجل تمكين اللّغة العربيّة، وتهدف إلى تنسيق الجهود والمشاريع المشتركة بين الهيئات المختلفة في خدمة اللّسان العربيّ، إذ جاءت النّدوة بهدف استعراض وتحليل الإنجازات والمبادرات الّتي تمّ تنفيذها خلال "شهر اللّغة العربيّة"، الّذي يوافق شهر ديسمبر من كلّ عام. يشار إلى أنّ المقرّ الجديد لمجلس اللّسان العربيّ تمّ افتتاحه في العاصمة الموريتانيّة نواكشوط بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، وبرعاية فخامة الرّئيس محمد ولد الشيخ الغزواني، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانيّة، ويضمّ المجلس نخبة من العلماء ويتولّى مهمّة النّهوض بلغة الضّاد في موريتانيا وخارجها.

«مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» تضيء على الاستدامة اللّغويّة

الشارقة (الاتحاد)

رصدت «مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» بالشّارقة في عددها الثّامن موضوعات متنوعة تتعلّق باللّغة العربيّة وآفاقها وتحدّياتها، مؤكّدة مكانة الشّعر في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، وأهمّيّة البلاغة والإيجاز في النّظم الشّعريّ، كما أضاءت المجلّة على أهمّيّة الاستدامة اللّغويّة كمفهوم يهدف إلى حماية اللّغة العربيّة، والحفاظ على هُويّتها وسلامتها وتنوّعها.

وفي افتتاحيّة العدد الثّامن، أكّد الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، تحت عنوان «الشّعر في أعين العرب» أنّ الشّعر ديوان العرب وسجل مآثرهم، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كان متذوّقاً للشّعر، عالماً بما يحويه من حكم صائبة وتوجيهات سديدة، حيث يقول عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشّعر لحكمة».

وتناول العدد الثّامن من المجلّة إطلاق صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، 31 مجلّداً جديداً من المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، والّتي تغطّي 6 أحرف، هي «الرّاء، والزّاي والسّين والشّين والصّاد والضّاد»، ليصبح العدد الكلّي للحروف الّتي تمّ تحريرها حتى الآن 15 حرفاً، من الهمزة إلى الضّاد، وليرتفع عدد المجلدات المنجزة من المشروع إلى 67 مجلداً.

وتحت عنوان «الشّارقة تحتضن أوّل مؤتمر للمستشرقين»، تناولت المجلّة فعاليات «مؤتمر الشّارقة الأوّل لدراسات اللّغة العربيّة في أوروبا: واقع وآفاق»، الّذي نظّمه المجمع برعاية كريمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، في دارة الدّكتور سلطان القاسمي.

وحول «الاستدامة اللّغويّة»، كتب الدّكتور علي عبدالقادر الحمادي، موضّحاً أنّ الاستدامة اللّغويّة يراد بها أن تبقى اللّغة خالية من التّلوث اللّغويّ ومهدّدات الانقراض، أو ضمور عناصرها الحيويّة، آمنة من المكوّن الدّخيل على المكوّن الأصيل، مشيراً إلى أنّ إتقان المؤلّفين للتّدقيق اللّغويّ يعدّ واحداً من عناصر الاستدامة اللّغويّة الّتي ينبغي التّركيز عليها.

وفتحت المجلّة في عددها الثّامن الباب أمام أقلام عدد من الباحثين والأكاديميّين للكتابة في موضوعات بحثيّة ومقالات معرفيّة متخصّصة في الدّراسات النّحويّة والمعجميّة والأدبيّة، والقرائيّة.

أبرزت إطلاق 31 مجلّداً جديداً من «المعجم التاريخي» تغطّي 6 أحرف

الملف

المعجم التاريخي للعربية..

موسوعة شاملة تجول في تاريخ وحاضر ثقافتنا

مناقشة تطوير مهارات المعلمين

■ الشارقة: «الخليج»

أكدت الدكتورة سوسن المكي، مؤسسة «معهد المستقبل في باريس»، أن المعلم ينجح بامتياز عندما ينظر إلى كل طالب على أنه «مشروع عبقري»، ويعطيه القيمة الإنسانية الحقيقية، ويتحمل مسؤولية رعايته، وصقل مواهبه، ودعم مهاراته، ومساعدته على الاستفادة منها مدى الحياة.

■ امحمد المستغانمي يكرم سوسن المكي ■

جاء ذلك خلال محاضرة علمية نظمها مجمع اللغة العربية، ضمن فعاليات «المجلس اللغوي الثامن» تحت عنوان «معلم اللغة العربية الناجح.. الإعداد والأساليب»، بحضور الدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العام لـ«مجمع اللغة العربية بالشارقة»، ونخبة من الأكاديميين ... والجمهور، وممثلي وسائل الإعلام

الجلسة إلى أن «مجمع اللغة العربية بالشارقة» نظم «المجلس اللغوي الثامن» بهدف تحفيز المعلمين والمعلمات، والتمكين للسان العربي في نفوس أبناء الجيل، واستقطاب الكفاءات اللغوية التي يتمتع بها العالم العربي والإسلامي.

واستعرضت الدكتورة سوسن المكي مختلف المفاهيم النظرية والأنشطة والتطبيقات العملية التفاعلية التي تساعد المعلم ...

أخبار المجامع

- الدّكتور سلطان القاسميّ يكرّم الفائزين بجائزة الشّارقة للدّراسات اللغويّة والمعجميّة في دورتها السّادسة
- «بِمكرمة من حاكم الشّارقة» افتتاح مقرٍّ جديدٍ لمجلس اللّسان العربيّ في موريتانيا
- مَجْلِسِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ يُقيم عدّة ندوات
- احتفاء «اتّحاد المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة» بالمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة
- حاكم الشّارقة يكرّم مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة "خلال افتتاح مؤتمر اللّغة العربيّة الدّوليّ السّابع"
- إطلالة على مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ

الدُّكْتُورُ سُلْطَانُ القَاسِمِيُّ يُكَرِّمُ الفَائِزِينَ بِجَائِزَةِ الشَّارِقَةِ لِلدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالـمُعْجَمِيَّةِ فِي دَوْرَتِهَا السَّادِسَةِ

أَكَّدَ صاحبُ السموِّ الشيخُ الدكتور سلطانُ بنُ محمدٍ القاسميُّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة أن جهود دعم اللغة العربية مستمرةٌ من خلال لقاء العلماءِ بَعضِهِمْ بعضًا في منتدياتٍ عديدةٍ، والدَّعمِ المتواصل للمراكز العاملة في المجال ذاته بُغْيَةَ ضمانِ استمرارها، وتقدير جهود المتخصصين والباحثين بتكريمهم وحَفْزِهِمْ إلى البَحْثِ في ذخائرِ اللغة العربية، مع أهمية نشر أَطارِيحِهِمْ وأبحاثهم.

جاء ذلك خلال تكريم سموّه يوم الإثنين 18 ديسمبر 2023، الفائزين بالدورة السادسة من جائزة الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية، وذلك في دارة الدكتور سلطان القاسمي.

ورحَّب صاحب السموِّ حاكم الشارقة في بدايةِ اللقاء بالحضور، مشيراً إلى أن جهود العلماء في المجامع اللغوية واجتماعهم في الشارقة يُعدُّ مكسباً كبيراً لخدمة اللغة العربية، مقدماً سموه الشكرَ والتقديرَ إلى العاملين في مختلف المجالات ذات الصلة باللغة

د.امحمد مولاي أبوبكر إسماعيلي

د.محمد الصحبي عمر بعزاوي

العربية من أصحاب الجهود العلمية والبحثية.

وأشار سموه إلى أن العملَ جارٍ على توفير وقفٍ لخدمة المراكز الخاصَّةِ بالثقافة واللغة العربية مثل المسرح العربي، والشعر والآداب، وغيرها، وذلك لأهمية استمرار أعمال هذه المراكز التي تُمَثِّلُ نهضةً حقيقيَّةً في الوطن العربي ونقاطَ إشعاعٍ علميٍّ ومعرفيٍّ، قائلاً سموه : « لابُدَّ مِنْ إعَادَةِ الزَّخْمِ الَّذِي كَانَ لِهَذِهِ اللُّغَة وَلِـمُعْطَيَاتِهَا في الآدَابِ مِنَ الشِّعْرِ وَالقِصَّةِ وَالرِّوَايَةِ وَغَيْرِهَا في السَّابِقِ، لابُدَّ مِنْ إحْيَائِهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَبِجُهُودِ الفُضَلاءِ وَالعُلَمَاءِ نَبْدَأُ ذَلِكَ»، وأضافَ سموُّه «أنَا آخُذُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ عَلَى مَحْمَلِ الجِدِّ وَلا أَقُولُ عَلَى هَامِشِ الحَيَاةِ، لِأَنَّها جُزْءٌ مِنَ الإيمَانِ، وَلابُدَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَتَحَدَّثَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ».

وتناول صاحب السمو حاكم الشارقة في كلمتهِ، أهمية الجائزة في رفد المكتبة العربية المتخصصة بأبحاث متنوعة ورفيعة المستوى وفي حقول متنوعة لم تكن متوفرة من قبلُ وهي في زيادةٍ مستمرة، مشيراً سموه إلى أن العلماءَ لديهم الكثير من الأبحاث ولا بد من مساعدتهم على نشرها وتوفيرها بمختلف الوسائل للقراء لتعمَّ الفائدةُ عُشَّاقَ اللغة العربية ويُسْتَفَادَ منها في البَحْثِ وَالاطِّلاع.

وتفضل سموه بتكريم الفائزين في مِحْوَرَيِ الجائزةِ في دورتها السادسة، مباركاً سموه لهم مشاركتهم وحرصهم على تقديم بحوثٍ علمية لتزويدِ المكتبةِ العربية بكنوز المعرفة .

وفاز بالمركز الأول بالجائزة في محور الدراسات اللغوية «الدراسات التي تناولت تعلم اللغة العربية وتعليمها لأبنائها ولغير أبنائها»، الدكتور امحمد مولاي أبوبكر إسماعيلي عن كتابه «اللسانيات التطبيقية وتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها»، ونال الدكتور محمد الصحبي عمر بعزاوي جائزة المركز الثاني في المحور ذاتهِ عن كتابه «من قضايا تعليم

د. محمود العشيريّ

د. ميثم محمد علي

اللغة العربية لساناً ثانياً».

وفي محور الدراسات المعجمية «صناعة المعجم اللغوي: دراسةً وتأليفاً"، فاز بالجائزة الأولى الدكتور ميثم محمد علي عن كتابه "معجم أبي العلاء من الفصول والغايات" وهو خمسة أجزاء. وفاز بالجائزة الثانية لهذا المحور ثلاثةُ علماء هم: د. محمود العشيري، ود. عبد العاطي هواري، ود. محمد البدرشيني، اشتركوا في مجلدين لكتاب بعنوان «الرصيد اللغوي المسموع».

وألقى معالي الدكتور عبد الرحمن بن محمد العاصمي، مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج كلمة، ثمّن فيها الجهود الكبيرة لصاحب السمو حاكم الشارقة في المجالات الثقافية والمعرفية بشكل عام وفي دعم اللغة العربية على وجه الخصوص، لافتاً إلى أن ذَلِكُمْ من ثمار الرؤية الثاقبة والتوجيهاتِ السديدةِ والاهتمامِ الكبيرِ لسموِّهِ.

وتناول العاصمي جهود الشارقة في العديد من المجالات الخاصة باللغة العربية، ورعاية وتكريم من يتميزون فيها من النوابغ والعلماء، مما يسهم في تطوير جهود نشر اللغة والبحث العلمي فيها، مُشِيرًا إلى أن جائزة الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية عملت على تشجيع العلماء لمزيد من الإنجازات في محاورها وكل ذلك يصبّ في صالح اللغة العربية التي تستحق كل تقدير.

من جانبه تناول الدكتور عبد الفتاح الحجمري منسق الجائزة في كلمته نِيَابةً عن لجنة تحكيم الجائزة ما تقدمه الجائزةُ للساحة العربية في مجال اللغة العربية حتى أَضْحَتْ لها مكانةٌ مرموقةٌ ومتميزة بين الجوائز العربية والدولية، خاصة وأن توقيت اختيار تكريم الفائزين بالجوائز كل عام يُوافِقُ الثامن عشر من ديسمبر وهو اليوم العالميُّ للغة العربية.

وأضاف منسق الجائزة «وهبتم يا صاحب السمو

حاكم الشارقة للغة العربية كريم عنايتكم وقلتم في حقها إنها أرقى اللغات وأسماها، و مما زادها طيبة وعذوبة أن القرآن بها يُتلى والأذان بها يرفع، والصلوات بها تُفتتح وتختتم، ودُونت بها العلوم والفنون والمعارف التي أفادت منها كل الأُمم».

وتناول الحجمري أهداف الجائزة ونتائجها مشيراً إلى أنها مكرمة علمية تضاف إلى المكارم التي تهدف إلى دعم البحث والإنتاج الفكري في مجال الدراسات اللغوية والمعجمية، وأسهمت في خلق دينامية جديدة حَفَزَتِ الباحثين إلى إبراز الجوانب العلمية للُّغة العربية، في إطار رصين وذي قيمة مضافة، تشهد على ذلك محاورُها السابقةُ والتي اهتمت بمواضيعَ عديدةٍ منها: اللغةُ العربيةُ في ضوء النظرياتِ اللسانيَّةِ الحديثةِ، والمعجمُ التاريخيُّ للغة العربية، واللسانيَّاتُ العربيَّةُ وتحليلُ الخطابِ، إضافة إلى المعجم العربي والتقنيات الحديثة والأسلوبِ والأسلوبيَّة في تحليل الخطابِّ القرآنيِّ.

واختتم الحجمري كلمته بالشكر والتقدير إلى صاحب السمو حاكم الشارقة على إيلائه هَذِهِ الجائزةَ اهتمامًا كبيرًا اتسع نطاقه في جميع البلاد العربية والإسلامية، مشيرًا إلى أنها غدت تشجع الباحثين واللغويين على بذل المزيد من الجهود البحثية، وترقية الفكر اللغوي العربي، مهنئاً الفائزين بالجائزة التي استحقوها أيَّمَا اسْتِحْقَاقٍ.

وقدم الدكتور ميثم محمد علي في كلمة نيابةً عن زملائِه الفائزين في هذه الدورة، الشكر والتقدير إلى صاحب السمو حاكم الشارقة على رعاية سموه وتشجيعه العلماءَ، معبّراً عن سعادتهم بهذا التكريم، ومشيراً إلى أن المشاركة والفوز بالجائزة حافزٌ كبير إلى تقديم المزيد من البحوث للغة العربية التي تشهد بجهود الشارقة نهضةً علميةً كبيرةً، حيث تقدّم بحوثاً علمية دقيقة في شتى فروع اللغة المتعلقة بالدراسات التقليدية في النحو والصرف والبلاغة والعروض وفقه اللغة والصوتيّات، أو الفروع الحديثة مثل اللسانيّات التطبيقية والسّيميائيّات وتحليل الخطاب والصناعة المعجمية.

واختتم الدكتور ميثم محمد علي كلمته مشيداً بما تقدمه الجائزة من إضافة نوعية للمكتبة العربية مُحَبِّبَةً إلى الباحثين اللغويين الكتابة في شتى الفروع المعرفية الدقيقة ولاسيما في حقل اللغة العربية الواسع الخصب الثري، حيث أصبحت محجّة لهم وينتظرونها بشوقٍ كُلَّ عامٍ للمشاركة فيها وَ تَعَرُّفِ مِحْوَرَيْها الجديدين للمنافسة.

وتفضل صاحب السمو حاكم الشارقة في ختام حفل التكريم بالتقاط الصور التذكارية مع الفائزين، ومجلس أمناء الجائزة واللجنة العلمية.

حضر التكريمَ بجانب صاحب السمو حاكم الشارقة كلٌّ من سعادة جمال سالم الطريفي رئيس الجامعة القاسمية، وسعادة الأستاذ محمد حسن خلف المدير العام لهيئة الشارقة للإذاعة والتلفزيون، والدكتور امحمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشّارقة، والدكتور عواد الخلف مدير الجامعة القاسمية، وسعادة عبد الله خلف الحوسني الأمين العام لمجمع القرآن الكريم بالشارقة، وعدد من أعضاء لجنة التحكيم.

الحجمريّ: تُعدّ الجائزة مكرمة علمية تضاف إلى المكارم التي تهدف إلى دعم البحث والإنتاج الفكري في مجال الدراسات اللغوية والمعجمية

«بِمَكْرُمَةٍ مِنْ حَاكِمِ الشَّارِقَةِ»

افْتِتَاحُ مَقَرٍّ جَدِيدٍ لِمَجْلِسِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ في مُورِيتَانِيا

تَحت رعاية فَخامةِ الرّئيس الموريتانيّ محمّد ولد الشّيخ الغزوانيّ، وبِمَكرمة سخيّةٍ من صاحب السّموّ الشّيخ الدكتور سُلطان بن محمّد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، افتتح معالي وزير الثّقافة والشّباب والرّياضة والعلاقات مع البرلمان الموريتانيّ الدكتور أحمد سيد أحمد أج، في الخامس والعشرين من ديسمبر 2023، المقرَّ الجديد لمجلس اللّسان العربيِّ في العاصمة الموريتانيّة نواكشط، الذي يضمُّ نخبةً من العلماء ويتولّى مهمّة النّهوض بلغة الضّاد في موريتانيا وخارجها.

جاء ذلك خلال حفل، شهده عدد من كبارِ الشّخصيّات الدّبلوماسيّة والإعلاميّة، ورؤساء بعض المجامع اللغوّية العربيّة، ونقل خلاله سعادة محمد حسن خلف، عضو مجلس أمناء مجمع اللغة العربية في الشارقة، مدير عام هيئة الشارقة للإذاعة والتلفزيون كلمات صاحب

السّموّ حاكم الشّارقة إلى مجتمع اللغويّين والباحثين في موريتانيا، وتحدّث حولَ أهميّة دعم المشاريع العلميّة الكبرى والاجتهاد الدائم لتمكين اللّسان العربيّ في مختلف بلدان العالم، مشيراً إلى عمق العلاقة التي تربط دولة الإمارات العربية المتّحدة، وجمهورية موريتانيا.

من جانبه أهدى معالي وزير الثّقافة الموريتانيّ درعاً تذكاريّة لصاحب السّمو حاكم الشّارقة، وتسلّمها سعادة محمّد حسن خلف، وثمّن معاليه جهود حاكم الشّارقة في خدمة اللّغة العربيّة والثّقافة العربيّة والإسلاميّة في شتّى البلدان.

بدوره، ألقى رئيس مجلس اللسان العلامة الدكتور الخليل النّحويّ كلمةً هنّأ فيها الحاضرين والشّعب الموريتانيّ كافّة، وجميع سدنة لغة الضّاد بالمقرّ الجديد للمجلس، واستعرض أهم إنجازات المجلس على مدى الأعوام الخمسة الماضية، مشيداً بالدّعم الذي يتلقاه المجلس من صاحب السّمو حاكم الشّارقة مباشرة، ومن مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة.

وأزاح معالي وزير الثّقافة والشّباب، برفقة سعادة محمّد حسن خلف، وسعادة الدّكتور امحمّد صافي المستغانميّ الأمين العام للمجمع السّتار عن اللوحة التذكاريّة المؤرِّخة لافتتاح المبنى، وقصّ الشّريط، وتجوّل في أرجاء المبنى المصمّم على طراز العمران الموريتاني، والذي تم بناؤه بمواد صديقة للبيئة، ويتكوّن من طابقين ويضمّ عدداً من المكاتب الإداريّة وقاعات الدّراسة والاجتماعات ومكتبة، بالإضافة إلى مبنى مستقلٍّ يشتمل على قاعة تحمل مسمّى «القاعة القاسميّة» وهي مخصصة لعقد الندوات وإقامة الفعاليات، بالإضافة إلى مسجد يتّسع لأكثر من 300 مُصَلٍّ.

وجاء تشييد المبنى على أرض ممنوحة من الحكومة الموريتانيّة في حيّ الجامعة، فيما تكفل صاحب السّمو حاكم الشّارقة بتكاليف بنائه وتأثيثه كاملة، ليكون بوابة للاهتمام باللّغة العربيّة وأنشطتها في القارّة الإفريقيّة، وخاصّة بلدانها ومناطقها الغربيّة.

ويستكمل المجلس من مقرّه الجديد مهامه العلميّة واللغويّة، حيث أسّسه صاحب السّموّ حاكم الشّارقة في العام 2017، ليمارس أعماله كسائر مجامع اللّغة العربيّة في العالم العربيّ، على أن يكون تحت إشراف مباشر من مجمع اللّغة العربيّة في الشّارقة، وهو عضو في اتّحاد المجامع اللغوية والعلمية في القاهرة، ويضمّ كوكبة من اللغويّين والعلماء في شتّى الفروع اللغويّة.

فِي إِطَارِ بَرَامِجِ مَقَرِّهِ الجَدِيدِ الَّذِي افْتُتِحَ بِمَكْرُمَةِ صَاحِبِ السُّمُوِّ حَاكِمِ الشَّارِقَة

مَجْلِسُ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ يُقيمُ عدّة نَدوات

نَدْوَةٌ لُغَوِيَّةٌ تَجْمَعُ ٱلْمَجَامِعَ ٱلْعَرَبِيَّةَ عَنْ تَارِيخِ لُغَةِ الْقُرْآنِ وَحَاضِرِهَا

شاركَ مجمعُ اللغة العربية بالشارقة في ندوةٍ لغويَّةٍ علميةٍ على هامشِ افْتِتاحِ المقرِّ الجديدِ لمجلسِ اللِّسانِ العربيِّ في العاصمةِ الموريتانية نواكشوط، بمكرمةٍ ساميةٍ من صاحب السُّمُوِّ الشيخِ الدكتورِ سُلْطَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ القاسِمِيِّ، عضو المجلسِ الأعلى حاكمِ الشارقة، الرئيسِ الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة.

وشهدتِ الندوةُ العلميةُ، التي حملت عنوان: «لُغَةُ ٱلْقُرْآنِ: طَرِيقٌ شِنْقِيطِيٌّ أَفْرِيقِيٌّ سَيَّارٌ»، حضورَ سعادة محمد حسن خلف، المدير العامِّ لِهيئةِ الشارقة للإذاعة والتلفزيون، عضو مجلس أمناء مجمع اللغة العربية بالشارقة والدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العامِّ لمجمع اللغة العربية بالشارقة، وجمعٍ من رؤساءِ المجامع اللغويَّةِ العربية والعلماء والباحثين اللغويين، والخبراء المهتمين بالشأنِ اللغويِّ والثقافيِّ في عددٍ من الدولِ العربيَّةِ والأفريقيَّةِ.

وترأَّسَ الدكتورُ امحمد صافي المستغانمي الندوةَ العلميَّةَ، وعرّف بمحورها العام، مبيّناً أن مكرمةَ صاحبِ السموِّ الشيخِ الدكتورِ سلطانَ بْنِ محمدٍ القاسميِّ، عضو المجلسِ الأعلى حاكمِ الشارقَةِ، بافتتاحِ المقرِّ الجديد لمجلسِ اللسانِ العربيِّ في موريتانيا، تُظْهِرُ سعةَ اطِّلاعِ سموِّهِ ، وعمقَ معرفتِهِ بالأدوار التاريخيةِ والحاليَّة التي نجح من خلالها الباحثون والعلماءُ بـ«بلاد شنقيط» في إقامة صروحِ العلومِ اللغويَّةِ والشرعيَّةِ في أنحاءِ القارَّةِ الأفريقيَّةِ.

وفي كلمتِهِ خلالَ الندوة، توجه الدكتور الخليلُ النحوي، رئيسُ مجلسِ اللِّسانِ العربيِّ، بعميقِ الشكرِ إلى صاحبِ السموِّ الشيخِ الدكتور سلطانَ بْنِ محمدٍ القاسميِّ، عضوِ المجلس الأعلى حاكمِ الشارقَةِ، على دعمِهِ اللامحدودِ لمساندةِ العمل اللغويِّ العربيِّ، بما يعزِّز مكانةَ اللغةِ والثقافةِ العربيةِ والإسلاميةِ في مختلفِ أنحاء العالم،

ويسهم في ترسيخِ مكانتها بين أبنائها.

كما ألقى سعادة الأستاذ محمد حسن خلف كلمة في مقدمة الندوة، بلَّغَ فيها الحاضِرينَ تحيَّاتِ صاحب السموِّ، وأماطَ اللِّثامَ عَنِ العملِ العلميِّ المشتَرَكِ بين مجمع الشارقة ومجلسِ اللسانِ، مركِّزًا على الأولويَّةِ التي يوليها الدكتور سلطان بن محمد القاسمي للتمكين للغة العربية في أفريقيا.

وشهدتِ الندوةُ العلميةُ التي نظَّمها مجلسُ اللسانِ العربيِّ بالعاصمةِ الموريتانيةِ نواكشوط عدداً من المداخلات قدّمها الأستاذُ الدكتور محمود أحمد السيد، رئيسُ مجمعِ اللُّغةِ العربيةِ بدمشقَ، والأستاذُ الدكتور بكري الحاج، رئيسُ مجمعِ اللغةِ العربيةِ بالخرطوم، والأستاذُ الدكتور عبد الله بن سيف التوبي، مدير مركزِ الترجمةِ والتعريبِ والاهتمامِ باللغة العربية بسلطنةِ عُمَانَ. كما حضر الجلسةَ نخبةٌ من علماءِ إفريقيا من السنغال وغامبيا وغينيا كوناكري ومالي، الذين أَبَانُوا لَنَا وَضْعَ اللغةِ العربيَّةِ فِي بُلْدَانِهِمْ.

مَجلِسُ اللِّسَانِ العَربِيِّ يُنَاقِشُ سُبُلَ تَنْسِيقِ العَمَلِ وَبِنَاءِ الشَّرَاكَاتِ فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

وفي الإطـار نفسه أقام مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا ندوة بعنوان: "تنسيق العمل وبناء الشّراكات في خدمة اللّسان العربيّ"، بمشاركة 20 جهة من الهيئات والمؤسسات والجمعيّات الّتي تعمل على دعم اللّغة العربيّة وتطويرها في موريتانيا والعالم العربيّ، وذلك بتاريخ 20 يناير.

وتناولت النّدوة موضوعات متعدّدة تتعلّق بالتّحدّيات والفرص الّتي تواجه اللّغة العربيّة، والمشاريع والبرامج والأنشطة التي تقوم بها الهيئات المشاركة في النّدوة لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة وتنمية قدرات متحدّثيها ومتعلّميها، كما تُبُودِلَتْ خلال النّدوة الخبراتُ والمعارفُ والمقترحاتُ بين المشاركين، ومناقشة أفضل الممارسات المتّبعة لإغناء أساليب تعليم اللّغة العربيّة، وابتكار البرامج والأدوات التي تُسْهِمُ في تيسير تعلّمها وتعليمها، بما يتلاءم مع التّطوّرات التّقنيّة والمعرفيّة المتقدّمة.

وناقشت النّدوة الطّرق والوسائل المناسبة لتحسين التّواصل والتّفاعل والتّعاون بين الهيئات العاملة في مجال اللّغة العربيّة، والّتي تضمّ أعضاء منسقيّة «سدنة اللّغة العربيّة»، الـمُنْضَوِي تحتها العديد من الهيئات من أجل تمكين اللّغة العربيّة، وتهدف إلى تنسيق الجهود والمشاريع المشتركة بين الهيئات المختلفة في خدمة اللّسان العربي، إذ جاءت النّدوة بهدف استعراض وتحليل الإنجازات والمبادرات الّتي نُفِّذَتْ خلال «شهر اللّغة العربيّة»، الـموافِقِ شهرَ ديسمبر من كل عام.

ضِمْنَ فَعَالِيَّاتِ المُؤَسَّسَاتِ وَالهَيْئَاتِ العَرَبِيَّةِ بِالْيَوْمِ العَالَمِيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

«مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالشَّارِقَةِ» يُشَارِكُ فِي احْتِفَاءِ «اتِّحَادِ المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ» بِالمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

شاركَ مجمعُ اللغة العربية بالشارقة، في الحفلِ الذي نظّمه اتِّحادُ المجامع اللغوية العلمية العربية، في مقرِّهِ بمدينة 6 أكتوبر في مدينة القاهرة، احتفاءً بالمُنْجَزاتِ التي تحققت في مسيرة "المعجم التاريخي للغة العربية"، المشروع الحضاري النهضوي الكبير الذي أطلقه ويرعاهُ صاحبُ السُّمُوِّ الشيخُ الدكتورُ سُلْطَانُ بنُ محمدٍ القاسميُّ، عضوُ المجلسِ الأعلى حاكمُ الشَّارِقَةِ.

وجاء الاحتفال، الذي انطلق في السابع والعشرين من ديسمبر 2023 تحت عنوان "عَصْرُ ازْدِهَارِ المُعْجَمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ"، في سياق الفعاليات التي نظمتها المجامعُ اللغوية في الأقطارِ العربية كافَّةً احتفالاً باليوم العالمي للغة العربية الموافقِ 18 مِنْ ديسمبر الجاري، حيث يعدُّ "مَشْرُوعُ المُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ" أحد أبرز وأهم المشاريع العلمية اللغوية العربية في العصر الحديث، وداعماً رئيسًا للثقافة العربية، والأكاديميين والدارسين والمثقفين العرب على حد سواء، إذ يسهم

في تأريخِ ألفاظِ اللغة العربية، وضبط مراحلِ استعمالها أو إهمالِها، وتطوّر دلالاتها ومبانيها عبرَ العصور، إلى جانب دوره الكبيرِ في ربطِ الكلماتِ والمعاني بجذور الهويَّة العربيّة ومسار تطوُّرها.

وترأّس وفد مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة في الحفل، الدكتور امحمّد صافي المستغانميّ، الأمين العام لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، والمدير التنفيذيّ لمشروع "المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة"، الذي ألقى كلمةً نقل فيها تهاني وتبريكات صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمشروع "المعجم التاريخي للغة العربية"، إلى أهل مصر والأمة العربية جمعاء، وبلّغ علماء اتحاد المجامع تحيَّاتِ صاحب السّمو الخالصةَ وتبريكاته لهم بمناسبة إطلاق المجلّدات الجديدة في المرحلة الرابعة، واليوم العالميِّ للّغة العربيّة، وثَمَّنَ ما يقومُ به علماءُ الاتِّحادِ من جهودٍ طيِّبةٍ ومشاريعَ علميَّةٍ تصب كلها في خدمة اللغة العربيّة والتمكين لها.

وحضر الاحتفالَ جمعٌ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ والأكاديميين والباحثين والعلماء، تقدّمهم الأستاذ الدّكتور حسن الشّافعي، رئيس اتّحاد المجامع اللغويّة، والأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور الأمين العام للاتحاد، والدكتور مأمون وجيه، المدير العلمي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية، والأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ، القائمُ بأعمال رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعددٌ من رؤساءِ أقسامِ اللغةِ العربيَّةِ في جامعاتِ الأزهرِ ودارِ العلومِ وغيرِها مِنَ المؤسَّساتِ الأكاديميَّة.

وأَسْهَمَ بعض المشاركين في الاحتفال بقصائدَ شعريَّةٍ، تغنوا فيها بالماضي العريق للغة العربية وحاضرها الحافل ومستقبلها الطموح، وأكدوا أن العربية لغة العصر بَلْ كل العصور، وقادرة على استيعاب التحولات والمستجدات على الصُّعُدِ الثقافية والعلمية والتقنية والتعبير عنها بِكِفايَةٍ عالية.

وكان أحدث منجزات مشروع «المعجم التاريخي للغة العربية» إطلاق 31 مجلداً جديداً تَضَمَّنُ أَجْزَاؤُهَا 6 أحرفٍ هي «الراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد»، ليصبح العدد الكليُّ للحروف التي حُرِّرَتْ إلى الآن 15 حرفاً، من الهمزة إلى الضاد، وليرتفع بذلك عددُ المجلَّداتِ المُنْجَزَةِ مِنَ المشروعِ إلى 67 مجلداً أَصْدَرَتْها منشوراتُ القاسميِّ بالشارقةِ.

حاكم الشّارقة يكرّم مجمعَ اللّغة العربيّة بالشّارقة «خلالَ افتتاحِ مؤتمرِ اللّغة العربيّة الدّوليّ السّابع»

كرّم صاحب السّموّ الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسميّ عضو المجلس الأعلى للاتّحاد حاكم الشّارقة حفظه اللّه تعالى ورعاه مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة تثمينًا لجهود المجمع في خدمة العربية والتّمكين لها داخل دولة الإمارات العربية المتحدة وخارجها في شتّى الأقطار، وتعاونه المستمر مع العديد الجهات اللغوية والعلميّة، جاء ذلك في ختام حفل افتتاح مؤتمر اللغة العربيّة الدولي السابع، الذي نظمه المركز التّربويّ للغة العربيّة لدول الخليج بالشّارقة بالتعاون مع وزارة التّربية والتّعليم وبعنوان «تعليم اللغة العربيّة وتعلّمها، تطلع نحو المستقبل: المتطلّبات والفرص والتّحديات»، خلال الفترة 16–17 يناير 2024، وتحت شعار «بالعربيّة نبدع»، وذلك في المدينة الجامعيّة.

وتسلّم درع التّكريم سعادة الأستاذ محمّد حسن خلف عضو مجلس أمناء مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة ومدير عامّ هيئة الشّارقة للإذاعة والتلفزيون، ومثّل تكريم صاحب السّموّ وسام شرف لجميع المنتسبين إلى المجمع، ودعمًا لمسيرتهم العلميّة والعمليّة في الإشراف والعمل اليومي المباشر في

تحرير المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة، الذي يعدّ المشروع الأكبر الذي يتبناه المجمع بإشراف ورعاية مباشرة من صاحب السّمو إلى جانب مشاركاته اللغويّة المتنوعة.

كما كرّم صاحب السّمو حاكم الشّارقة في ختام حفل الافتتاح الجهات المشارِكة في التنظيم واللجنة العلمية للمؤتمر وعدداً من الخبراء المشاركين في الجلسة الافتتاحية، إلى جانب الفائزين بالبحوث المتميزة في المؤتمر، وتفضل سموّه بتسلّم هديّة تذكاريّة من المركز، والنسخة الأولى من إصدار مؤتمر اللغة العربيّة الدّوليّ السّابع الذي يتكوّن من 4 مجلدات تتضمّن البحوث المحكّمة والمشارِكة في المؤتمر.

حضر حفل الافتتاح إلى جانب صاحب السّمو حاكم الشّارقة كلٌّ من معالي عبدالله بلحيف النعيمي رئيس المجلس الاستشاري لإمارة الشارقة، وجمال الطريفي رئيس الجامعة القاسمية، ومحمد عبيد الزعابي رئيس دائرة التشريفات والضيافة، والمهندس خالد بن بطي الهاجري المدير العام للمدينة الجامعية، ومحمد حسن خلف المدير العام لهيئة الشّارقة للإذاعة والتلفزيون، وعلي الحوسنيّ مدير هيئة الشّارقة للتّعليم الخاصّ، وعدد من مديري الجامعات والمؤسّسات الأكاديميّة والجمعيات المتخصّصة وأساتذة الجامعات والخبراء والمتخصصين في اللغة العربية.

مثّل تكريم صاحب السّموّ وسام شرف لجميع المنتسبين إلى المجمع، ودعمًا لمسيرتهم العلميّة والعمليّة في الإشراف والعمل اليوميّ المباشر في تحرير المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

إطلالة على مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ

إنَّ رُتَبَ المجامع على مُقتضَى الحِيازَةِ سَبقا، وحظَّها من التّزكية على اعتبار الدّوامِ تَألقا، وقوّتها بحسب الاشتراك في المِدَادِ والمَدَدِ تأنّقا؛ إذ هيبةُ العلوم في زيادة الفَرسِ الجَواد المُحلّى ونيلِ قِدْمَةِ القِدْحِ المُعَلى. ترابع مباني الشّارقة وحروفُها لتعانقَ نوادِي اللسانِ حيث يمّمت، وتَنتخبَ لكلِّ مجمع زاوية.. يؤم التَّوصيفَ في هذا العدد، «مجمعُ اللغة العربيَّة الأردنيَ» من الجذوة إلى الثَّمرة.

إنَّما القَرمُ من الأَفِيل

إنَّ لنشأة مجمع اللغة العربية الأردني براعةَ استهلال تلازم فيها الوازع العلمي والوازع السلطاني؛ إذ بدأت فكرةُ الإنشاء في العقد الثالث من القرن العشرين، أي منذ السنوات الأولى من تأسيس «إمـارة شرقي الأردن..» إذ أصدر المغفور له سمو الأمير عبدالله بن الحسين، مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، إرادته بتأسيس مجمع علمي في عمان. ونُشر في الجريدة الرسمية لحكومة شرقي الأردن في 23 تموز سنة 1923، على أن يدير رئاسة المجمع سماحة الأستاذ وكيل الأمور الشرعية الشيخ سعيد أفندي الكرمي، وأعضاؤه العاملون الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك والأستاذ اللغوي المفضال الشيخ مصطفى الغلاييني والأستاذ الفاضل السيد رشيد بقدونس ومدير الجريدة الرسمية الأديب السيد محمد الشريقي، فينتخب هؤلاء الأعضاء العاملون إخوانهم من الأعضاء الفخريين في الأقاليم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها، ليكون ذلك عاملاً قوياً من عوامل إحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد.

حاز المجمعُ قَصَبَ السَّبقِ من حيث التّأسيس، فكان ثاني مجمع للغة

العربية يؤسس في الوطن العربي، بعد المجمع العلمي العربي بدمشق الذي تأسس سنة 1919م. لكن الموانع المالية حالت دون الارتقاء بهذه المؤسسة، فخمدت جَذوتُها إلى أجل معلوم.

فترةُ تَجديدِ الأنفَاس بعد الأُفُول

في سنة 1961م أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمان اللجنة الأردنية للتّعريب والترجمة والنّشر، استجابة لإحدى توصيات مؤتمر التّعريب الأول الذي عقد في الرباط في شهر نيسان من ذلك العام. وصدرت عن تلك اللجنة فكرة تأسيس المجمع. وبدأت الاستجابة الأولى لهذه الفكرة في أوائل سنة 1973م، إذ وافق مجلس الوزراء على إرسال ثلاثة وفود من أعضاء لجنة التّعريب والتّرجمة والنشر، لزيارة مجامع

جلالة الملك الحسين بن طلال يفتتح مقرّ المجمع

اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد، للتّعارف ولدراسة أعمال هذه المجامع وأنظمتها وأساليب العمل فيها، والاطلاع على أجهزتها العاملة، وحضور جلسة عمل في كلّ منها، ومعرفة آراء أعضائها النابعة من تجاربهم الشخصية فيها.

وفي أواخر سنة 1973م، وافق مجلس الوزراء من حيث المبدأ على طلب وزير التّربية والتّعليم تأسيس المجمع. غير أن اللجنة الأردنية للتّعريب والتّرجمة والنّشر استمرت في ممارسة أعمالها حتى صدرت الإرادة الملكية السامية بتأسيس مجمع اللغة العربية الأردني. ونشر نص قانون المجمع المؤقت رقم (40) لسنة 1976م في عدد الجريدة الرسمية ذي الرقم (2634) الصادر في 1976/7/1م.

الظَّفَر عند استصحاب الصَّبر

باشر المجمع عمله رسمياً في 1976/10/1م، بعد أن انتهى عمل اللجنة الأردنية للتّعريب والنّشر.

وفي يوم السبت 1976/10/2م عقد مجلس المجمع اجتماعه الأول في مكتب وزير التربية والتعليم، برئاسة الوزير الأستاذ ذوقان الهنداوي، وحضور أعضاء المجمع الخمسة، وتقرر في ذلك الاجتماع انتخاب:

الدكتور عبدالكريم خليفة رئيساً للمجمع، والدكتور محمود السمرة نائباً للرئيس، والأستاذ عيسى الناعوري أميناً عاماً للمجمع.

وبموجب القانون، صدرت إرادة ملكية سامية بتعيين الرئيس؛

باشر المجمع عمله رسميًا في 1976/10/1م، بعد أن انتهى عمل اللّجنة الأردنيّة للتّعريب والنّشر

وأصدر الوزير كتاباً بتعيين الأمين العام، وأصبح الدكتور محمود السمرة نائباً للرئيس بانتخاب المجلس له.

ومنذ 1977/7/1م استقر المجمع في مقر جديد له وعقد أول اجتماع لمجلسه فيه بتاريخ 1977/7/3م، وأصبح في وسعه أن يبدأ العمل في شكل ثابت ومستقر، وأن يشرع في الإنتاج في صورة منتظمة. وكانت الخطوة الأولى في ذلك تشكيل اللجان المتخصصة، والعمل على إصدار مجلة المجمع.

وقد تكرم المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال بافتتاح المبنى الجديد يوم السبت الموافق 15 أيار1982م.

أهداف المجمع وخططه:

نص قانون المجمع على أن يعمل المجمع على تحقيق الأهداف الآتية:

أ. الحفاظ على سلامة اللغة العربية والعمل على أن تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة.

ب. النهوض باللغة العربية لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة.

ج. وضع معاجم مصطلحات العلوم والآداب والفنون، والسعي إلى توحيد المصطلحات بالتعاون مع المؤسسات التربوية والعلمية

واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها.

د. إحياء التراث العـربي والإسلامي.

ويتولى المجمع في سبيل تحقيق أهدافه ما يلي:

أ. إجـراء الدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية.

ب. تشجيع التأليف والترجمة والنشر فـي اللغة العربية وقضاياها.

ج. عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها، وإقامة المواسم والندوات الثقافية.

د. نشـر المصطلحات الجديدة التي يتم توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الإعلام، وتعميمها على أجهزة الدولة.

هـ. إصدار مجلة دورية محكمة ورقياً وإلكترونياً تسمى مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وأي مجلة متخصصة أخرى.

و. التعاون مـع الجامعات

والمؤسسات العلمية والتربوية داخل المملكة وخارجها، وإقامة روابط علمية معها، وتوثيق الصلة بالمجامع العلمية واللغوية في البلاد العربية والإسلامية والأجنبية.

– آلية عمل المجمع:

يتألف المجمع من:

مجلس المجمع: وهو الهيئة العامة التي ترسم سياسة المجمع.

المكتب التنفيذي: يتولى إدارة المجمع والإشراف على أعماله.

الأمانة العامة للمجمع: يعين الأمين العام بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناءً على تنسيب الرئيس.

عدد من المديريات الإدارية والمالية، ويندرج تحتها عدد من الأقسام.

المجمع والتّعريب

استندت تجربة المجمع في تعريب التّعليم الجامعيّ إلى ثلاث ركائز:

* ترجمة الكتب العلميّة المنهجيّة: حيث أصدر المجمع اثنيْن وعشرين مجلّدًا ضخمًا مترجَمًا عن اللّغة

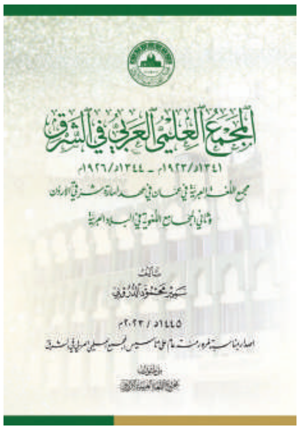

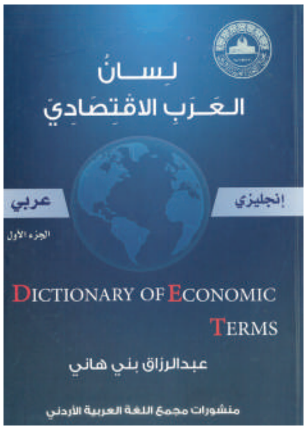

الإنجليزيّة في العلوم العقلية. لقد صدرتْ هذه المجلّدات ما بيْن عامَيْ 1979م و 1985م.

* تعريب الرّموز العلميّة: لما في الأبجديّة العربيّة ما يُغني عن الحروف الأجنبيّة؛ على أنْ تُستعملَ حروف الأبجديّة كلُّها مَعَ نقطها، وأنْ تُجرى تغييراتٌ على أشكال الحروف تُميّزها من غيْر أنْ تَطْمُسَ هُويّتها. وقد نال هذا المشروع حظّهُ من التّحليل في ندوة علميّة عقدَهَا في رحاب مَجْمعِنا اتّحادُ المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة على مدى ثلاثة أيّام (27-1407/5/29هـ، الموافق 27-1987/1/29م) وأقرّت النّدوة نظامًا متكاملًا للرّموز العلميّة العربيّة ممّا يُعدّ إنجازًا بارزًا.

* **تعريب المصطلحات**: اهتمّ المجمع بهذا الموْضوع اهتمامًا لا نظيرَ له منذ نشأته. وطلب إلى المترجمين تذييلَ كلّ كتابٍ يُترجَم بمَسْردٍ للمصطلحات الواردةِ فيه. وقد تلقّى المجمع عَبْرَ مسيرتِه قوائمَ كثيرةً من المصطلحات

في مجالاتٍ علميّةٍ وتكنولوجيّةٍ وتقنيّةٍ شتّى للاستئناس برأيه.

الرؤساء المتعاقبون على رئاسة المجمع

1 - الشيخ سعيد الكرمي (1923م – 1926م).

2 - الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (1976م – 2015م)

3 - الأستاذ الدكتور خالد الكركي (2015م – 2023م)

4 - الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت (2023م- ....)

الآثار العلميّة لمجمع اللغة العربية الأردنيّ

1 – **مجلّة المجمع المتخصّصة**

نصَّ البند (و) من المادة الخامسة من قانون المجمع على: «إصدار مجلة دورية تعرف باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الأردنـي)، وصدر العدد الأول من مجلته في صفر 1398هـ الموافق كانون الثاني 1978م. فصدرت أعداد مجلة المجمع منذ عام 1978م حتى عام 1984م، أي من العدد الأول حتى العدد السادس والعشرين على صورة أعـداد مزدوجة، ثم أصبحت تصدر في أعداد مفردة متسلسلة ومنتظمة منذ عام 1985م، أي من العدد السابع والعشرين حتى آخر

عدد صدر منها عام 2023م، وهو العدد التاسع بعد المئة.

2 – **كتاب الموسم الثقافي**

وهو كتاب يصدر عن مواسم المجمع المنعقدة في رحابه، وقد صدرت أعداده من العدد الأول عام 1983م، حتى العدد الواحد والأربعين عام2023.

3 – **كتاب المؤتمر السنوي**

وهو كتاب يصدر عن مؤتمرات المجمع المنعقدة في رحابه، وقد صـــدرت أعـــداده من العدد الأول عام 2017م، حتى العدد السابع عام2023.

4 – **إطلالة مجمعيّة**

أصدر المجمع أحد عشر عدداً من النشرة الإخبارية الفصلية بعنوان "إطلالة مجمعية"، واحتوت الإصـــدارات كلمة العدد للأستاذ

بذل المجمع جهوداً كبيرة للحصول على مخطوطات الفلاحة الأندلسية من المكتبة الوطنية في باريس

لرئيس المجمع، وشخصية العدد، كما تضمّنت مجموعة من الأخبار المجمعية، وبعض ملخصات بحوث أعداد مجلة المجمع، وعناوين أخرى مثل: أنت تسأل والمجمع يجيب، ومبادرات لغوية، ومبدعون، وعين على المجمع، وسوف تصدر الأعداد تباعاً من هذه الإطلالة بإذن الله.

5 – **منشورات في تحقيق التراث**

ومن أبرز ما أنجزه المجمع في مجال تحقيق التراث ما يأتي:

1 – **تحقيق رسائل أبي العلاء المعري**

حققها الدكتور عبدالكريم خليفة، ونشرتها اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، وصـــدر عام 1976م، وتولى المجمع توزيعه، وهو في مجلد واحد يضم ثلاثة أجزاء.

2 – **المقنع في الفلاحة**

قام المجمع بنشر كتاب «المقنع في الفلاحة» من تأليف ابن حجاج الإشبيلي، تحقيق صلاح جرار،

وجاسر أبو صفية، وإشراف وتدقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري، عضو الشرف في المجمع.

وصدر هذا التحقيق عام 1402هـ/ 1982م.

3 – **الفلاحة الأندلسية**

بذل المجمع جهوداً كبيرة للحصول على مخطوطات هذا الكتاب من المكتبة الوطنية في باريس ونشرتها بالفرنسية عام 1864م، ومخطوطة المتحف البريطاني في لندن، ومخطوطة مكتبة الأسد بدمشق، ونسخة المخطوطة المطبوعة في مدريد سنة 1802م التي ترجمها المستشرق بانكويري إلى الإسبانية. وعهد المجمع إلى الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور سمير الدروبي والدكتور علي محاسنة بتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً يستوفي جميع شروط التحقيق العلمي. وبعد الانتهاء من تحقيقه عهد المجمع إلى الدكتور

بشار عواد بمراجعته علمياً، وصدر الكتاب في أربعة أجزاء، سنة 2012م.

4 – فهارس المخطوطات

أ- فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل

وقد قام بالفهرسة الأستاذ محمود علي عطالله.

وصــدر هذا الفهرس في منشورات المجمع عام 1983م.

ب- فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي

أعده الأستاذ محمود علي عطالله، وقد صدر هذا الفهرس في منشورات المجمع عام 1983م.

ج- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا

وهو من سلسلة المخطوطات التي أعدها الأستاذ محمود علي عطالله، ونشره المجمع عام 1983م.

د- فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا

أعدّه الأستاذ محمود علي عطاالله، ونشره مجمع اللغة العربية الأردني عام 1984م.

هـ- مخطوطات فضائل بيت المقدس، دراسة بيليوغرافيا

أعد هذه الدراسة والبيليوغرافيا الدكتور كامل جميل العسلي، ونشرها المجمع عام 1981م.

و- فهرس مخطوطات كلية الدعوة وأصول الدين

أعده الدكتور أحمد العلمي، مدير مكتبة الدعوة وأصول الدين، ونشره المجمع عام 1986م.

ز- فهرس المخطوطات المحفوظة في

مجمع اللغة العربية الأردني
أعده السيد محمد علي العناسوة، ونشره المجمع عام 1998م.

5 - **المعاجم:**

❋ معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن: ألّفه المجمع بإشراف لجان متخصصة، وقامت مكتبة لبنان ناشرون بطبع هذا المعجم وفق اتفاقية بينها وبين المجمع عام 2006م.

❋ معجم لسان العرب الاقتصادي تأليف الأستاذ الدكتور عبدالرزاق بني هاني (3 أجزاء)

6 - **دراسات لغوية:**

أ- تيسير العربية بين القديم والحديث ألفه الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المجمع آن ذاك- ونشر المجمع الطبعة الأولى منه سنة 1989م.

ب- اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث

ألفه الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع، آن ذاك، ونشره المجمع ضمن منشوراته، وأصدر منه طبعتين: الأولى سنة 1987م، والثانية سنة 1988م.

7 - كتاب معرفة محنة الكحالين، تحقيق نشأت حمارنة وكمال رجب

8 - كتاب مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عاماً

9 - كتاب العين والبصر في القرآن الكريم تأليف عضو المجمع الأستاذة الدكتورة سرى سبع العيش

10 - تاريخ العلوم والتكنولوجيا في الحضارة العربية الإسلامية، تأليف لجنة التأليف والترجمة في المجمع.

11 - مجلة البيان العربي (5 أعداد)

12 - كتاب قبة السماء تتكلم العربية تأليف عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد.

13 - نظم المعلومات الإدارية لعصر المعلومات، ترجمة وجيه ندّة.

14 - كتاب نفثة مصدور تأليف عضو المجمع الأستاذ الدكتور محمد حوّر

15 - كتاب المجمع العلمي في الشرق العربي تأليف عضو المجمع الأستاذ الدكتور سمير الدروبي

النّدوات والمحاضرات

من النّدوات العلمية:

❋ ندوة مشتركة مع منتدى الفكر العربي بعنوان: «اللغة العربية والإعلام وكتّاب النص»، بتاريخ 2005/9/13م.

* محاضرة «يوم الخروج، المتنبي هارباً»، ضمن سلسلة لقاءات المجمع الشهرية في رحابه، مساء الأربعاء الموافق 2016/5/11م، للدكتور عبدالعزيز المانع، وكانت الجلسة برئاسة معالي الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع.

* محاضرة «اللغة العربية في الإعلام العربي»، ضمن سلسلة لقاءات المجمع الشهرية في رحابه، مساء الثلاثاء الموافق 2016/6/9م، للأستاذ فاروق شوشة الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكانت الجلسة برئاسة معالي الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع.

* محاضرة «التفكير بالدولة: السياسة والسياسة الشرعية في المجال الإسلامي»، للمفكر العربي الأستاذ الدكتور رضوان السيد من الجمهورية اللبنانية، مساء يوم الأحد الموافق 2016/11/20م، في رحاب المجمع في قاعة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة ضمن سلسلة لقاءات المجمع الشهرية.

* ندوة للاحتفاء بالمخطوط العربي، بعنوان: «إرثنا المخطوط في زمن العولمة» بالتعاون مع مركز التوثيق الملكي، بتاريخ 5 نيسان 2022م.

* ندوة حوارية وجاهية ضمن مشروع الندوات العلمية، حول مضامين كتاب (Handbook of Research in Second Language Teaching and Learning: Volume III) "كتيّب البحث في تعليم اللغة الثانية وتعلّمها– المجلد الثالث" قدمه الدكتور محمد خليل الحاج، وكتاب (Culturally Sustaining Pedagogies) "الطرائق التربوية في حفظ الثقافة وإدامتها" قدمه الأستاذ الدكتور أحمد بطاح. بتاريخ 19 أيّار عام 2022م.

* نـــدوة حوارية حول محتوى كتاب (Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics by Jack C Richards & Schmidt) "قاموس لونغمان لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية" قدمه الأستاذ الدكتور محمد عصفور، ومحتوى كتاب (Transforming Schooling for Second Language Learners: Theoretical Insights, Poli-cies, Pedagogies, and Practices) "النهوض بالتعليم لمتعلمي اللغة الثانية: الرؤى النظرية والسياسات والأساليب والممارسات التربوية" قدمه الدكتور أمجد السيوف، بتاريخ 2 حزيران 2022م.

* ندوة علمية بعنوان: «العربيةُ لسانٌ وبَيَانٌ» للأستاذ الدكتور فتحي ملكاوي، بتاريخ 23حزيران عام 2022م.

* ندوة علمية بعنوان: "العدول عن الأصل في العربية وتلوين الخطاب سيميائياً: وضع الظاهر موضع المضمر نموذجاً"، حاضر فيها الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز، بتاريخ 21 تموز عام 2022م.

* ندوة حوارية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال بتاريخ 18 / 12 / 2023م حاضر فيها كل من: الدكتور محمد الضويني وكيل الأزهر والدكتور محمد السليمي من عُمان والدكتور عبدالله ولد أباه من موريتانيا والدكتور محمد حسين آل ياسين رئيس المجمع العلمي العراقي.

* وجلسة علمية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال بتاريخ 18 / 12 / 2023م بعنوان: «المجمع العلمي في الشرق العربي» حاضر فيها أعضاء المجمع الأساتذة: الدكتور يوسف بكار والدكتور عبدالمجيد نصير والدكتور سمير الدروبي.

المؤتمرات العلمية والمواسم الثقافية

* مؤتمر المجمع لعام 2017م، بعنوان: «اللغة العربية في الجامعات العربية، في المدة من 17 – 2017/10/18م.

* مؤتمر المجمع لعام 2018م، بعنوان: «اللغة العربية والفكر المعاصر: بين التواصل والتكامل»، في المدة من 25 – 26 نيسان 2018م.

* مؤتمر المجمع لعام 2019م، بعنوان: «البلاغة العربية بين القديم والحديث».

* مؤتمر المجمع لعام 2020م، بعنوان: «قضايا النحو العربي بين الثوابت وضرورات التجديد».

* مؤتمر المجمع لعام 2021م، بعنوان: «أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية: الواقع والمستقبل».

* مؤتمر المجمع لعام 2022م، بعنوان: «الأجناس الأدبية في النثر العربي القديم».

* مؤتمر المجمع لعام 2023م، بعنوان: «اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي».

* ومن المواسم الثقافية، الموسم الثقافي السابع عشر لعام 1999م، موضوعه: تقويم خطط أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية أكاديمياً وعلمياً.

* الموسم الثقافي التاسع والثلاثون 2021م بمناسبة مئوية الدولة الأردنية.

* الموسم الثقافي الأربعون 2022م، وموضوعه: اللغة العربية والتواصل الحضاري.

* الموسم الثقافي الواحد والأربعون 2023م، وموضوعه: القدس في الشعر العربي المعاصر.

نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

- بَيْنَ النَّحْوِ والقُرْآنِ... عَلَاقَةٌ وَطِيدَةٌ
- وقْفةٌ مع الاحتباكِ في البَيانِ القرآنيّ
- من الطّرائف .. (بين شيْخٍ في الكُتّاب وابنٍ لأحد الأعراب)

بَيْنَ النَّحْوِ والقُرْآنِ... عَلَاقَةٌ وَطِيدَةٌ

لقد كان القرآنُ الكريمُ وما زالَ كتابَ هدايةٍ وإرشادٍ، أنزلَه الله تعالى على نبيّه محمّدٍ ﷺ ليكونَ مُعجزًا للخليقةِ كلِّها، من بدايةِ نزولِه إلى وقتِ قيامِ الساعة، وَ كلّما ظنَّ قومٌ أنّهم وصلُوا إلى نهايةِ البحثِ فيه، جاء آخرون من بعدِهم لِيُبرِزُوا فيه مجالًا آخرَ جديدًا للبحثِ والدّراسة، فعطاؤهُ مُتجدِّدٌ، يَنهلُ منه النّاس أجمعون، كلٌّ على قدْرِ طاقتِه، وعلى حدِّ معرفتِه وثقافتِه.
للقرآنِ الكريمِ أكبرُ شأنٍ في أمرِ الإسلامِ والمسلمين، فهو هدْيُهم في شريعتِهم، وهو المنارُ الذي يُستضاءُ به في أساليبِ البلاغةِ العربيّةِ، بل هو المنبعُ الصّافي الذي يَنهلُون منه فلسفتَهم الرّوحيّةَ والخُلقيّةَ، وهو بالجُملةِ الموجِّهُ لهم في الحياةِ والمعاملاتِ وشتّى مظاهرِ الحياة.

محمد عبد الباقي
باحث/ مصر

فلا عجَبَ أن يكونَ القرآنُ الكريمُ موضعَ عنايةِ المسلمين منذُ القِدَم، فقد تتابَعتْ أنواعُ التآليفِ في أحكامِه وفي تفسيرِه وفي بلاغتِه وفي لُغتِه وفي إعرابِه، حتى لقدِ ازدهرتْ في الثّقافةِ الإسلاميّةِ ضروبٌ منَ العلومِ والفنونِ عَنِ القرآنِ الكريمِ وتحت رايتِه (1).

هذا في حدِّ ذاتِه مُعجزةٌ للقرآنِ الكريمِ كما ألْمحتْ إلى ذلك الدّكتورةُ عائشةُ عبد الرحمن بقولِها: «من إعجازِ القرآنِ أن يَظلَّ مَشغلةَ الدّارسين العلماءِ جيلًا بعد جيلٍ، ثمّ يظلَّ أبدًا رحْبَ المدَى سخِيَّ الموردِ كلّما حسبَ جيلٌ أنّه بلغَ منه الغاية، امتدَّ الأفقُ بعيدًا وراءَ كلِّ مَطمحٍ، عاليًا يفوتُ طاقةَ الدّارِسين» (2).

ولمّا كان من شروطِ قَبولِ القراءةِ القرآنيّةِ التي أشارَ إليها ابنُ الجزَريِّ بقولِه في الطيّبةِ:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ
وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرَآنُ
فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الأَرْكَانُ
وَحَيثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ
شُذُوذَهُ لَوْ أنَّهُ فِي السَّبعَةِ (3)

موافقةُ اللّغةِ العربيّةِ ولو في وجْهٍ منَ الوجوهِ، اتّجه علماءُ اللّغةِ إلى القرآنِ بقراءاتِه مُتواترِها وشاذِّها فكانتْ مَجالًا خِصبًا للدّراساتِ اللّغويّةِ المتعدّدةِ من عدّةِ جوانبَ، الجانبِ الصّوتيِّ والجانبِ الصّرفيِّ والجانبِ النّحويِّ والجانبِ البلاغيِّ وغيرِ ذلك.

وللإمامِ السّيوطيِّ كلامٌ ماتعٌ عن ما يَحويه القرآنُ العظيمُ من علومٍ ومعارفَ في كتابِه: (الإتقانُ في علومِ القرآنِ) فيقولُ رحمه الله: "وإنّ كتابَنا الْقرْآنُ لَهوَ مُفجّرُ العلومِ ومنْبعُها ، ودائرةُ شمْسِها ومطْلعُها أوْدعَ فيه سُبحانه وتعالى علْمَ كلِّ شيءٍ وأبانَ فيه كلَّ هدْيٍ وغيٍّ، فترى كلَّ ذي فنّ منْه يسْتمدُّ وعليه يعْتمدُ، فالفقيهُ يَستنبطُ منه الأحكامَ ويَستخْرجُ حُكْمَ الحلالِ والحرامِ، والنّحْويُّ يبْنِي منه قواعدَ إعرابِه ويرجعُ إليه في معْرفةِ خطأ القوْلِ من صوابه، والبيانيُّ يهْتدِي به إلى حُسْنِ النّظامِ ويعْتبرُ مسالكَ البلاغةِ في صوْغِ الْكلامِ، وفيه منَ

القصص والأخْبارِ ما يذكّرُ أُولي الأبْصارِ ومِنَ المواعظِ والأمْثالِ ما يزْدجرُ به أولو الفكْرِ والاعْتبارِ إلى غيْرِ ذلك منْ علوم لا يُقدّرُ قدْرَها إلّا منْ علمَ حصْرَها، هذا مع فصاحةِ لفْظٍ وبلاغةِ أسْلوبٍ تُبْهرُ العقولَ وتسْلبُ القلوبَ وإعْجازِ نظْمٍ لا يقْدرُ عليْه إلّا علّامُ الغيوبِ(4).

فكان القرآنُ - ولا يزالُ - ميدانًا خِصبًا للعلماءِ في سائرِ العلومِ والفنونِ المختلفة، كلٌّ ينهلُ منه على قدْرِ علْمِه وفي ضوءِ تخصُّصِه، وهو مع ذلك لا يزالُ غضًّا طريًّا صالحًا للبحثِ والدّراسةِ إلى قيامِ السّاعة، ومِنَ العلومِ التي نالت جُهدًا كبيرًا مِنَ الباحثِين والدّارسِين علْمُ النّحوِ والقراءاتِ القرآنيّة، وما بينَهما من ترابُطٍ، فدارسٌ يبحثُ في مُتواترِها، وآخرُ يبحثُ في شاذِّها، وثالثٌ يبحثُ في توجيهِها، ورابعٌ يبحثُ في استنباطِ أحكامِها الفقهيّةِ.

والقرآنُ الكريمُ ليس مجالاً للدّراساتِ الشّرعيّةِ أو

د. عائشة عبد الرحمن

الأحكامِ الفقهيّةِ فحسْبُ، بل أصبحَ مصدرًا أساسيًّا للدّراساتِ المختلفةِ في مجالاتٍ عدّةٍ، منها الدّراساتُ اللّغويَّةُ من نحوٍ وصرْفٍ، وبَلاغةٍ وأدبٍ، وفنونِ القراءاتِ وغيرِها، ومن أجَلِّ العلومِ وأعظمِها وأوثقِها ارتباطًا بالقرآنِ الكريم: علْمُ العربيّةِ إذ هي خيرُ اللّغاتِ والألسنة، محفوظةٌ بحفْظِ الدّينِ والوحْيِ كَمَا قالَ اللهُ تَعالى :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ (5).

وإنّ من أجلِّ علومِ العربيّةِ وأعظَمِها: علْمَ النّحوِ؛ لأنّه لا يَستغنِي عنه أيُّ علْمٍ منَ العلومِ الشّرعيّةِ والعربيّةِ، ولا يفهمُ المرادُ من كلامِ اللهِ تعالى وكلامِ رسولِه صلّى الله عليه وسلّم حقَّ الفهْمِ إلّا به، فهذا الإمامُ مكّي القيسيُّ(6) يقولُ في مقدّمةِ مُشْكلِ الإعرابِ: «ورأيتُ من أعظمِ ما يجبُ على طالبِ علومِ القرآنِ، الرّاغبِ في تجويدِ ألفاظِه، وفهمِ معانيه ومعرفةِ قراءاتِه، وأفضلِ ما القارئُ إليه محتاجٌ

معرفةُ إعرابِه والوقوفُ على تصرّفِ حركاتِه وسواكنِه ليكونَ بذلك سالـمًا منَ اللّحن فيه».

فالنّحوُ من أهمِّ الأدواتِ التي استعانَ بها العلماءُ على فهْمِ النّصوصِ القُرآنيّةِ ومعرفةِ أسرارِ إعجازِها، ولا يخفَى على أحدٍ ارتباطُ علْمِ النّحوِ والإعرابِ بالقرآنِ الكريم وقراءاتِه في توضيحِ معنَى الآياتِ القُرآنيّةِ، وإظهارِ مُرادِ الله فيها، وبيانِ مقاصدِها.

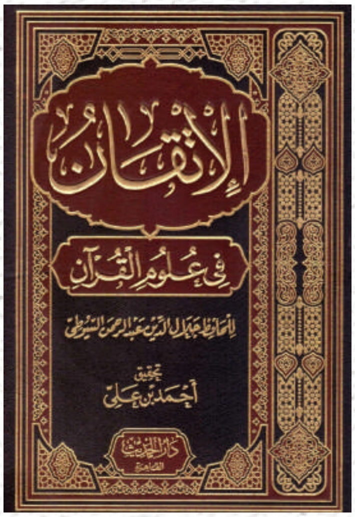

فارتباطُ علْمِ النّحوِ بالقرآنِ بدأَ مُبكّرًا، منذُ نزولِ القرآنِ إلى يومِنَا هذا، حيث نزلَ القرآنُ على النّبيِّ ﷺ في مكة، وقريشٌ تتباهَى وتتفاخرُ بالفصاحةِ والبلاغةِ، والقبائلُ العربيّةُ تقيمُ أسواقًا يتبارَى فيها الشّعراءُ والخطباءُ بفصاحتِهم وبلاغتِهم وأشعارِهم، حتى كثرتِ الفتوحاتُ وانتشرَ الإسلامُ في ربوعِ الأرض، ودخلَ النّاسُ في دينِ الله أفواجًا، واختلطَ العربُ بغيرِهم وفشَا اللّحنُ، فكان لزامًا أن يُوضعَ علْمٌ يحفظُ اللّسانَ العربيَّ، ويصونُ اللّغةَ العربيّةَ منَ الانْضِمام إلى اللُّغاتِ الأخرِ، فهبَّ الغُيُرُ على اللّغةِ ووضَعُوا أساسَ علوم اللّغةِ العربيّةِ ـ علْمَ النّحو ـ حفاظًا وغيرةً على اللّغةِ وأهلِها، من هنا نشأَ الارتباطُ الوثيقُ بين النّحْوِ والقرآنِ الكريم بقراءاتِه المختلفة.

ونقلَ أبو القاسم الهذليُّ عن أبي بكرِ بنِ مجاهدٍ أنّه قال: «لا تَغْترّوا بكلِّ مُقرئٍ إذِ النّاسُ على طبقاتٍ؛ فمنهم من حفظَ الآيَةَ والآيتَين والسُّورةَ والسُّورتَين، ولا علْمَ له غيرَ ذلك فلا تؤخذُ عنه القراءةُ، ولا تُنقلُ عنه الرّوايةُ ولا يُقرأُ عليه، ومنهم من حفِظَ الرّواياتِ، ولم يعلَمْ معانِيَها ولا استنبَاطَها من لُغاتِ العربِ، ونحوَها فلا تُؤخذُ عنه؛ لأنّه ربّما يُصحّفُ، ومنهم من يعلَمُ العربيّةَ، ولا يتبعُ الأثرَ والمشايخَ في القراءةِ فلا تُنقلُ عنه الرّوايةُ؛ لأنّه ربّما حسّنتْ له العربيّةُ حرفًا ولم يُقرأْ به والرّوايةُ مُتّبَعةٌ والقراءةُ سُنّةٌ يأخذُها الآخرُ عنِ الأوّلِ، ومنهم من فَهِمَ التّلاوةَ وعلِمَ الرّوايةَ، وأخذَ حظًّا منَ الدّرايةِ من النّحوِ واللّغةِ، فتُؤخذُ منه الرّوايةُ ويُقصدُ للقراءةِ» (7).

ومِمّا يُؤكّدُ هذا الارتباطَ بين النّحوِ والقراءاتِ القرآنيّةِ اهتمامُ النُّحاةِ بالقراءاتِ القُرآنيّةِ، وتوجيهِها والتّعليلِ لها،

النّحو من أهمّ الأدوات التي استعان بها العلماء على فهم النّصوص القرآنيّة

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): تأويل مشكل القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص3.

(2) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ :الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة، ص19.

(3) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) متْن «طيّبة النّشْر» في الْقراءات الْعشْر لابن الجزري ، المحقق: محمد تميم الزغبي، الناشر: دار الهدى، جدة، ط: الأولى، 1414هـ – 1994م، ص 32.

(4) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء: 4، ص1/ 16.

(5) الحجر: 9.

فهُمْ مَن أخذُوا بشروطِ القراءةِ المقبولةِ ـ غالبًا ـ ولكنّهم قبلُوا القراءةَ النّادرةَ والشّاذّةَ ـ أحيانا ـ بعد أن أخضَعُوها لمقاييسِهم، فهم لم يقبَلُوا «قراءةَ أحدٍ منَ القُرّاءِ إلَّا إذا ثبتَ أخذُه عمّن فوقَه بطريق الـمُشافهةِ والسّماعِ حتّى يتّصلَ الإسنادُ بالصّحابيّ الذي أخذَ عن رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ(8).

كما أنّ لنزولِ القرآنِ باللّغةِ العربيّةِ على النّبيِّ ﷺ كَما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾(9) مَلمحًا مهمًّا في العلاقةِ الوثيقةِ والمتينةِ بين النّحوِ والقرآنِ، ومن ثَمَّ بين النّحوِ والقراءاتِ القرآنيّةِ، وتأكيدًا لهذه الصّلةِ الوثيقةِ بين النّحوِ والقراءاتِ كثيرًا ما تذكرُ كتُبُ المتقدّمين عنِ النُّحاةِ وعلماءِ اللّغةِ والقراءاتِ (وكان إمامًا في النّحوِ والقراءاتِ، وكان عالمًا في اللّغةِ والقراءاتِ وهكذا...).

ويرى ابنُ الجَزَريِّ أنّ النّحوَ والصّرفَ من أهمِّ ما يحتاجُ إليهما قارئُ القرآنِ ومُعلّمُه؛ لأنّه محتاجٌ إليهما في توجيهِ القراءاتِ، فقال رحمه الله تعالى: «والذي يلزمُ المقرئَ أن يَتخلقَ به منَ العلوم قبْلَ أن يَنصبَ نفسَه للاشتغالِ أن يعلَمَ منَ الفقهِ ما يُصلحُ به أمرَ دينِه، ولا بأسَ منَ الزّيادةِ في الفقهِ بحيث إنّه يُرشدُ طلبتَه، وغيرَهم إذا وقعَ لهم شيءٌ، ويعلَمُ منَ الأصولِ قدْرَ ما يدفعُ به شُبهةَ من يَطعنُ في بعضِ القراءاتِ، وأن يُحصّلَ جانبًا منَ النّحوِ والصّرفِ بحيث إنّه يُوجِّهُ ما يقعُ له منَ القراءاتِ، وهذا

من أهمِّ ما يحتاجُ إليه وإلّا يُخطئُ في كثيرٍ ممّا يقعُ في وقْفِ حمزةَ والإمالةِ ونحوِ ذلك منَ الوقْفِ والابتداءِ وغيرِه» (12).

وخُلاصةُ القولِ: أنّ هناك ارتباطًا وتلازُمًا قويّينِ بين النّحوِ والقرآنِ الكريمِ، ومن ثَمَّ بين النّحوِ والقراءاتِ القرآنيّةِ، فالنّحويُّ لا غنَى له عنِ القرآنِ الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾، إذ هو المادّةُ الأساسُ في استشهادِه بالقواعدِ النّحويّةِ والتّأصيلِ اللُّغويِّ، والقرآنُ الكريمُ له الفضلُ الأكبرُ في تهذيبِ اللّغةِ وتقْعيدِها وضبْطِها، وحفْظِها على مرّ العصورِ، ولا سبيلَ إلى الفَهمِ الصّحيحِ لأحكامِ القرآنِ ومعانِيه، ومَعرفةِ مرادِ الله عزّ وجلّ من خلْقِه، إلا بمعرفةِ عِلْمِ النَّحْوِ وقَواعِدِه.

---

(6) مكي القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ 1984–م، ص(1/63).

(7) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1420هـ 1999–م، ص10.

(8) دكتور/صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، ص: 250 ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني / يناير 2000، عدد الصفحات: 382.

(9) يوسف : 2.

(12) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص: 9 ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى 1420هـ 1999–م.

وقفةٌ مع الاحتباك في البيانِ القرآنيّ

النّصّ القرآنيّ معجزٌ بمبناه ومعناه، ولفرط فصاحته وبهاء بيانه، عجز العربُ الفصحاءُ والأعرابُ الأبيناءُ عن مُعارضته ومُساجلته، وخرُّوا بين يدي فصاحته ساجدين، ونكصوا على أعقابهم مبهوتين، وولّوا على أدبارهم مذؤومين مدحورين.

والبيان القرآني ذو سمات عاليةٍ وخصائصَ سامية، منها جزالةُ اللّفظ ودقّة انتقائه، وإحكامُ النّظم وروعة بنائه، والتّوافق، والانسجام، والإيجاز، واختيار الأسلوب الموافق لجوّ السورة والغرض الذي سيق له الكلام وغير ذلك ممّا لا يُحصى من مآثر التعبير القرآنيّ البديع المتفرّد. وفي هذا المقال وَقفةٌ قصيرةٌ وإطلالة على ظاهرة الحذف التّقابليّ الذي هو مَظْهرٌ من مظاهر الإيجاز في البيان القرآنيّ، والإيجاز في معناه العامّ قلّة عدد الألفاظ مع كثرة المعاني، وقد وقف عنده البلاغيّون منذ نشأة الدّرس البلاغيّ وقفاتٍ مطوّلةً، وجوّدُوا في تعريفه وتَعْداد أنواعه.

د. امحمد المستغانميّ
أمين عام مجمّع اللغة العربيّة بالشّارقة

عرّفه الأديبُ السّيّد أحمد الهاشمي بقوله: «الإيجاز: كونُ اللفظ أقلَّ من المعنى مع الوفاء به»، ودأب البلاغيّون أن يُمثّلوا للإيجاز في كتاباتهم التعليميّة بقوله تعالى: {خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩} [الأعراف: ١٩٩] نظرا لما تحمله هذه الآيةُ الموجزة في مبناها، القليلة في عدد ألفاظها من معانٍ كثيرة يضيقُ المقام لتحليلها وإبرازها. وكذلك يقفون عند قوله تبارك اسمه: {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]، وقوله سبحانه: {وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ} [البقرة:١٧٩] لما تحويه هذه العبارات القرآنيّةُ من معان كثيرة وأحكام جليلة مع إحكام في الصّوغ وجلالة في النّظم.

وللإيجاز أنواع: إيجازُ قِصَرٍ، وهو ما كانت العبارة قليلةً في عدد ألفاظها وكثرت المعاني والفِكَرُ التي يستفيدها القارئ منها، وإيجازُ حَذفٍ وهو الحذف الذي له في الكلام ما يدلُّ عليه، ولا يؤدّي إلى فساد المعنى بل يزداد به الكلام تماسكا وإحكاما وبهاء.

والعربيّ الفصيحُ مفتونٌ بالإيجاز وإحكام البيان، وكلّما كان الكلام موجزا بليغا مؤدّيا للمطلوب، ابتهج به العربيّ وعَدَّهُ من أعلى طبقات الكلام الفصيح.

وقديما عرّف أحدُ الحكماء البلاغة بقوله: **لَمْحَةٌ دالّة**، وعرَّفها آخر قائلا: **أن تقول فلا تُبطئ، وتُعبّر فلا تُخْطئ**. وقد وقف مُحبّو البيان البليغ عند قصّة الخليفة الذي التقى في إحدى رحلاته البريّة بغلام يرعى قطيعا كبيرا من الأنعام، فتعجَّبَ الخليفةُ من الصّبيّ الذي يتمكّن وهو في ريعان الصّبا من تعَهُّد القطيع الكبير وحُسْن رعايته، فقال له: **ما هذا يا غلام؟ فأجابه الغلام: مالُ الله في يدي**. فازداد الخليفة تعجّبا من حكمة الغلام وحسن بيانه فأكرمه وقرّبه إليه.

ومن بديع الإيجاز لونٌ أطلق عليه علماء البيان

الحذفَ التّقابلي أو الحذف المقابليّ، وسمّاه آخرون الاحتباك. والمراد بالحذف المقابلي أو التقابلي على تعريف الإمام البقاعي: «**أن يُؤتى بكلامين، يُحذَفُ منهما شيءٌ إيجازا، يدلُّ ما ذُكِرَ على ما حُذفَ في الآخر**».

وكان الإمام الزركشي أكثر وضوحا حين عرّفه بقوله: «**أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذَف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه**».

أمّا فقهاء البيان الذين استهواهم مصطلح الاحتباك فقد ذهبوا إلى هذا الاختيار لأنّهم رَأَوا أنّ مادّة (ح ب ك) هي الأقدر على التّعبير عن هذا النّوع من الحذف الذي يؤدي الغرض الذي يساق له الكلام، وفي الوقت نفسه يُبْديه بشكل بيانيّ جميل مبهج بهيّ.

لا يخفى أنّ مادّة (حبك) هي من قاموس الحياكة والنّسج والخياطة. قال ابنُ الأعرابي: **كلُّ شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته. والعرب يقولون: حبك فلانٌ الثَّوْبَ أي: نسجه. والنّسجُ هو تشابُكُ الخيوط من سُدّة ولحمة بدقّة وإحكام، حتّى يكون الثوب جيّدا ومحكما.**

من هذا المعنى اللغويّ، استقى البيانيّون مصطلح (الاحتباك) وعدّوه من المحسّنات اللفظيّة التي تحسّنُ الكلام وتُجوّده وتُزَيّنه. قال السّيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان: «**مأخذُ هذه التسمية من الحَبك الذي معناه الشّدّ، والإحكام، وتحسينُ أثر الصّنعة في الثّوب، فحبك الثوبَ: سدّ ما بين خيوطه من الفُرَج، وشدّه وأحكمه بحيث يمنع عنه الخلل، مع الحُسن والرَّوْنق، وبيان أخذه منه من أنّ مواضع الحذف في الكلام شُبّهت بالفُرَج بين الخيوط، فلمّا أدركها النّاقدُ البصيرُ بصوغه الماهر في نظمه وحَوْكه، فوضع المحذوفَ مواضعه، كان حابِكا له، مانعا من خلل يطرقُهُ، فسَدَّ بتقديره ما يحصُلُ به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن**

والرّونق».

والملاحظ أنّ الاحتباك في التعبير على الرُّغم من جمال ما يُؤدّيه في زخرفة الكلام وتجويده وإيجازه إلّا أنّ حضوره في التعبير البشري قليلٌ نظرا لحرص البشر على بيان المراد ممّا يقولون وتجلية الأغراض التي إليها يقصدون، وبالمقابل نجد أنّ هذا الضّرب من الحذف كثيرٌ في البيان القرآني، وهو ممّا يزيد في إحكام التعبير القرآنيّ وجودة سبكه وبهاء نسجه.

ووقفةٌ سريعةٌ في رياض سور القرآن تُطلعنا على عدد كثير من الآيات القرآنيّة التي جاء الاحتباك زينةً في جيدها وقلادةً في نحرها.

من ذلك قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١} [غافر: ٤١]، حيث قال الرّجل الذي آمن من آل فرعون لقومه يناشدهم أن يدخلوا في ساحة الإيمان بالله تعالى ليَضْمَنُوا لأنفسهم النّجاة من النّار والفوز بالجنّة: يا قومي، يا من تجمعني بكم رابطة القوميّة، وآصرةُ الأرومة، ما لي أدعوكم إلى الإيمان بالله الذي ينجيكم من النّار ويضمن لكم الجنّة بفضله ورحمته، وتدعونني إلى الكفر الذي يغمسني في النّار؟

من حيث النّظم، يجد المتأمّل في هذه العبارة القرآنيّة أنّه سبحانه ذَكَرَ في الجزء الأوّل من الجملة الدعوة إلى النّجاة وحذف الجنّة التي هي مستقرّ النّاجين من النار، وذكر في الجزء الثاني دعوتهم إيّاه إلى النّار وحذف لفظ (الهلاك) الذي يدلّ عليه لفظ (النّجاة) في الجزء الأول، وهذا ما يسمّيه البلاغيّون بالاحتباك أو الحذف التقابليّ.

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه: {مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ۝٦٦} [المائدة: ٦٦]. في هذه الآية الكريمة حذفٌ يدلّ عليه التّقابل بين جُزْأي الجملة حيث إنَّ جملة {منهم أمّة مقتصدة} يقابلها في الجزء الثاني: (ومنهم جائرون مغالون في المعاصي)، وقوله تعالى في الجزء الثاني من الآية {وكثيرٌ منهم

ساء ما يعملون} يقابله في الجزء الأول جملة محذوفة تقديرها: (نِعْمَ ما يعملون)، وحتّى تتّضح الآية بعد ذكر التقديرين نقول: منهم أمّة مقتصدة نعم ما يعملون، وكثير منهم جائرون ساء ما يعملون.

من هنا نرى أنّ هذا الحذف التَّقابليَّ جعل الآية موجزة في عدد كلماتها، محكمة في بنائها، قويّة في نظمها، وأدّى عددٌ قليل من الألفاظ فيها معاني كثيرة يتعرّفُ عليها الذين أوتوا نصيبا من العلم بالبيان العربيّ.

ومن جميل الاحتباك وبديعه قوله تعالى متحدّثا عن حقوق الأزواج في سورة البقرة: {وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ} [البقرة: ٢٢٨].

المتدبّر في معنى هذه الآية الكريمة يلحظ حذفا في جُزْأي الآية الكريمة حيث يكون المعنى: ولهنّ على أزواجهنّ مثلُ الذي لأزواجهنّ عليهنّ، فحذف الجارّ والمجرور (على أزواجهنّ) لدلالة (عليهنّ) عليه، وحذف في الشطر الثاني (لأزواجهنّ) لدلالة (لهنّ) في الجزء الأوّل عليه، ويكون الاحتباك قد أدّى المعنى في ألفاظ قلائل وبإحكام عديم النّظير.

ومن بديع ما وقفتُ عليه من الاحتباك ما جاء في قوله

تعالى: {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات: ٣٧ – ٤١].

في هذه الآيات من سورة النّازعات، يتحدّث سبحانه عن فريقين: فريق الطّاغين وفريق المؤمنين الذين يخشون الله تعالى، وذَكَرَ سبحانه للطاغين صفتين وحذف ما يقابلهما في الطرف الثاني، وذكر لفريق المؤمنين صِفتين وحُذِفَ ما يناظرهما في الطرف الأوّل، وإذا قدّرنا الجمل المحذوفة فإنّ الكلام يؤول إلى ذكر ثماني صفات في هذا المقطع القرآني الوجيز، ويكون التقدير: فأمّا من طغى ولم يخَفْ مقام ربّه، وآثر الحياة الدّنيا وأتبع نفسه هواها فإنّ الجحيم هي المأوى، وأمّا من آمن والتزم بحدود الشّرع، ونهى النّفس عن الهوى، وآثر الآخرة على الدّنيا ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى.

ومن جميل الاحتباك أيضا يُطالعنا قوله تعالى: {وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾} حيث جاء في الجزء الأول من الآية ذِكْرُ لفظ (بياتا) وهو يدلّ على لفظ (نهارا) المحذوف في الطرف الثاني، وجاء في الطرف الثاني ذِكْرُ جملة {أو هم قائلون} التي تدلّ على (وهم نائمون) في الطرف الأوّل، ويكون تقدير الكلام: وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا وهم نائمون أو نهارًا وهم قائلون، ويدلّ المذكور على نظيره المحذوف، ويوفّر هذا الحذف إحكاما في العبارة وسُموّا في بلاغتها.

ولا ريبَ أنّ صنعة الاحتباك في هذا المشهد القرآني قد وفّر كثيرا من المعاني والدلالات، وجاء الكلام بديعا في بابه، موجزا أنيقا بهيّا سهل المتناول بعيد المرام، وسبحان من أنزل القرآن الكريم في ثوبه البيانيّ البديع.

كما نجد ظهورا لظاهرة الاحتباك في وصف الليل والنّهار، ومن بديع ما جاء في القرآن من ذلك قوله سبحانه: {هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾} [يونس: ٦٧]، حيث حُذفَ من الجزء الأوّل من الجملة لفظ (مظلما) الذي يدلّ عليه لفظ (مبصرا) في الطرف الثاني، وحُذف من الطرف الثاني جملة (لتتحرّكوا وتبتغوا فيه معاشكم) الذي يدلّ عليها في الطرف الأوّل قوله {لتسكنوا فيه}، ويؤول المعنى: هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه، والنّهار مبصرا لتبتغوا فيه من فضله.

هذه نماذج معدودة من ظاهرة الاحتباك في البيان القرآني، ووقفة سريعة مع ما يؤدّيه في الكلام البليغ من إيجاز في العبارة، وما يُضفي عليها من بهاء ورونق.

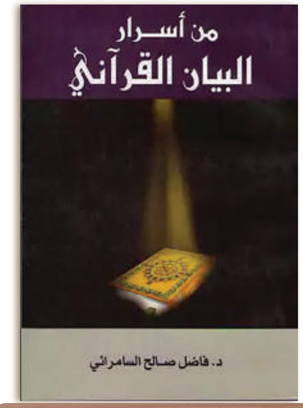

من الطّرائف

(بين شيْخٍ في الكُتَّاب وابنٍ لأحد الأعراب)

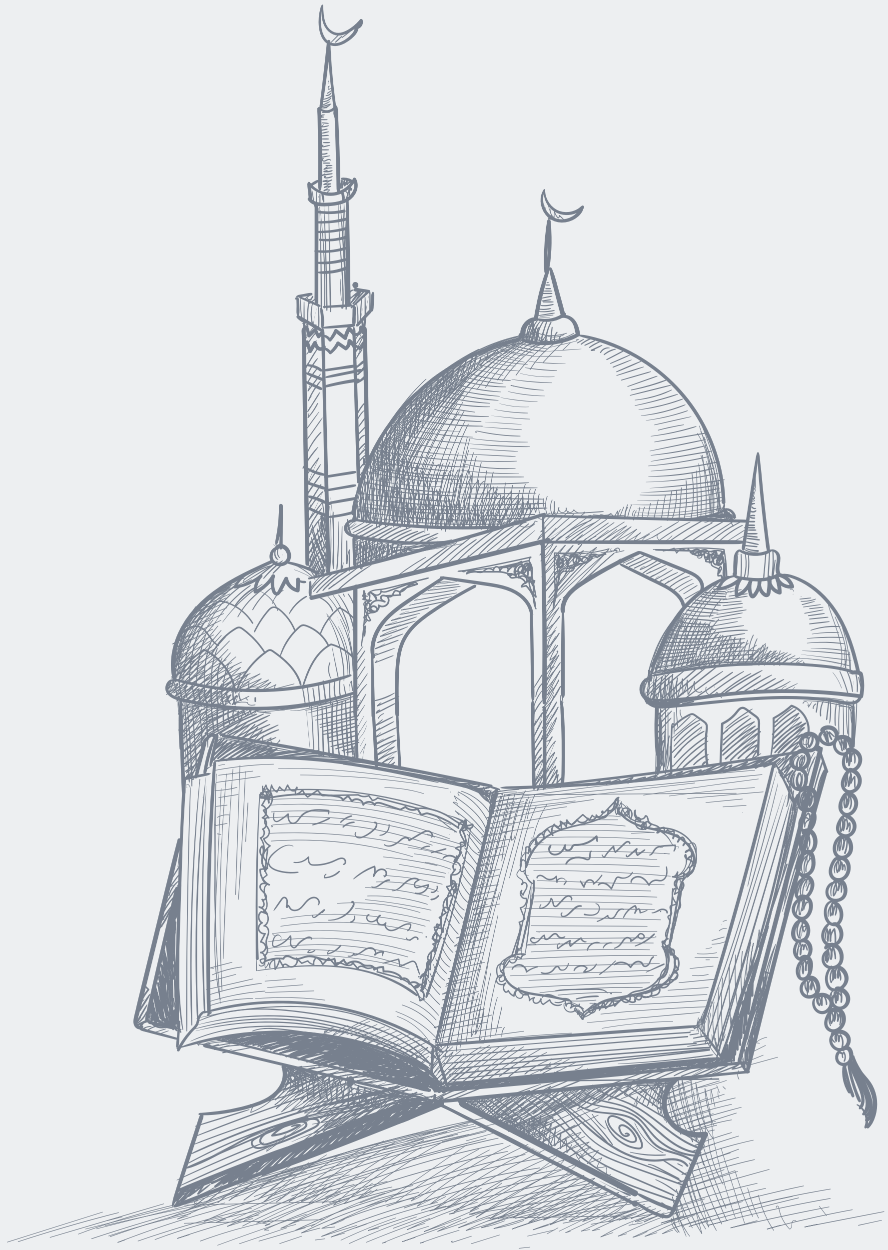

روي أنَّ رجلا من البادية أنزل ابنه إلى إحدى المدن؛ ليتعلَّم القرآن الكريم في الكُتَّاب فيها، فقال شيْخُ الكُتَّاب للغلام: سأقرأ عليك سورة المَسَدِ، ثم ردِّد أنت من بعدي.

قرأ الشيْخُ: «تبَّت يَدا» فقال الغلام: تبَّت يَدان. فنهره الشَّيْخُ، وقال له: قلْ: «تبَّت يَدا» فكرَّر الغلامُ: تبَّت يَدانِ. فأرغى الشَّيْخُ وأزبد، وطلب أن يأتوا بوالده الأعرابيِّ قبل أن يغادر المدينة، فحضر، فقال الشَّيْخُ: إنَّ ابنك هذا لا يريد أنْ يتعلَّم، فاسمع ماذا يردِّد بَعدي. والتفت إلى الولد، وقال له: قلْ: «تبَّت يدا» فقال الوَلدُ: تبَّت يَدان. فقال الأبُ أنا سأعلِّمه يا شيْخ. قال يا ولدي قلْ: «تبَّت يَدا أبي لهَبٍ وتبّ» فردَّد الولد: «تبَّتْ يدا أبي لهَبٍ وتبّ»

فتعجَّب الشَّيْخ وقال: ما السِّرُّ في هذا؟ فقال الأعرابي: ابني هذا تربَّى على فصاحة النُّطق، فالمثنَّى لا تحذف نونه إلَّا إذا كان مضافًا، والعرب لا تقول: تبَّت يَدا في حالة عدم الإضافة، بل تقول: تبَّت يَدان، فأعجب الشَّيْخُ بفصاحة الغلام ونباهته.

لغويّات

- جُهُودُ القُرّاءِ في خِدْمَةِ عِلْمِ الأَصْوَاتِ العَرَبِيِّ
- العَـرَبِيَّـةُ بِالسَّلِيقَةِ أَوِ النَّحْوُ السَّلِيقِيُّ
- إِشْكَـالِيَّـةُ (فَعُولٍ) نَعْتاً لِلْمُؤَنَّثِ
- سيميائيّات الخطّ والكتابة في التّراث العربيّ الإسلاميّ
- التّوجيه اللّغويّ في متنِ الدّرر اللّوامع

جُهُودُ القُرّاءِ
في خِدْمَةِ عِلْمِ الأَصْوَاتِ العَرَبِيِّ

لقد أنزلَ الله هذا الكتّابَ بلسَانٍ عربيٍّ مُبينٍ، ونظَمَه منَ الحُروفِ التي اتّسعتْ للُغاتِ العَرَبِ، ورتَّبَ لها مخارجَ، لا يَخرجُ حرْفٌ من مَخرَجِ غيرِ مخْرَجِه إلاّ بتَغيّرِ لفْظِه، وجعلَ لكلِّ حرْفٍ منها صِفاتٍ تُميّزُه عن غيرِه، وأمَرَ بإعطاءِ كلِّ حرْفٍ حقَّه من صِفتِه، وإخْراجِه من مَخرَجِه؛ ليكونَ عونًا لطالبِ العربيّةِ في إجادةِ نُطقِه لأصْواتِها، وعونًا لأهلِ تِلاوةِ القرآنِ على تجويدِ ألفاظِه، وإحكامِ النّطقِ به، باقيًا ذلك على مرِّ الأزمانِ، وتعاقُبِ الأعْصارِ، وحافظًا لأصواتِ اللّغةِ العربيّةِ منَ التّغيّرِ والاندثارِ، فتحقّقَ وعْدُ الله بحفْظِ كتابِه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾(1)، **فحُفظَ الكتابُ بلُغتِه.**

عبد المالك حسنيوي
كاتب/ المغرب

لذلك اعتُبِرتِ القراءاتُ القُرآنيّةُ من أهمِّ مصادرِ تفسيرِ الذّكرِ الحكيمِ، سواءٌ أَ كانت متواترةً أمْ شاذّةً، ولقد أصابَ الحنفيّةُ حينمَا عدُّوا ما شذَّ منَ القراءاتِ أخبارًا وقعتْ تفسيرًا. ولقد جعلَ أبو حيّانَ الأندلسيُّ علْمَ القراءاتِ مُضمَّنًا في علْمِ التَّفسيرِ حينمَا وضَعَ رسْمًا له حيث قال: «التّفسيرُ علْمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيّةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ، ومَدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديّةِ والتّركيبيّةِ، ومعانِيها التي تُحملُ عليها حالةُ التّركيبِ، وتَتمّاتٍ لذلك ...وقولُنا (يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النّطقِ بألفاظِ القرآنِ) هذا هو علْمُ القراءاتِ» (2) . وجعلَ الغزاليُّ القراءاتِ من مُتمّماتِ علْمِ القرآنِ المُتَعلّقةِ باللّفظِ. قال: «الضّربُ الرّابعُ المُتَمّماتُ وذلك في علْمِ القرآنِ فإنّه ينقسِمُ إلى ما يتعلّقُ باللّفظِ كعلْمِ القراءاتِ ومَخارجِ الحروفِ وإلى ما يتعلّقُ بالمعنَى كالتّفسيرِ» (3) .

ولا غَرْوَ، فإنّ الدّراسةَ الصّوتيّةَ عندَ العربِ حَظِيتْ بالعنايةِ والاهتمامِ، سواءٌ أَكانَتْ مُجرّدةً أمْ من خلالِ دراسةِ الظّواهرِ الصّوتيّةِ، فقد شاركَ فيها كثيرٌ من أصحابِ العلومِ والفُنونِ: فالنُّحاةُ طرَقُوها في بعضِ مباحِثِهم وإنْ لم يتوسَّعُوا فيـها، واللُّغويُّون درَسُوها بشيءٍ منَ السّعَةِ، والمُعجميّون صَدّرُوا بـها مَعاجمَهم وأشارُوا إليها في مَواضِعِها، وعلماءُ البلاغةِ والبيانِ لامَسُوها في حديثِهم عنِ الفَصاحةِ، والفلاسِفةُ تحدّثَ بعضُهم عنها كابنِ سينا في كتابِه « أسبابُ حدوثِ الحروفِ». إلّا أنّ علماءَ التّجويدِ همُ الذين أشبَعُوها بحثًا منَ الجانبَيْنِ معًا النّظريِّ والتّطبيقيِّ.

من هذا المُنطلَقِ يُمكنُنا طرحُ الإشكاليّةِ الكبرَى لمُناقشتِها ضمْنَ ثنايَا هذا المَقالِ المُتواضِعِ:

ما أهمُّ الجهودِ التي قدّمَها القُرّاءُ لخدمةِ علْمِ الأصْواتِ العربيِّ؟

المِحورُ الأوّلُ: الأصواتُ القُرآنيّةُ بين علْمِ التّجويدِ والدّرسِ الصّوتيِّ الحديث

جاءَ الخطابُ القُرآنيُّ آمِرًا الرّسولَ صلّى الله عليه وسلّم بتَرتيلِ القرآن: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ ، وجُسّدَ هذا الأمْرُ بالفعْلِ النّبويِّ الذي تُرجمَ بتعليمِ الرّسولِ صلّى الله علَيْهِ وسلّمَ أصحابَه كيفيةَ التّلاوةِ، يَشهدُ لهذا عَرْضُ الرّسولِ صلّى الله عليه وسلّم القرآنَ على جبريلَ كلّ عامٍ مرّةً، وفي عامِ وفاته صلّى الله عليه وسلّم مرّتين، مع ما رُويَ من قراءته صلّى الله عليه وسلّم على أُبَيِّ بنِ كعبٍ سورةَ البيّنة. قال القَسْطلّانيُّ: «فهو صلّى الله عليه وسلّم إنّما قرأ على أبيٍّ لِيُعلّمه طريقَ التّلاوةِ وترتيلِها، وعلى أيِّ صفةٍ تكونُ قراءةُ القرآن؛ ليكونَ ذلك سُنّةً في الإقراءِ والتّعليم» (5) .

وحِفاظًا على سُنّةِ الإقراءِ النّبويِّ، وضَعَ العلماءُ قوانينَ للتّجويدِ، بَدءًا بوصْفِهم مخارجَ الحروفِ وصِفاتِها، وتحدُّثًا عمّا يَنتجُ عن تركيبِ هذه الحروفِ من أحكامٍ، قاصِدين بذلك صَوْنَ اللّفظِ القُرآنيِّ عنِ اللّحنِ بنوْعَيْه الجليِّ والخَفيِّ، جاعلين التّاليَ لكتابِ الله تعالى يَظفرُ بالأجرِ الجزيلِ الذي أُعِدَّ للمَاهرِ بالقرآنِ المُحبِّر له. وهكذا وضَعَ أبو مزاحم الخاقانيُّ (325 هـ) رائيةً في التّجويد، وكتبَ مكّي بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ(437هـ) «الرّعايةَ لتجويدِ القراءةِ وتحقيقِ لفظِ التّلاوةِ»، وأبو عمرٍو الدّانيُّ (444هـ) «التّحديدُ في الإتقانِ والتّسْديدُ في صَنعةِ التّجويدِ»، وابنُ الجزَريِّ (833هـ) «التّمهيدُ في علْمِ التّجويدِ» و«المُقدّمةُ الجَزريّة»، مُؤْتَمِّين فيما كتبُوه بما خَطَّهُ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ (175هـ) في مُعجمِ «العينُ» وتلميذُه سِيبويه (180هـ) في «الكتابُ»، وأبو الفتح بنُ جِنّي (329 هـ) في «سِرُّ صناعةِ الإعراب».

في أوائلِ القرنِ العشرين الميلاديِّ ظهرتِ الدّراساتُ الصّوتيّةُ الحديثةُ في أوروبا، وعرفتْ هذه الدّراساتُ تَداوُلَ بعضِ المُصطلحاتِ، من قَبيلِ:

* الفونيتيك Phonétique وهو: «الدّراسةُ العلميّةُ للأصواتِ من جوانبِها التّطبيقيّةِ والفيزيائيّةِ والسّمعيّةِ والتّجريبيّة» (6)، وهو ما عُرفَ في الدّرسِ الصّوتيِّ العربيِّ بعلْمِ الأصواتِ. وقدِ انقسمَ إلى فروعٍ، منها:
* «علمُ الأصواتِ النُّطقيُّ» وهو الذي يُعنى بوصْفِ مخارجِ الأصواتِ وصفاتِها، ووصْفِ الجهازِ النُّطْقيِّ (7).
* «علمُ الأصواتِ الفيزيائيُّ الذي وجّهَ العنايةَ للموجاتِ الصَوتيةِ الصّادرةِ عن جهازِ النّطقِ وانتقالِها إلى الأذن، وتحدّثَ عنِ العواملِ المُؤثّرةِ في ذلك.
* علمُ الأصواتِ السّمْعيُّ الذي يدرسُ جهازَ السّمعِ عندَ الإنسانِ، ويُحلّلُ العمليّةَ السّمعيّةَ، ويُوضِّحُ ماهيَّةَ الإدراكِ السّمعيِّ وأثرَه في وصْفِ الأصواتِ.
* علمُ الأصواتِ التّجْريبيُّ أو المَعْمليُّ ويَهتمُّ بدراسةِ خصائصِ الأصواتِ الكلاميّةِ باستخدامِ الأجهزةِ وصُورِ الأشعّةِ، وما إلى ذلك من أدواتٍ مَخبريّةٍ مُتعدّدة» (8).
* «الفونولوجيا أو علمُ الأصواتِ التّشكيليُّ»، وهو العلْمُ الذي «يَختصُّ بدرْسِ أصواتِ لُغةٍ مُعيّنةٍ للوصولِ إلى طُرقِ ائتلافِها، ونظامِ تركيبِها، وما يتّصلُ بذلك من فروق» (9) .

وأهمُّ ما ينبغِي تسجيلُه من فروقٍ بين الدَّرسَين: الدّرسِ الصّوتيِّ الحديثِ والدّرسِ التّجويديِّ الذي يُمثّلُه علماءُ العربيّةِ وأهلُ التّجويدِ والقراءاتِ:

> **اعتُبِرتِ القراءاتُ القُرآنيّةُ من أهمِّ مصادرِ تفسيرِ الذّكرِ الحكيمِ**

1 - على مُستوى المخارج:

* جمَعَ الدّرسُ الصّوتيُّ الحديثُ بينَ الأصواتِ النِّطْعِيّةِ (10) (ط – ت- د) والأسليّةِ (11) (ص – س – ز) في مَخرجٍ واحدٍ يُسمّى بالمخرجِ الأسنانيِّ اللّثويّ، وأمّا علماءُ التّجويدِ ففرّقُوا بينهما.

* مخرجُ الضّادِ عندَ المُحْدثين هو المخرجُ الأسنانيُّ اللّثويُّ أي مع الحروفِ الأسليّةِ والنّطعيّةِ، وعندَ سِيبَويه وعلماءِ التّجويدِ له مخرجٌ مُستقلٌّ من أوّلِ حافَةِ اللّسانِ وما يليه منَ الأضراسِ منَ الجانبِ الأيسرِ عندَ الأكثرِ (12)، وهو الذي يلِي الأصواتَ الشَّجْريّةَ (13)(ج-ش-ي).

* جعَلَ الدّرسُ الحديثُ مخرجَ الغين والخاء مع مخرجِ صوتِ الكافِ، وسُمّيَ بالمخرجِ الطّبقيِّ، في حين هما عند أهلِ التَّجويدِ يَخرجان من أدْنى الحلْقِ.

* ميّزَ الدّرسُ الصّوتيُّ الحديثُ بين المخرجِ الحلْقيِّ والمخرجِ الحُنجريّ، وأمّا القدماءُ فقد جعلُوا للحلْقِ ثلاثةَ مخارجَ: أقصاه للهمزة والهاء ووسطُه للعين والحاء وأدناه للغين والخاء، والمُحْدَثون جعلُوا للحلْقِ مخرجًا واحدًا لحرفَيِ العين والحاء، وجعلُوا للهمزة والهاء مخرجًا سُمّيَ بالمخرجِ الحَنْجَرِيِّ.

* مُعظمُ الدّراساتِ الصّوتيّةِ القديمةِ كانت تُعنى بالصّوامتِ وصفاتِها لكثرتِها وسهولةِ ضبْطها، ولم تَلْقَ الصّوائتُ عندَهم مثلَ هذه العنايةِ. وأمّا الدّراساتُ الحديثةُ للأصواتِ فقد أوْلتِ الصّوائتَ اهتمامًا كبيرًا (14).

2 - على مستوى الصّفاتِ:

* الجيمُ عند علماءِ التّجويد صوتٌ شديدٌ، وعندَ المُحْدَثين مركّبةٌ متعطّشةٌ.

* الضّادُ عند علماءِ التّجويدِ صوتٌ رخْوٌ، وعندَ المُحْدَثين شديدةٌ.

* العينُ عندَ علماءِ التّجويدِ صوتٌ متوسّطٌ بين الشّدّةِ والرّخاوةِ، وعندَ المُحدثين رخوةٌ.

* صفةُ الجَهْرِ يَضبِطُها المُحْدثون باهتزاز الوَترين الصّوتيّين عند النّطقِ بالصّوت المجهورِ، وهذا الأخيرُ عندَ سِيبَويه «حرفٌ أشبعَ الاعتمادَ في موضعِه، ومنعَ النّفَسَ أن يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتمادُ عليه ويجرِيَ الصّوتُ. فهذه حالُ المجهورةِ في الحلْقِ والفمِ إلّا أنَّ النّونَ والميمَ قد يُعتمدُ لها في الفمِ والخياشيم فتصيرَ فيهما غنةٌ. والدّليلُ على ذلك أنّك لو أمْسكتَ بأنفكَ ثمّ تكلمتَ بهما»(15) . وهو وصْفٌ فيه غموضٌ كما لا يخفَى، وسببُ ذلك فيما يظهرُ أنّ سِيبَويه لم يكنْ يعرفُ الوَتَرين الصَّوْتيّين المَوجودَين ضمْنَ مُكوّناتِ الحَنْجَرة. فهل يُعدُّ ما ذكرَه المُحْدَثون من قبيلِ الاستدراكِ على علماءِ التّجويد؟

إنّ العلماءَ أمامَ هذا التَّبايُنِ في وِجهاتِ النّظرِ المُتعلّقة بالأصواتِ القُرآنيّةِ وقفُوا طوائفَ: فمنهم من سلّم للدّرسِ الصّوتيِّ الحديثِ ما أنتَجه ووَصَل إليه، وبخاصّةٍ أنّه اعتمدَ على دراساتٍ عَمَليّةٍ، ودرَسَ الصّوتَ وحلّله فيزيائيًّا وسمْعيًّا وعصَبيًّا، وهذا ما لم يكنْ مَوْجُودًا لدَى المُتقدّمين، وَمِنْ ثَمَّ فالقدماء مَجزيّون ومَشكورُون على ما قدّموا، والمُحْدَثون مأجورُون على ما اكتشفُوا واستدْرَكوا. ومنهم من حكَمَ بتطَوُّرِ الصّوتِ من لَدُنِ الخليلِ وسِيبَويه إلى الآن، وَلِهَذا فأهلُ اللّغةِ القُدماءُ على صوابٍ فيما

انْتَحوه، والمُحْدَثون قولُهم مقبولٌ فيما ذهبُوا إليه.

والحقُّ أنَّ الدّراساتِ الصّوتيّةَ الحديثَةَ يَنبغي الإلمامُ بها من قِبَلِ المُشتغِلين بالتّجويدِ والقراءاتِ منَ المُتَخصّصِين؛ إذ فيها منَ الفائدةِ في الكشْفِ عمّا لم يَكشِفْه السّابقون الشّيءُ الكثيرُ: توجيهًا للقراءاتِ، وصوْنًا للصّوتِ القُرآنيِّ، وسعْيًا وراءَ تقدُّمِ علْمِ التَّجويدِ الذي بقيَ عالةً على ما أثّلَه الخليلُ وسِيبَويه وابنُ جِنّي ومَكّي القيسيُّ والدّانيُّ وابنُ الجزَرِيِّ...، ورفْعًا للحرجِ الذي قد يجدُه مُعلِّمُ التَّجويدِ حينَمَا يَرومُ وصْفَ ظاهرةٍ صوتيّةٍ للمُتعلِّمين كصِفةِ الجهْرِ مثلاً.

فكلّ علْمٍ أو فنٍّ نصلُ به إلى تحقيقِ مقْصدِ حُسْنِ الأداءِ يُستعانُ به ويُعضُّ عليه بالنّواجذِ. وأحْسبُ أنَّ سِيبويه ومكّيًّا وابنَ الجزَرِيِّ وغيرَهم من أهلِ العربيّةِ والقراءاتِ لو كانُوا بين ظَهْرَانَيْنا ما وَسِعَهُم إلّا التَّمكّنُ منَ الدّراساتِ الصّوتيّةِ، واستثْمَارِهم لوسائلِ عصْرِهم، إذ كان غرَضُ هؤلاء بوَضْعِهم قوانينَ العربيّةِ المُحافظةَ على لُغةِ القُرآنِ. ولقد ظهرتْ في الأعوامِ الأخيرةِ مُؤلّفاتٌ تنحُو هذا المَنحَى أي استِثْمارَ الدّراساتِ الصّوتيّةِ الحديثةِ لتوجيهِ الظّواهرِ الصَّوتيّةِ الكامنةِ في القراءاتِ القُرآنيّةِ، فمن ذلك ـ«التّجويدُ القرآنيُّ: دراسةٌ صوتيّةٌ فيزيائيّةٌ» لمحمّد صالح الضالع.

* «قراءةُ أبي عمرِو بنِ العلاءِ: دراسةٌ وصْفيّةٌ أكوسْتيكيّةٌ» لزيد خليل القرالة.

* «دراسةُ بعضِ أحكامِ التّجويدِ في ضوءِ الدّراساتِ الصّوتيّةِ الحديثةِ» لداود عبده.

* «تحليلٌ أكوستيكيٌّ لوجوه الاختلافِ الصَّوتيِّ بين ورشٍ وقالونَ» لكايد أبو شقير.

* «القراءاتُ القرآنيّةُ بين العربيّةِ والأصواتِ اللُّغويّةِ: منهجٌ لسانيٌّ معاصرٌ "لشريف استيتية.

وقبْلَهما ألّف عبدُ الصّبور شاهين:

* «أثرُ القراءاتِ في الأصواتِ والنّحوِ العربيِّ»، و«القراءاتُ القرآنيّةُ في ضوءِ علْمِ اللّغةِ الحديثِ». وغيرُهم كثيرٌ.

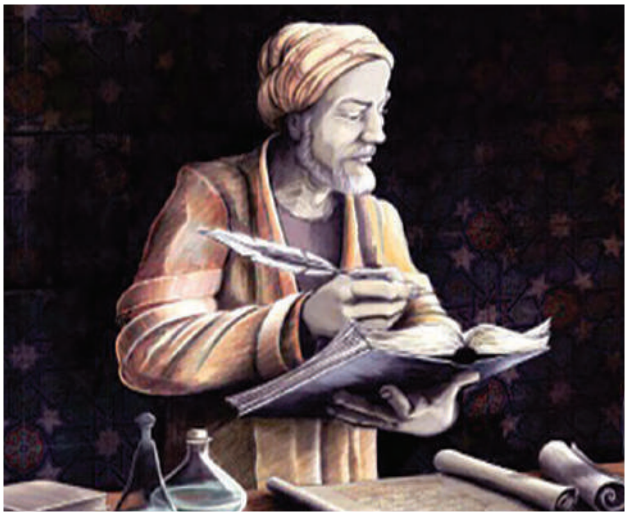

المِحورُ الثّاني: الاختلافُ بين المُتقدّمينَ والمُتأخّرين في صفاتِ الأصواتِ العربيّةِ

لقدِ اتّفق المُتقدّمونَ والمُتأخّرون في وصْفِ الأصواتِ العربيّةِ إلَّا في ستّةِ أصواتٍ (الهمزةُ والعينُ والجيمُ والضّادُ والقافُ والطّاءُ)، ويمكنُ تقسيمُ هذا المختلفِ فيه إلى ثلاثِ مجموعاتٍ:

1 - الهمزةُ والعينُ: خلافٌ لا يضرُّ واتُّفقَ على أغلَبه.

2 - الجيمُ: خلافٌ كبيرٌ، ولكنَّ الصّوتَ الموصوفَ مختلفٌ، فالمُتقدّمون يصِفون الجيمَ الفصيحةَ والمتأخّرون يصِفون غيرَها، ولذا فوصْفُ المتأخّرين مرفوضٌ إلى حدّ ما.

3 - القافُ والطّاءُ: وفيما يأتي بعضُ التّوضيحِ لِهَذِهِ القضيّةِ:

* هل ما يَعنيه المُتقدّمون منَ الصّفاتِ (شدة / جهر /...) هو ما يَعنيه المُتأخّرون؟

فهذانِ الصّوتانِ، قدِ اختلفوا في بعض صفاتِهما إلى غَايةٍ لا تجعلُ هذه الصّفةَ المختلفَ فيها هي الحدَّ الفاصلَ بين الصّوتِ والصّوتِ القريبِ منه، فتوجدُ صفاتٌ أُخَرُ تميّزُه عنِ الصّوتِ القريبِ منه، فكلٌّ واحدٍ يتّسمُ بسِمةٍ معيّنةٍ:

(أ) الطّاءُ: عدّها المُتقدّمون مجهورةً فهي عندهم أختُ الدّال، وعدّها المُتأخِّرون مهموسةً فهي عندهم أختٌ للتّاء. ولا تلتبسُ بأيٍّ منهما سواءٌ قلنا بجهريّتِها أو بهمْسِها، حيث إنّ صفةَ الإطباقِ هي الصّفةُ الفاصلةُ بينها وبين أيٍّ من هذين الصَّوْتَين.

(ب) القافُ: عدّها المُتقدّمون مجهورةً، فقَرُبتْ منَ الجيم، وعدّها المُتأخّرون مهموسةً فقرُبت منَ الكاف، وصفةُ التّفخيمِ هي الصّفةُ الفاصلةُ بينها وبين أيٍّ من هذين الصّوتين، إذن لا تلتبسُ بأيٍّ منهما.

4- الضّادُ: عدّها المتقدّمون رخوةً، وعدّها بعضُ المُتأخّرين شديدةً. ولا لبسَ بينها وبين أيِّ صوتٍ آخرَ سواءٌ على اعتبارِها رخوةً أو شديدةً، كما قال سيبويه: « . . . ولخرجتِ الضّادُ منَ الكلام لأنّه ليس شيءٌ من موضِعِها»، وعلى افتراضِ أنّـها أختٌ للدّال كما يقول بعضُ المتأخّرين، تبقَى صفةُ الإطباقِ في الضّاد حاجزًا بينهما. ويمكنُ اعتبارُها من باب التّغيُّرِ الحرِّ؛ فيكونُ الوجهانِ جائزَين، وللنّاطقِ أن يختارَ أيَّهما شاءَ.

من العَجَبِ العُجابِ أنَّ علْمَ الصّوتيَّاتِ، وضعَ أُسُسَه أساطينُ اللّغةِ القُدامى لِيُحافظُوا على تلاوةِ القرآنِ كما أُنزِلَ، فكان المدخلَ الرّئيسَ لتنظيرِ علوم اللّغة العربيّةِ الفُصحَى، وسارَ على مِنوالِها مختلفُ اللّغاتِ الأُخَرِ إلى يومِنا هذا، لكنّنا أهمَلْنا ذلك الأساسَ المتينَ والحبْلَ

الغزالي

الأندلسي

المُبينَ والسّندَ المُعينَ، وتفرّقت بنا الطُّرقُ وتعدّدتِ السُّبلُ في تعليمِ اللّغةِ العربيّةِ وتجويدِ القُرآنِ، وكانتِ النّتيجةُ ما وصلَ إليه الحالُ من تدهوُرٍ ملحوظٍ. فلماذا لا نَتّبعُ ما وضَعَه الأوائلُ من مناهجَ في تعليمِ اللّغةِ، والتّلاوةِ للعربِ وللأعاجم، مع الإقرارِ التّامِّ بأنّ التّدقيقَ النّهائيَّ والاعتمادَ أوّلاً وأخيرًا على التّوجيهاتِ التي تُؤخذُ بالتّلقّي منَ الحَفَظةِ المُجَوّدينَ الحاصلِين على إجازاتٍ مُعتمَدة؟ .

(1) سورة الحجر الآية 9
(2) الغرناطي، أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، دار الفكر 1992م، 1/26.
(3) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت 1/32
(4) سورة المزمل الآية 4
(5) القسطلاني، شهاب الدين: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين. لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1/209.
(6) قدور، أحمد: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق طبعة ثانية، 1999م، ص 82.
(7) قدور، أحمد: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق طبعة ثانية، 1999م، ص 43.
(8) قدور، أحمد: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق طبعة ثانية، 1999م، ص 44.
(9) قدور، أحمد: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق طبعة ثانية، 1999م، ص95.
(10) نسبة إلى النِّطع وهو ما ظهر من الحنك الأعلى فيه آثار كالتحزيز.
(11) نسبة إلى أسَلة اللسان أي طرفه
(12) الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الفكر بيروت، 1/200.
(13) نسبة إلى شجْر الفم، وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.
(14) قدور، أحمد: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق طبعة ثانية، 1999م، ص 59.
(15) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الغانجي، القاهرة، 4/434. لكن الملفت للنظر هو أن هذا التعريف الذي أعطاه سيبويه للجهر معقد وغير مفهوم نوعا ما.

من أساليب العربيّة

يُقال قعد فلانٌ يمشي، فكيف يجتمع فعل القعود والمشي في وقت واحد؟

هذا أسلوب عربيّ قديم ما زال يُستعمل اليوم، جاء في تهذيب اللغة للأزهريّ ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي عن الفَرَّاء: «العَرَبُ تقول: قَعَدَ فُلانٌ يَشْتُمني، بمعنى طَفِقَ وجَعَل»، وقد أورَدَ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، هذا الاستعمال «وقعد يفعل كذا: طفق يفعله» وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم، يقول الله تعالى «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» [الإسراء: 29]، يقول الزّمخشريّ في الكشّاف: «(فتقعد ملومًا) فتصير ملوماً عند الله»

ويقال قام فلان بالعمل، وهذا أسلوب عربي قديم أصبح استعماله اليوم مطردًا، يقول حسان بن ثابت:

علاما قامَ يَشْتُمُني لَئِيمٌ
كخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ في رَمادِ

وجاء في لسان العرب: «قال ابن بري رحمه الله: قد ترتجل العرب لفظة قام بين يدي الجمل فيصير كاللغو. ومعنى القِيام العَزْمُ»

وقد أوردت المعاجم الحديثة هذا الاستعمال. إذ جاء في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: «ويقال: قام يفعل كذا: أخذ في عمله».

العَـرَبِيَّــةُ بِالسَّلِيقَةِ أَوِ النَّحْوُ السَّلِيقِيُّ

إنَّ اللُّغةَ العربيّةَ هي أوّلًا وقبلَ كلِّ شيءٍ، لُغةٌ فطريّةٌ طبيعيّةٌ، نشأتْ وترعرعَتْ في فضاءٍ مفتوحٍ، هو فضاءُ الصّحراءِ، بكلِّ ما يَحملُه هذا الفضاءُ من حرّيَّةٍ ونقاءٍ وسَعةٍ وانطلاقٍ، وقدِ اهتدَى العربيُّ بفطرتِه إلى وضْعِ الألفاظِ عن طريقِ التّوفيقِ في دَلالتِها بين موقعِها في نفسِه، ووقْعِها في هذا الفضاءِ الصّحراويِّ الذي يَسكنُه، فكان وضْعُه للألفاظِ أشْبهَ بالإلهامِ، خلقَه الله في فطرتِه، فمَضَى يَنحتُ منَ الأصواتِ الحيوانيّةِ والأصواتِ الطّبيعيّةِ التي يَسْمَعُها مِنْ حَوْلِه ، كالرّعدِ والرّيحِ وحركةِ الماءِ وحفيفِ الأشجارِ.. الخ، مقاطعَ صوتيّةً تُعبّرُ عمّا يَختلجُ في نفسِه ويدورُ في خَلَدِه.

د.سيد أحمد إيخو
دكتوراه في الأدب الحديث

وإنّما كانت لغتُنا العربيّةُ لغةً فطريّةً طبيعيّةً؛ لأنّ أهلَها هم أهلُ الفطرةِ والسّليقةِ، فقد حاكوا بألفاظِهم أصواتَ الطّبيعةِ لِما تهيّأَ لهم من مُواجهةِ مظاهرِها دون حجْبٍ أو حواجزَ منَ العُمرانِ، فكان لهم بذلك حاسّةُ الاهتداءِ اللُّغويِّ؛ فالعربيُّ الفصيحُ، صاحبُ الحسِّ الصّافي والطّبعِ البليغِ، كان هو صاحبَ اللّغةِ، يضعُ ألفاظَها وتراكيبَها بحسِّهِ وطبْعِه، دون أن يعرفَ من نفسِه أنّه لُغويٌّ ودونَ أن يصنّفَه العربُ في عِدادِ العلماءِ.

وقدِ اتّفق أكثرُ العلماءِ الذين كتَبوا عنِ اللُّغةِ العربيّةِ منَ العربِ وغيرِ العربِ، على أنَّ اللّغةَ العربيّةَ لا تُضاهيها لُغةٌ أخرى من لُغاتِ العالَمِ بما تَوفّرَ لها من عُذوبةِ النُّطقِ وحُسنِ البيانِ، ومنَ الاختصارِ والسّلاسةِ. ومن تتبّعَ تراكيبَ هذه اللّغةِ، عرف أنّ العربَ يجعلون الحروفَ السّهلةَ اللَّيّنةَ للمعاني الخَفيفَةِ، ويجعَلون الحروفَ القويّةَ المجهورةَ للمعاني القويّةِ الفخْمةِ، وهذا الأمرُ يَصْدقُ على المفرداتِ كما يصْدقُ على الصّيَغِ والتّراكيبِ.

ويُمكنُ أن نُجملَ خصائصَ اللّغةِ العربيّةِ، في عُجالةٍ في النّقاطِ الآتيةِ:

اللّغةُ العربيّةُ أفضلُ اللّغاتِ: فهي تمتازُ عن أخْتَيها السّاميّتين، العِبرانيّةِ والسّريانيّةِ، بحركاتِ الإعرابِ والخفّةِ والعُذوبةِ، بسببِ أنّها لم تكنْ مُدوَّنةً، فالكتابةُ تُقيّدُ اللّغةَ على وضعٍ واحدٍ، حيث تبقَى على هذا الوضْعِ بقيْدِ الكتابةِ، وتثبتُ على وضْعٍ واحدٍ مهما تطاولتِ السُّنُونَ وتعاقبتِ الأجيالُ، بينما أتاحَ عدمُ التّدوينِ للّغةِ العربيّةِ أن تبقَى على عفْويتِها، مُنطلقةً غيرَ مُقيَّدةٍ، أتاحَ للمُتلفِّظين بها مساحةً واسعةً منَ التّصرّفِ والتّهذيبِ والقلْبِ والإبدالِ، كما تمتازُ اللّغةُ العربيّةُ بالسَّعةِ وغزارةِ الألفاظِ بسببِ الاشتقاقِ الذي يُوفّرُ لها القُدرةَ على متابعةِ المعاني المُتجدّدةِ واستحْداثِ الألفاظِ الجديدةِ لكلِّ معنى.

وهي لُغةٌ مُقتصدةٌ، أي أنّها تقومُ على الاقتصادِ اللُّغويِّ، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ، منها بناءُ الفعلِ للمجهولِ، والعربُ يَستعملون الفعْلَ المبْنيَّ للمجهولِ في كلِّ الأوزانِ ماضيًا ومضارعًا، وقد فاتوا بذلك لُغاتٍ كثيرةً، ومن أمثلتِه صيغةُ المشاركةِ، فهي أيضًا صيغةٌ اقتصاديّةٌ ممّا انفردتْ به العربيّةُ، ومن أمثلتِه أيضًا التَّثنيَةُ، وهي من خصائصِ العربيّةِ لا أثرَ لها في السّرياليةِ وهي في العِبرانيّةِ مَقصورةٌ على معناها الطّبيعيِّ أو ما يكونُ في حُكمِه كاليدَين والرّجلَين والنّعلَين... ولكنّها في العربيّةِ عامّةٌ لكلِّ الأسماءِ.

وهي لغةٌ فِطريّةٌ حُرّةٌ، لا يراعى فيها غيرُ الخفّةِ والثِّقَلِ، فكلُّ ما رفضَه العربُ أو عَدلوا عنه إلى غيره من هيآتِ المنطقِ، فإنّما فعلوه استثْقالاً، وكلُّ ما قبلوه فلِخفّتِه على ألسنتِهم، لا يَرجعون في ذلك إلا لقريحتِهم المستقلّةِ.

وهي لُغةٌ مُهذّبةٌ، تهذّبتْ عندَ قريشٍ الذين كانوا أهلَ تجارةٍ، يُقيمون بمكّةَ، وتأتي القبائلُ إليهم للحجِّ وتبادُلِ عروضِ التّجارةِ، فكانوا يَنْتقون من لهجاتِ القبائلِ أفصحَ الألفاظِ وأسهَلَها على النُّطقِ وأحسَنَها وقْعًا على السّمعِ.

وهي أيضًا لُغةٌ حيّةٌ، عريقةٌ في الحياة، ورُبَّما كان فضْلُها على الأمّةِ العربيّةِ أكبرَ من فضْلِ الأمّةِ عليها؛ لأنَّ الأممَ إنّما تعيشُ بلُغاتِها، واستمرارُ اللّغةِ العربيّةِ في الحياة حَفِظَ على الأمّةِ حياتَها ووجودَها؛ لأنّه لا حياةَ لأمّةٍ دون لُغةٍ، وهي لُغةٌ حيويّةٌ استطاعت بِحيويّتِها أن تحفظَ شبابَها وغِناها ومُرونتَها الطّبيعيّةَ، لها في داخلِها ما يُساعدُ على نُموّها المستمرِّ مع بقائِها مُتميّزةً في نفسِها، محافظةً على استقلالِها.

يتلخّصُ لنا منَ الخصائصِ السّابقةِ أنّ اللّغةَ العربيّةَ لُغةٌ كاملةٌ، مُقتصدةٌ، حرّةٌ فِطريّةٌ، مُهذّبةٌ في أجزائِها ناميةٌ في مجموعِها حَيويّةٌ في داخلِها.

إنَّ الحديثَ عنِ الاعتزازِ باللّغةِ العربيّةِ والافتخارِ بها واستعراضِ خصائصِها ومميّزاتِها، ليس نَرجسيّةً زائدةً ولا من فُضولِ القولِ، ولا هو بالحديثِ الـمُرَجَّمِ، ولكنّي

أرى أنّها مقدّمةٌ ضروريّةٌ يجبُ أن تتقدّمَ العمليّةَ التّعليميّةَ وتُواكبَها، فالدّورُ الأساسيُّ الذي تقومُ به اللّغةُ العربيّةُ هو الحِفاظُ على هويّةِ الأمّةِ وثقافتِها، وهو دورٌ جليلٌ، لا جَرمَ كان لزامًا على كلِّ غيورٍ من أبناءِ الوطنِ المشاركةُ في تثْبيتِه وتَنميتِه وتَطويرِه بمختلفِ الوسائلِ والسُّبلِ.

هذه اللّغةُ الكاملةُ التي تملكُ كلَّ أسبابِ الحياةِ، لا يَستدْعي وضعُها اليوم - في نظري - القلقَ عليها ولا يَستوجبُ الخوفَ على مستقبلِها، وأرى أنَّ تلك النّغمةَ الحزينةَ التي كانت سائدةً في القرن الماضي، نغمةَ البكاءِ والتّباكي والحسْرةِ والتّحسُّرِ، على وضعِ العربيّةِ، وأنّها تُحارَبُ من كلّ جهةٍ وأنّها توشكُ على الفناء....الخ، هذه النّغمةُ يجبُ أن تزولَ من قاموسِنا في هذا القرنِ الجديدِ، فهي وإن كانت لها مُسوِّغاتُها في القرن الماضي بسببِ الاستعمارِ وما كان يَفرضُه على مُستعمراتِه من تجهيلٍ وتهميشٍ، وغيابِ المؤسّساتِ القوميّةِ التي تحافظُ على هُويّةِ الأمّةِ أو ضعْفِها وانحسارِ نشاطِها-، لا مُجوِّزَ لها اليومَ في حاضرنا، بعد أن قامت دولٌ عربيّةٌ كثيرةٌ، واستقلّت عن سيطرةِ المستعمرِ، وجعلت في دساتيرِها منَ اللُّغةِ العربيّةِ لُغةً رسميّةً، وأنشأتْ آلافَ المدارسِ لتدريسِها وجنّدتْ آلافَ المعلّمين لتلْقينِها للأجيالِ الصّاعدةِ.

إنّ وضْعَ اللّغةِ العربيّةِ اليومَ، ليس فقط، لا يَستدعي القلقَ، بل هو يبعثُ على التّفاؤلِ والاستبشارِ بمستقبلٍ باهرٍ، فلقد تعرّضتِ اللّغةُ العربيّةُ في القرنَين الماضيَين إلى أقوى الضّرباتِ وأعْنفِ أنواعِ المحاربَةِ والتّهميشِ والاحتقارِ والإبعادِ، ولكنّها بقيتْ مع ذلك كلّه رافعةَ الرّأسِ ثابتةَ الجأشِ، مُستعدّةً للمقاومةِ والمغالَبةِ في ميدانِ الصّراعِ الحضاريِّ الذي فُرضَ عليها ولم تَسْعَ إليه.

والذي يدفعُني إلى هذه النّظرةِ التّفاؤليّةِ أمورٌ كثيرةٌ منها:

1 - قيامُ المدارسِ والمؤسّساتِ التّعليميّةِ بمختلفِ مراحلِها بتعليمِ اللّغةِ العربيّةِ الأجيالَ الصّاعدةَ ورصْدِ الميزانياتِ الضّخمةِ في هذا المجالِ وَمُواجَهَةِ التّضييقِ على تعليمِ اللّغةِ العربيّةِ في عُصورِ الاستعْمارِ.

2 - المجامِعُ اللُّغويّةُ التي أُنشئتْ في البلدانِ العربيّةِ وتقومُ بنشاطاتِها العلميّةِ في تطويرِ اللّغةِ العربيّةِ والحِفاظِ عليها بمختلفِ الوسائلِ المُتاحةِ لدَيْها، من مؤتمراتٍ وندواتٍ وإصدارِ مجلّاتٍ مُتخصّصةٍ.

3 - الجامعاتُ وما أكثرَها في جميعِ البلدانِ العربيّةِ، وفيها أقسامٌ خاصّةٌ للّغةِ العربيّةِ وآدابِها، تتخرّجُ منها دفعاتٌ منَ الطّلبةِ في كلّ سنةٍ.

4 - القنواتُ العربيّةُ الإخباريّةُ والتّرفيهيّةُ وقنواتُ الأطفالِ التي تلتزمُ في بثّ برامجِها باللّغةِ العربيّةِ الفَصيحةِ، وهي وإن كانت قليلةً بالنّسبةِ للقَنواتِ الأخرى التي تبُثُّ برامجَها باللّهجاتِ العاميّةِ، إلّا أنّها في ازديادٍ مُطّردٍ.

5 - القنواتُ الأجنبيّةُ النّاطقةُ باللّغةِ العربيّةِ، وهي تُبَثُّ من دُولٍ كانت إلى زمنٍ قريبٍ تحاربُ اللّغةَ العربيّةَ في أوطانِها، وهي على سبيلِ المثالِ لا الحصْرِ: france24، وقناةُ الحرّةِ الأمريكيّةِ، وقناةُ روسيا اليوم ،وقناةُ bbc البريطانيةُ، وقناةُ sky الإيطاليةُ ، وهناك التُّركِيَّةُ والألمانيةُ والصّينيّةُ والإيرانيةُ..الخ.

6 - نلاحظُ اهتمامًا مُتزايدًا باللّغةِ العربيّةِ في المحافلِ

> **هذه اللّغةُ التي تملك كلّ أسبابِ الحياة لا يستدعي وضعها اليوم القلق عليها ولا يستوجب الخوف على مستقبلِها**

الدّولية، مع ازديادِ الرّغبةِ عند الكثيرِ من أبنائِها وغيرِ أبنائِها في تعلُّمِها والاطّلاعِ على تُراثِها، وازدهارِ التّرجمةِ إليها وعنها.

8 - كثرةُ المواقعِ والصّفحاتِ في الشّابكةِ ومواقعِ التّواصُلِ الاجتماعيِّ (فايسبوك تويتر..) التي تعتني باللّغةِ العربيّةِ وتنشرُ محاسِنَها وكلَّ ما يتعلّقُ بها من ندواتٍ وإصداراتٍ ومجلّاتٍ وجرائدَ، تضعُها بين يدَيِ المختصّين والمهتمّين من مختلفِ التّخصّصاتِ وهي خدماتٌ جليلةٌ لا يمكنُ إنكارُها.

لهذه الأسباب وغيرِها ممّا لم أذكرْه، لا يمكنُ الحديثُ اليومَ عن ضعْفِ اللُّغةِ العربيّةِ، ولا التّباكي على حاضرِها ومُستقبلِها، ونتمنّى أن يكونَ مثلُ هذا الحديثِ قد ولّى إلى غيرِ رَجعةٍ.

لاشكَّ أنّ هناك عوائقَ تعترضُ سبيلَ العمليّةِ التّعليميّةِ التّعلُّميّةِ للّغةِ العربيّةِ، ومع كثرةِ الدّراساتِ في هذا البابِ، ووفرةِ الاقتراحاتِ والتّوجيهاتِ التي تُختتمُ بها الدّراساتُ والملتقياتُ والمؤتمراتُ، وتحفلُ بها مجلّاتُ المجامعِ، إلّا أنّ الشّكاوَى من ضعْفِ التّحصيلِ لدَى الطّلبةِ، والنّتائجِ الضّعيفةِ التي يَحصلون عليها في الامتحاناتِ، وعدمِ قُدرتِهم على التّعبيرِ بلُغتِهم الأمِّ شفهيًّا وكتابيًّا، كلُّ ذلك لا يزالُ واقعًا مرًّا نعيشُه كلَّ يومٍ، وهذا الواقعُ يجبُ أن يُنبّهَنا إلى أنَّ الحلّ لا يكمنُ في المؤتمراتِ والملتقياتِ، وإنّما في خُطّةٍ مُحكمةٍ دقيقةٍ، تتبنّاها الدّولةُ ويشاركُ فيها جميعُ الفاعلين في العمليّةِ التّعليميّةِ، والذين يَتمثّلون في أولياءِ التّلاميذِ بالدّرجةِ الأُولى ثمّ المدارسِ الابتدائيّةِ بصفةٍ خاصّةٍ وفريقِها التّعليميِّ، ثمّ الجرائدِ والمجلّاتِ والقنواتِ الإذاعيّةِ والتّلفزيّةِ، والوزاراتِ المعنيّةِ خاصّةً وزارةَ التَّربيَةِ والتّعليمِ ووزارةَ الإعلامِ.

إنَّ هذه الخُطّةَ الشّاملةَ والدّقيقةَ التي نرجوها، ليستِ الآن في مُتناوَلِ أيدينا، ولا يَبدو أنَّ الحكوماتِ العربيّةَ ستتكفّلُ بإيجادِها في القريبِ العاجلِ؛ لأنّ هذه الحكوماتِ مُنشغلةٌ بأمورٍ أخرى، ولها أوْلَويّاتُها التي ليس

من ضمْنِها الاهتمامُ بالجوانبِ المعنويّةِ لشعوبِهم إذا هي وفّرتْ لهم حاجاتِهم المادّيةَ، ولبّتْ مطالبَهم اليوميّةَ، على حدِّ قولِ الشّاعرِ:

دعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغيتِها
واقعُدْ فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي

وفي انتظارِ ميلادِ مثلِ هذه الخُطّةِ الشّاملةِ، لا بأسَ أن يجتهدَ كلُّ مُهتمٍّ بلُغةِ الضّادِ الجميلةِ، لإيجادِ خِططٍ جُزئيّةٍ تكونُ بديلاً مؤقتًا عَمَّا نَرجوه لِلُغتِنا من انتشارٍ وريادةٍ، وعرْضي هذا لِفِكْرَةِ النّحوِ السّليقيِّ يَنْدَرِجُ في هذا السّياقِ.

يُحكى أنَّ أعرابيًّا كان يجلسُ في المسجدِ وأمامَه مجموعةٌ من طلبةِ العلْمِ، يتحدّثون عن بعضِ المسائلِ النّحويّةِ، كالفعْلِ والفاعلِ والمفعولِ به ونحوِ ذلك، ولمّا أكمَلوا حديثَهم خاطبَهم بقولِه: أراكُم تتحدّثون بلُغتِنا عن لُغتِنا بغيرِ لُغتِنا، يقصدُ أنّهم يتحدّثون بالعربيّةِ عن شواهدَ نثريّةٍ وشِعريّةٍ من كلامِ العربِ، لكنْ بمُصطلحاتٍ خاصّةٍ، لا يعرفُها هو وأمثالُه مِنَ الأعرابِ والعوامِّ. وقد كان العربيُّ القُحُّ ينظرُ إلى مثلِ هؤلاءِ المشتغِلين بعلْمِ

العربيّةِ، خاصّةً من غير العربِ، نظرةَ ازدراءٍ وريبةٍ، ولمثل هؤلاء يقولُ الشّاعر:

ولَسْتُ بنحويٍّ يلوكُ لسانَه
ولكنْ سَليقيٌّ أقولُ فأُعربُ

وإذن فقد كان العربيُّ يتكلّمُ لُغتَه بسلاسةٍ وطلاقةٍ، وبفطرتِه العربيّةِ الخالِصةِ، لا يحتاجُ معها إلى أن يلوكَ لسانَه بمُصطلحاتِ النَّحوِ الغريبةِ ومسائلِه المعقّدةِ.

كانَ الطّفلُ في الباديةِ يَرضعُ هذه اللّغةَ مع حليبِ أمِّه وينشأُ فيها تَنشئةً لُغويّةً نقيّةً على ما كان عوّدَه أبوه، ويتفتّقُ لسانُه بمفرداتِها وتراكيبِها قبل أن تُزالَ عنه التّمائمُ، فإذا شدا شيئًا حفظَ الأشعارَ وروى الأخبارَ، فاستقامَ لسانُه ونطقَ بجواهرِ لُغتِه ودُررِها، وامتلأ فؤادُه بروحِها ورَوْحِها. كلُّ ذلك، ولم يعرفْ هذا الطّفلُ البدويُّ فعلاً ولا فاعلاً ولا مبتدأً ولا خبرًا ولا حالاً ولا تمييزًا، وإنّما نطقَ بكلِّ ذلك مُعربًا مستقيمًا كما سمعَه، وكما لقّنَه إياه أبواه، فأبواه هما اللّذان يُعَرّبانِه أو يُفرنسانِه.

والسّؤالُ الذي نطرحُه هنا: لِمَ لا نبُثُّ نحن هذه اللّغةَ الفطريّةَ الطّبيعيّةَ السّليقيّةَ في نفوسِ أبنائِنا، ونُلقّنُهم إيّاها تلقينًا ونُمْليها عليهم إملاءً ونُثقّفُ بها ألسنَتَهم تثْقيفًا؟؟ الجوابُ عن هذا السّؤالِ هو: نعم نستطيعُ ذلك عن طريقِ ما سمّيتُه بالنّحوِ السّليقيِّ، فما المقصودُ بالنّحوِ السّليقيِّ

المقصودُ بذلك عمليًّا، أن نتتبّعَ أبوابَ النّحوِ على ترتيبِها في كتبِ النّحوِ، خاصّةً عند المتأخِّرين الذين استقرَّ عندَهم ترتيبُ أبوابِ النّحوِ على نسقٍ مُتشابهٍ، يكادُ يكونُ مُوحَّدًا منذُ ابنِ آجرّوم إلى الآن، ونضعُ لكلِّ بابٍ من هذه الأبوابِ مجموعةً منَ الأمثلةِ، نُحدّدُها بحوالي عشرينَ مثالاً لكلِّ بابٍ، ولا تكونُ هذه الأمثلةُ طويلةً يَختفي فيها موطنُ الشّاهدِ، وإنّما نجعلُها أمثلةً قصيرةً جدًّا، إذِ المقصودُ هنا هو تقريرُ القاعدةِ في ذهنِ الطّفلِ بكثرةِ الأمثلةِ، ولا يُصاحبُ ذلك شيءٌ من سرْدِ القواعدِ، فهذه القواعدُ لها وقتُها في مختلفِ المراحلِ التّعليميّةِ لكنَّ الهدفَ هنا هو تلقينُ الطفل مختلفَ الحركاتِ الإعرابيّةِ رفعًا ونصبًا وجرًّا وجزمًا لينطلقَ بها لسانُه بعد ذلك دون أن يُلقي لهذه الحركاتِ بالاً أو يقصدَ إليها قصْدًا.

ولا بدّ هنا منَ التّمثيل، لأنّه كما يقال: بالمثالِ يتّضحُ المقالُ، ففي الأسماءِ الخمسةِ مثلاً هناك ما يُسمّى الإعرابَ بالحروفِ، وهي هنا ثلاثةٌ: الواوُ في حالة الرّفعِ والألفُ في حالة النّصب، والياءُ في حالة الجرّ، فنضعُ لكلِّ حالةٍ منَ الحالات الثّلاث عشرةَ أمثلةً، نُلقّنُها للطّفل ونُكرّرُها على مسمعِه حتى يحفظَها وتَرسخَ في ذهنِه، فنقولُ مثلاً في حالة الرّفع:

جاء أبوك- أبوك رجلٌ حازمٌ- ذو المالِ محسودٌ- أخوك ذو علْم- حضر حموك. وفي حالة النّصْب: عظّمْ أباك واحترمْ أخاك- يُجلُّ النّاس أباك- اغسلْ فاك بعدَ الطّعام- أكرمْ ذا العلْم..

وفي حالة الجر: اسمعْ لأبيك- واعطفْ على أخيك- يثِقُ النّاس بأبيك- يشكرُ النّاس لِحميك- يحبُّ النّاسُ كلَّ ذي مُروءةٍ-..

وهكذا، نضعُ الأمثلةَ في سائر الأبوابِ كالفعلِ المضارع في أحواله الثّلاثة رفعًا ونصبًا وجزمًا مع التّركيز على أدوات النّصبِ وأدوات الجزم، وبابِ المثنّى وبابِ جمعِ المذكّر السّالمِ وجمْعِ المؤنّثِ السّالم والممنوعِ منَ الصرف... مع التَّرْكيزِ على التّنويعِ في الأمثلةِ بالشّرطَين المذكورَين وهما: الكثرةُ والاختصارُ بالاقتصارِ على موضعِ الشّاهدِ، الكثرةُ لترسيخِ المثالِ بالتَّكرارِ، والاختصارُ لحصْرِ ذهنِ السّامع والتّركيزِ على المرادِ، مع الإشارةِ إلى دور الملقِّنِ المهمِّ في هذه العمليّةِ التّعليميّةِ، وذلك بتغييرِ نَبراتِ صوته ورفْعِها عندَ التّلفُّظِ بالكلمةِ التي سيقَ لأجلِها المثالُ وعُقدَ لها البابُ.

إنَّ مثلَ هذا التّلقينِ المكرَّرِ، كفيلٌ بأن يُرسّخَ الملَكةَ اللّغويّةَ في أجيالنا الصّاعدةِ، إذا أُخذتْ هذه العمليّةُ بجدٍّ، وطُبّقت بعزيمةٍ قويّةٍ وبشكلٍ يوميٍّ.

وربّما يَعنُّ هنا سؤالٌ وهو: ما هي الفئةُ العُمريَّةُ المستهدَفةُ بهذا النّوعِ منَ التّلقينِ أو ما نُسمّيه بالنّحوِ السّليقيِّ؟ والجوابُ أنّها فئتان:

الفئةُ الأولى: من سِنّ الثّالثةِ إلى سنِّ السّادسة، والتّلقينُ في هذه المرحلة يُلقَى على عاتق الأبوَين أو معلِّمي الرّوضة.

الفئة الثّانية: من سِنّ السّادسةِ إلى سنِّ التّاسعةِ، أوِ السّنواتُ الثّلاثُ الأولى منَ التعليم الابتدائيّ، ويقوم به المعلِّمون في أقسامِهم.

ومثلُ هذه الـمُدَّةُ الطّويلةِ في التّلقينِ والتّعليمِ والتّثقيفِ والتّكرير، تكفي وزيادةً لتكوينِ الملَكةِ اللُّغويّةِ والإعرابيّةِ لدى الطّفلِ، فينطقُ نُطقًا صحيحًا ويتكوّنُ لديه حِسٌّ لُغويٌّ يَهتدي به إلى الخطأ في اللّغةِ ويَبعثُه على الاحترازِ منَ اللّحنِ.

نعودُ بعدَ هذا لِسَرْدِ الأبوابِ النّحويّةِ وترتيبِها فنبدأُ أوّلًا ببابِ الإعرابِ والبناءِ؛ لأنّه

أهمُّ بابٍ في النّحو وهو المدخلُ إلى الأبوابِ الأُخرى، بل هو يَدخلُ في جميعِ أبوابِ النّحوِ التي تأتي بعدَه، ولهذا يبدأُ به النُّحاةُ كتُبَهم.

نضعُ الأمثلةَ الكافيةَ لما يُرفعُ بالضّمّةِ ويُنصبُ بالفتحةِ ويُجرُّ بالكسرة ويُجزمُ بالسّكون، وهذه هي الحركاتُ الأصليّةُ. ثمّ نثنّي بما يُسمّيه ابنُ هشامٍ بالأبوابِ السّبعةِ؛ وهي التي تُعربُ بالعلاماتِ الفرعيّةِ، وهي: الأسماءُ الخمسةُ؛ والمثنّى؛ وجمعُ المذكّرِ السّالمُ؛ وجمعُ المؤنّثِ السّالمُ في حالة النّصب؛ والاسْمُ الذي لا ينصرفُ في حالة الجرِّ، والأفعالُ الخمسة؛ والفعلُ المضارعُ المعتلُّ الآخرِ في حالة الجزمِ.

بَعْدَ الانتهاءِ من هذا البابِ الذي هو البابُ الحديديُّ للنّحو؛ من أتقنَه سهلَتْ عليه

بقيةُ الأبواب؛ ننتقلُ إلى الأفعالِ فنسوقُ الأمثلةَ المختلفةَ للماضي والمضارعِ والأمرِ

ونُركّزُ على الفعلِ المضارعِ لدُخولِ الإعرابِ عليه؛ فنضعُ الأمثلةَ له في حالة الرّفعِ التي هي الأصليّةُ؛ ثمّ في حالتَي النّصبِ والجزمِ مع التّركيزِ على الأدواتِ النّاصبةِ والجازمةِ وإكثارُ الأمثلةِ لاستيعابِها.

ننتقلُ بعدَ ذلك إلى المرفوعاتِ السّبعةِ؛ وهي: الفاعلُ ونائبُ الفاعل والمبتدأُ والخبرُ واسمُ كان وأخواتِها وخبرُ إن وأخواتِها، ثمّ المنصوباتُ الأربعةَ عشرَ، وبعدها المجروراتُ وهي نوعان فقط: المجرورُ بالحرف والمجرورُ بالإضافةِ.

ونختمُ بالتّوابعِ التي تكونُ تابعةً لما قبْلَها ولا تختصُّ بحُكمٍ إعرابيٍّ، وهي: النّعتُ والعطفُ والتّوكيدُ والبدلُ.

معَ الاهتمامِ بخصائصِ كلِّ بابٍ والجمْعِ بين الأشباهِ والنّظائرِ،كالجمْعِ في التّمثيلِ بين المبتدأِ والخبرِ ودخولِهما على النّواسخِ، نحوُ: الحرُّ شديدٌ - كان الحرُّ شديدًا- إنّ الحرَّ شديدٌ، فيُنبّهُ الطفلُ - عن طريق التّلقين فقط- إلى الرّفعِ في المبتدأِ والخبرِ حين التّجرُّدِ، ورفعِ أحدِهما ونصْبِ الآخر، بعد دخولِ إحدَى النّواسخِ.

ويمكنُ تَطْبيقُ هذا المشروع على مجالاتٍ أخرى من مجالاتِ اللّغةِ العربيّةِ كالمجال المُعجميّ والمجالِ الصَّرفيِّ والمجالِ التّركيبيِّ الأكثرِ تعقيدًا، ليتعوّدَ الطّفلُ على النّطقِ الصّحيحِ في بِنيةِ الكلمةِ وفي بِنيةِ الجُملة كما تعوَّدَ على النُّطقِ الصّحيحِ في أواخرِ الكلماتِ.

إِشْكَـالِيَّــةُ
(فَعُولٍ) نَعْتاً لِلْمُؤَنَّثِ

د. أحمد عبد الله المغربي
أكاديمي، وعضو هيئة تدريس، سابقاً

تُشْكِلُ صيغةُ (فَعُولٍ)، حينما تقعُ نعتاً للمؤنث أو خبراً عنه، كقول الشاعر:

كـــربَ الـقـــلـــبُ مـــن جـــــواهُ يـــذوبُ
حـــيـــنَ قــــالَ الـــوشــــاةُ: هــنـــدٌ غَـــضُـــوبُ

فأخبر عن المؤنث (هند)، بالمذكر (غضوب). وكقول ذي الرُّمة:

وعـــيـــنــــانِ قــــالَ الـــلـــهُ كُـــونَــا فَـكَـانَـتـا
فَــعُــولانِ بــالألــبـــابِ مـــا تـفـعـلُ الـخـمـرُ

قال (فعولان) بالتذكير، مخبراً عن المؤنث: «عينان».

فتذكير (غضوب)، و(فعولان)، يُحْدِثُ إشكاليةً نحويةً لدى العارفين بمسألة (المطابقة النحوية) بين الوصف والموصوف(1)، في التذكير والتأنيث، ومن ثمّ يستشكلون ذلك!.

فما توجيه تلك الإشكالية؟

إنّ توجيه تلك الإشكالية يستدعي البدء بشرح استعمالات (فعول وفعيل)، ونستهل شرحها بهذا الشكل المرسوم أدناه:

فالشكل يصور أربع حالات لــ(فعول وفعيل)، هي:

* فعول (بمعنى فاعل).
* وفعول (بمعنى مفعول).

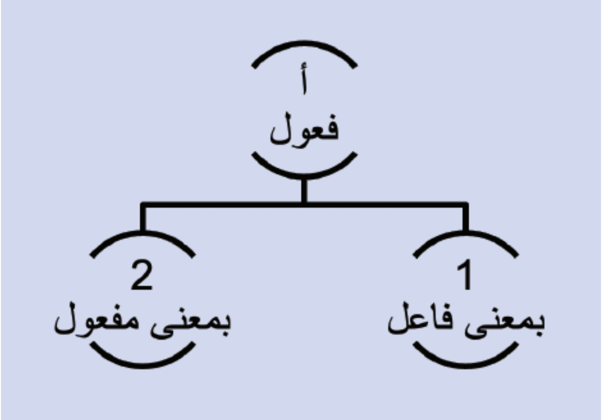

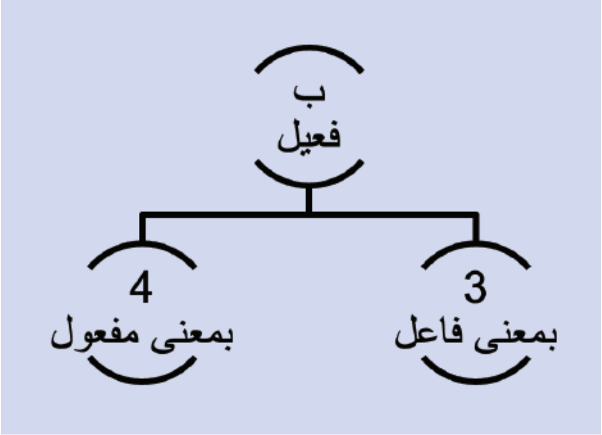

* وفعيل (بمعنى فاعل).
* وفعيل (بمعنى مفعول). وهاك أحكامها:

1 - **فعول (بمعنى فاعل):**

الأصل في هذه الصيغة أنْ تستعمل معدولة، فتلازم التذكير سواء كان موصوفها مذكراً أو مؤنثاً، نحو: رجلٌ صبورٌ، وامرأةٌ صبورٌ. وزيدٌ غضوبٌ، وهندٌ غضوبٌ، (كما تقدم في قول الشاعر آنفاً).

2 - **فعول (بمعنى مفعول):**

هذه الصيغة يجوز فيها الوجهان (أي: يجوز أنْ تلازم التذكير، ويجوز أن تطابق موصوفها) نحو: جملٌ ركوبٌ، وناقةٌ ركوبٌ، وناقةٌ ركوبةٌ، قال عنترة:

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً
سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الأَسْحَمِ

فقال: (حلوبةً)، بالتأنيث، مطابقة للموصوف المؤنث(2). وقال الآخر:

يبيتُ النَّدى يا أمَّ عمروٍ ضجيعَهُ
إذا لمْ يكنْ في المُنْقِياتِ حلوبُ

فقال: (حلوب)، بالتذكير، مع كون الموصوف مؤنثاً(3)،

جاء في (دقائق التصريف): « إذا كان (الفعول) بمعنى (المفعول)، جاز أن يكون بالهاء وبغير الهاء، يقال: جملٌ ركوبٌ، وناقةٌ ركوبٌ وركوبةٌ، وحلوبٌ وحلوبةٌ»(4).

3 - **فعيل (بمعنى فاعل):**

في هذه الصيغة تجب المطابقة، نحو: رجلٌ كريمٌ، وامرأةٌ كريمةٌ. وزيدٌ غنيٌ، وهندٌ غنيةٌ، ولا تجوز المخالفة.

4 -**فعيل (بمعنى مفعول):**

الأصل في هذه الصيغة العدول، (أي: ملازمة التذكير) بشرط أمن اللبس، نحو: رجلٌ جريحٌ، وامرأةٌ جريحٌ، فإنْ لم يؤمنِ اللبسُ وجبتِ المطابقة، نحو: رأيت جريحاً، ورأيت جريحةً. فهذه حالات صيغتي (فعول وفعيل)، وقد نظمها الباحث بقوله:

وإنْ أردتَ ضابطاً جليلاً
تضبطُ فَعُولاً وكذا فَعِيلا
فأوجبِ التَّذكيرَ للأطرافِ
إذا تشجَّرْها بلا خلافِ
والطَّرفُ الثَّاني لهُ وجهانِ
والثَّالثُ الطِّبْقُ بلا توانِ
وإنْ يكنْ لبْسٌ بذاكَ الرَّابعِ
فأوجِبَنْ إتْباعَ ذاكَ التَّابعِ

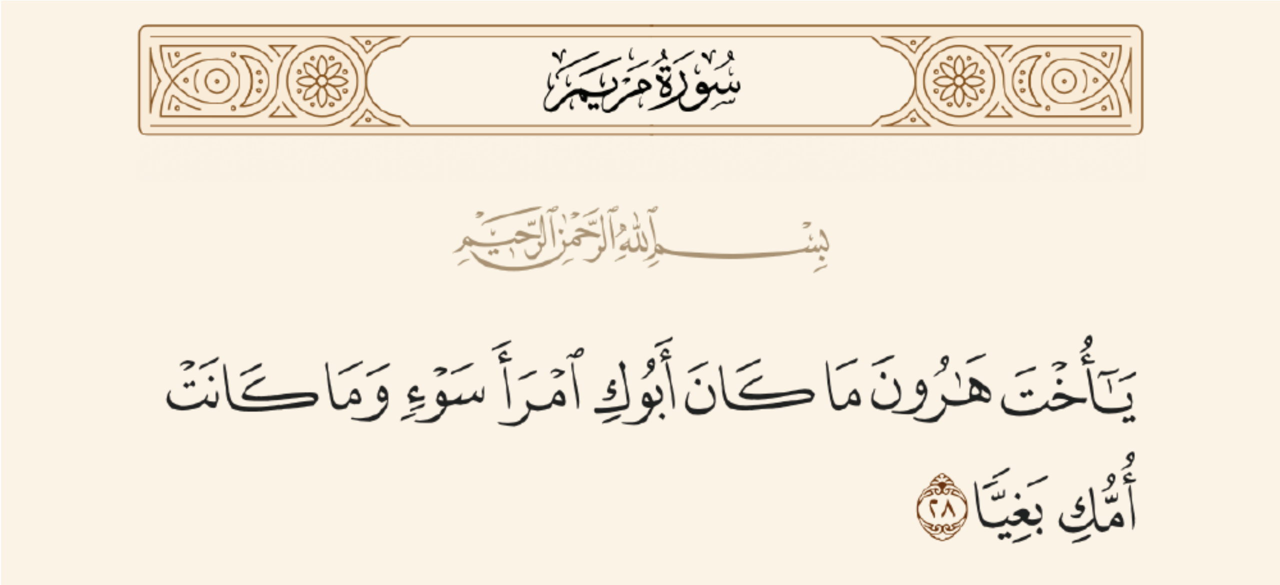
سُورَةُ مَرْيَمَ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

توجيه العدول في صيغة (فَعُولٍ) بمعنى (فاعل):

الأصل في الأسماء المعربة أنْ تطابقَ موصوفها في التذكير والتأنيث، ولكنَّ صيغة (فعول) خرجتْ عن الأصل مرتين:

الأولى- خروجاً نحوياً، حين لم تطابق موصوفها في التأنيث.

والثانية- خروجاً صرفياً، حين عُدِل بها من (فاعل) إلى (فعول).

وقد استعملتْ هذه الصيغة على هذا النحو بكثرة، حتى صار عدولها هو الأصل، جاء في (دقائق التصريف): و(الفاعل) يصرف إلى (فَعُولٍ)، فإذا صرف إليه استوى فيه المذكر والمؤنث، يقال: رجلٌ صبورٌ، وامرأةٌ صبورٌ»(5)، وكقول الشاعرين آنفاً: (هند غضوب)، و(عينان فعولان).

قال ابن عقيل (769هـ): « إنّ من الصفات ما لا تلحقه هذه التاء، وهو ما كان من الصفات على (فعول) وكان بمعنى فاعل»(6)، فإنّ ما كان من الصفات على (فعول) بمعنى (فاعل)، يكون أشدَّ الصور إشكالاً، ويشتد الإشكال إذا صيغتْ من فعل معتل، فإن صيغتها حينئذ تلتبس بـ (فعيل)، فتصير مزلة من مزلات الأقدام، كما عبر عنها الشاطبي(790هـ) بقوله: « وهذا الموضع مَزَلَّةُ قدم»(7)؛ يشير إلى قوله تعالى: وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مريم:28]، ولذلك أشكل استعمال «بغياً» بالتذكير، في هذه الآية؛ لأنّ موصوفها مؤنثٌ، وأيضاً في قوله تعالى: وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ [مريم: 20]، وقد كان المازني (249هـ) على دراية تامة بهذه الإشكالية؛ ولذلك ناظر بها الكوفيين في مجلس الخليفة الواثق بالله، ويحكي المازني مناظرته للكوفيين بهذه المسألة في مجلس الخليفة الواثق، وأنه حضر يوماً، وقد اجتمع جماعةٌ من نحويي الكوفة، فقال له الواثق: يا مازني! هات مسألةً.

فقال المازني للكوفيين: ما تقولون في قول الله جل وعز: وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ، لَمَ لمْ يقلْ: (بغيةً)، وهي صفةٌ لمؤنثٍ؟ فأجابوا بجواباتٍ ليست بمَرْضِيّةٍ.

فقال له الواثق: هات الجواب؟

فقال: «يا أمير المؤمنين! لو كانت «بَغِيًّا» على تقدير (فعيل بمعنى فاعلة)، لحقتها الهاء مثل: (كريمةٍ وظريفةٍ)، وإنما تحذف الهاء إذا كانت بمعنى (مفعولةٍ)، نحو: امرأةٍ قتيلٍ، وكفٍ خضيبٍ، وتقدير (بغي) ها هنا

ليس بـ(فعيل)، إنما هو (فعول)، و(فعولٌ) لا يلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو امرأةٍ شكورٍ، وبئرٍ شطونٍ، إذا كانت بعيدة الرِّشاء، وتقدير (بغي) بغويٌّ، قلبت الواو ياءً ثم أدغمت الياء في الياء نحو سيدٍ وميتٍ»(8). فاستحسن الواثق الجواب.

فهذا كله يدلك على أن صيغة (فعول) إذا كانت بمعنى (فاعل)، فإنها تدل على نقص المعنى، (أي: أنّ نقص المبنى يدل على نقص المعنى)، قال الزركشي: « عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه، نقصت حروفه»(9)، أخذاً من مفهوم المخالفة لقول ابن جني: « فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به»(10)، فإنّ مفهوم المخالفة يقضي بنقص المعنى إذا نقص المبنى.

ولذلك فإن استعمال « بغياً» محذوفة التاء، في قوله تعالى: وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢﴾ وفي قوله:وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾، يدل على نقص المعنى، قال الزركشي: « الأصل: باغية، فلما حول ونقل عن (فاعل)، نقص منه حرف»، فلما نقص اللفظ نقص المعنى.

ويرى الباحث، أنّ حذف الحرف هنا يشير إشارة بلاغية قوية، إلى حذف التهمة برمتها عن مريم البتول -عليها السلام- ، ثم وقفتُ على كلام للسامرائي يثبتني على هذه الرؤية، جاء في كتابه (لمسات بيانية): « وقوله في سورة مريم: وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾، حَذَفَ النونَ؛ لأنه ليس في مريم أدنى شيء من البغي، وليس هناك جزء من الحدث مطلقاً أصلًا»(11).

رجوع (فَعُولٍ) بمعنى (فاعل) إلى الأصل:

هل يجوز رجوع (فَعُولٍ) بمعنى (فاعل) إلى أصلها الأول، فتستعمل مطابقة لموصوفها؟

هذه مسألة كثر الأخذ والردّ فيها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد منع المجمع رجوعها أولاً، ثم أجازه آخِراً، ففي الدورة (30) تأريخ (1968)، صدر قرار المجمع بمنع رجوع (فَعُولٍ) بمعنى (فاعل) إلى الأصل، (أي: إلى مطابقة موصوفها المؤنث)، ونص القرار على أنه « لا يجوز أنْ تلحق التاء (فعولاً) بمعنى (فاعل) للتأنيث». ثم تقدم بعض الأعضاء بأوراق بحثية إلى لجنة الأصول مطالبين بإجازة ذلك(12)، فأصدر المجمع قراره بجواز ذلك، في الدورة (34) تأريخ (1968)، ونصه: « يجوز أن تلحق تاء التأنيث صيغة فعول بمعنى فاعل ... إلخ»().

ويرى الباحث بعد قرار المجمع الأخير أنّ المسألة باتت ذات مرتبتين:

مرتبة فصيحة، وهي ملازمة التذكير، وهي اللغة الأفصح والأعلى والأقيس، ومرتبة جائزة مع شيء من الضعف، إلا إنْ كانت للضرورة الفنية (شعرية أو نثرية)، فتجوز بلا ضعف. والله أعلم(13).

سيميائيّات الخطّ والكتابة
في التّراث العربيّ الإسلاميّ

نشأة الخطّ: الاختلاف والتعدّد

اختلف الباحثون في أصل نشأة الخطّ ، وتعدّدت آراؤهم، وتباينت مذاهبهم، وتفرّقوا شذرَ مذرَ، والغالب على هذه الآراء والمذاهب التخمين والشكّ المُبين لا الخبر اليقين؛ ومهما حاولت علوم الآثار (الأركيولوجيا) والفيلولوجيا والباليوغرافيا -إلى حدٍّ ما- دراسةَ الخطّ وتطوُّره دراسةً علميّة؛ تَبْقَ بعضُ هذه النتائج مثارَ جدل؛ بيد أنّها استطاعت أن تتجاوز التفسير التوقيفيّ الذي قال به ابن فارس لنشأة الخط، مجرِّدًا إيّاه من الصناعة والمواضعة البشريّة، والتفسير الأسطوريّ للّغة التي تكلّم بها آدمُ عليه السلام، وكلّ أمّة تدّعي أنّ لغتَها هي التي لَهِجَ بها أبو الخليقة.

الأستاذ الدكتور أحمد يوسف
جامعة السلطان قابوس

ومن جملة هذه الروايات ما ذكره ابن النديم أنّ ((أولَ من وضع الكتابة العربيّة والفارسيّة وغيرها من الكتابات آدمُ عليه السلام؛ وضع ذلك قبل موته بثلاثمئةسنة في الطين وطَبَخَهُ، فلمّا أصاب الأرضَ الطوفانُ سَلِمَ فوجد كلُّ قوم كتاباتِهم فكتبوا بها. وقال ابن عبّاس أوّل من كتب بالعربيّة ثلاثة رجال من "بولان"، وهي قبيلة سكن أهلُها الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفًا مقطّعة وموصولة، وهم: مُرامِرُ بن مُرَّة، وأَسْلَمُ بنُ سِدرة، وعامرُ بنُ جَدَرَةَ. ويقال مروة وجدلة. فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام))(1). بَيْدَ أنّ رواية ابنِ عبّاس تفسّر نشأة الخطّ العربيّ بالوضع والاختراع والاصطلاح لا بالتوقيف كما ذهب إلى ذلك ابن فارس الذي يضفي البعد الميتافيزيقيَّ على سيميائيّات الخطّ.

رجّح محمّد بن إسحاق أنّ كلام العرب يعود أصله إلى العرب العاربة (البائدة)، ثم ساد بعد ذلك لسان العرب المستعرِبة من قوم إسماعيل بقوله: ((فأمّا الذي يقارب الحقّ وتكاد النفس تَقبله فذكرُ القةِ أنَّ الكلام العربيَّ بلغة حِمْيَر، وطسم، وجديس، وأرم، وحويل، وهؤلاء هم العروب العاربة، وأنّ إسماعيل لمّا حصل في الحرم ونشأ وكبر وتزوج في جُرْهُمٍ آلِ معاويةَ بن مُضاض الجُرْهُميّ -فهم أخوال ولدِه- فتعلَّمَ كلامَهم ولم يزل ولد إسماعيل على مرّ الزمان يشتقُّون الكلامَ بعضَه من بعض، ويصنعون للأشياء أسماءَ كثيرةً بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها...))(2). وبعد أن تمكّنتْ لغة قريش من أن تفرِض نفسَها في التعامل والتفاعل والإبداع، حصلت الغلبة بعد ذلك للخطّ العربيّ على مرّ

1 – ابن النديم، الفهرست، ص. 6. وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 1/ 30.

2 – ابن النديم، الفهرست، ص.7.

العصور كما كُتِب لعربيّة قريش الفصيحة أن تكون لها السيادة على اللهجات العربيّة الأخرى.

لقد نالت اللغة العربيّة رتبة الشرف بعد أن خصّها الله –تعالى– بنزول الوحي، وبأن تكون لغةَ القرآن الكريم، ثم صار الخطُّ العربيُّ فنًّا مستقلاً قائمًا بذاته. وقبل أن يصير كذلك، كانت بلاد الحجاز تعرف الكتابة النبطيّة، ومن المرجّح أنّها استخدمتْها في معاملاتها التجاريّة. ولا يفوتُنا أيضًا ما كان مِنْ كتابات بخطوط مقطعيّة هجائيّة وأبجديّة في بلاد الرافدين والشام وفلسطين وجنوب الجزيرة وشمالها.

يرجع الخطّ العربيّ الإسلاميّ إلى الآراميّة(3) التي استوحتْ منها قبائلُ الأنباط(4) كتابتَها بعد أنْ ((أغارت على بلاد آراميّة، فتحضَّرت بحضارتها واستعملت اللغةَ والكتابة

الآرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانيّة))(5)، وهم الذين كانوا يتواصلون بالعربيّة الشفويّة؛ لأنّ أصلَهم كان من الجزيرة العربيّة وإن اختلف الدارسون في تحديد موطنهم(6) في الجزيرة شمالاً أم جنوبًا. وفي كثير من هذه السرديّات اعتسافاتٌ لا يضرّ تركُها.

لم تكن لِلُغتهم كتابةٌ مخصوصة، وحروف تُدوَّن بها في غابر الأزمان. ((فأخذوا صور الكتابة الآراميّة عن جيرانهم في الشمال (...) ولقد استعمل الأنباط الآراميّة لغةً للعلم والأدب (...). وقد تطور الخطُّ النبطيُّ الذي نقل عن الآراميّ وأصبح في القرن الثالث للميلاد الخطَّ المألوفَ في لغة عرب الشمال؛ أي لغة القرآن ولغة العصر الحاضر))(7). ودلّتِ الاكتشافات العلميّة أنّ الحروف الهجائيّة الفينيقيّة(8) لا علاقة لها بالهيروغليفيّة، بل أرجعها

3 – تحدث الآشوريّون عن الآراميّين؛ لأنّهم كانوا خصومًا لهم. وتُصنّف لغتهم في اللغات الساميّة حسب المستشرق شلوتزر (SchlÖzer) عام 1781، واستخلص التسمية من أنساب النبيّ نوح عليه السلام، واعتمد على ما ورد في سفر التكوين من الإصحاح العاشر الذي ذكر أبناء نوح: سام وحام ويافث وكذلك أبناء سام. وكتابة التوراة أهملت خصوم العبرانيّين وهم الكنعانيّون، ونبّه بروكلمان على الأسباب التي جعلتهم يُقْصون الكنعانيّين. إنّ هذا التقسيم فيه من العيوب التي لا تخفى على أيّ لبيب. حتى وإن رجّح إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) بعد أن عرض بعضَ الآراء قائلاً: ((ومهما يكن من شيء فهذا الاصطلاح أصلحُ وأوفقُ ما اهتدى إليه العلماء لتسمية كتلة الأمم التي كانت تقطن في بلاد آسيا الدنيا والتي كوّنت وحدة دمويّةً ولغويّةً مستقلّة. والواقع أنه ليس أمامَنا كتلة من الأمم ترتبط لغاتُها بعضُها ببعض كالارتباط الذي كان بين اللغات الساميّة. وأوّل من تنبّه إلى هذه العلاقة التي بين الأمم الساميّة هم علماء اليهود الذين كانوا في الأندلس في القرون الوسطى، ثم جاء المستشرقون بعدهم فأخذوا يبحثون في اللغات الساميّة بعناية وتوسُّع حتى وضحت هذه العلاقة وضوحًا تامًّا)). تاريخ اللغات الساميّة، مصر، مطبعة الاعتماد، 1929، ص. 3. ينظر علي أبو عساف، الآراميّون: تاريخا ولغة وفنا، طرطوس، دار أماني، ط. 1، 1988. ومعذلك فإنّنا نفضّل عليها اصطلاح اللغات العروبيّة كما ذهب إلى ذلك أحمد شحلان؛ وإن كانت كلمة العرب يحفها غموض كبير. ينظر أحمد شحلان، قضايا: من أصول موسى (ع. س) إلى البابا بندسكت (XVI)، الرباط، مطبعة الرسالة، ط. 1، 2017، ص. 5.

4 – واختلف الباحثون في نسبتهم إلى العرب. ينظر إحسان عباس، بحوث في تاريخ بلاد الشام: تاريخ دولة الأنباط، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط. 1، 1987، ص. 17– 27.

5 – ينظر خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام، القاهرة، مطبعة بول باربييه، 1935، ص. 7.

6 – كانت بطرا (الصخرة) عاصمتهم، ووجد علماء الآثار نقوشًا في مدائن صالح (الحجر)، وحوران وسيناء وفلسطين.

7 – فيليب حتي وأدورد جرجي وجبرائيل جبور، تاريخ العرب (مُطَوَّل)، دار الكشّاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1949، 1/ 92.

8 – ينظر كاتي كوب وهارولد جولد وايت، إبداعات النار: تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذريّ، تر. فتح الله الشيخ،

الباحثون إلى الألفبائيّة السيناويّة(9) التي عُثِر عليها في طور سينا، ثم انتقلت إلى عرب الجنوب، ثم تطوّرت، وامتدّت إلى الكتابة الأثيوبيّة(10). إنّ قراءةَ فيليب حتّي الفيلولوجيّةَ العلميّة الحصيفة لتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وبمنهج علميّ وصفيّ واستقرائيّ تدحض النظرة الدونيّة التي ارتسمت في الأذهان عن تخلُّف العرب وأمّيّتهم وجهلهم؛ ولكنْ لم تخلُ هذه الدراسات من مخلّفاتٍ إيديولوجيّة قوميّة لا تخفى على الناظرين.

هناك من يرى أنّ مسيرة الخطّ العربيّ الإسلاميّ بدأت من الخطّ الحِمْيريّ(11) (المسند)، وانتقل إلى الحيرة(12)، والحيرة أخذته من الأنبار(13)، والأنبار أخذته من حمير التي بلغت الكمالات في الحضارة، فأحكمت الخطّ وجوّدته وأتقنته؛ بَيْدَ أنّ الكتاباتِ الجنوبيّة لم تُشر إلى الأنباط، وهناك من ينفي أن تكون نشأة الخطّ العربيّ مِنْ بلاد المناذرة أو الغساسنة؛ لأنهما كانتا تدينان بالنصرانيّةِ، والنصرانيّةُ كانت تَستخدم رسميًّا الخطَّ السِّريانيّ.

والراجِح عند ابن خلدون أنّ أهل الحجاز تلقّنوا الخطّ من أهل الحيرة الذين تعلّموه بدورهم من التّبابعة وحِمْير. وهذا الرأي عنده ((هو الأليق من الأقوال))(14). والدراسون المُحدَثون ينفون أن تكون البيئة النصرانيّة مهدَ الخطّ العربيّ؛ لأنّ النصرانيّين كانوا يكتبون بالخطّ السريانيّ. ((ومهما يكنْ من شيء فلا ريبَ أنّ الخطَّ العربيَّ لم يولد في هذه الأنحاء النصرانيّة، ولم ينشأ أيضًا في بلاد الغساسنة؛ لأنهم كانوا كأهل الحيرة يدينون بالنصرانيّة ويكتبون بالسريانيّة (...) كذلك لم ينشأ في طور سينا لأن الخطّ لا ينمو ويزدهر في أرضٍ جدباءَ كشبه جزيرة سينا...))(15). إنّ نظرة خليل نامي تتبنّى موقف ابن خلدون الذي ربط نشأة الخطّ والكتابة بازدهار العمران. وهذا الرأي يميل إلى أنّ الخط مرحلة متقدِّمة في الحضارة لا يولد إلّا في بيئة الحضر لا في بيئة البدو كما تقدّم القول في هذه المسألة؛ ومن ثَمّ فإنّ نشأةَ الكتابة العربيّة(16) سبقتها كتاباتٌ حميريّة(17) وفينيقيّة وآراميّة وسريانيّة(18) ونبطيّة(19) لكون هذه الأمم كانت متحضِّرة.

الأبجديّة الفينيقيّة:

يكاد يسود الاعتقاد بين جمهور الباحثين في التأريخ للكتابة وفنّ الخطّ ((أنّ الحرف العربيّ إنما اشتُقّ من الحرف النبطيّ، ولعلّ معرفتَهالكتابةَ لم تكن قبل النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد (...) وقد

مر. شوقي جلال، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ع. 266، 2001، ص. 28-29.

9 - ينظر ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ص. 347.

10 - فيليب حتي وأدورد جرجي وجبرائيل جبّور، تاريخ العرب (مُطَوَّل)، دار الكشّاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1949، 1/ 93.

11 - ابن خلدون، المقدّمة، 2/120.

12 - وهذا الرأي لا يؤيّده الباحث خليل نامي، ويرجِّح الخطَّ الكوفيّ ((وهذا ما لا نذهب إليه، بل نرفضه رفضًا باتًّا؛ وذلك لأن الحيرة كانت قبل الإسلام مثقّفة بالثقافة السريانية لأنها كانت تدين بالنصرانيّة وكان الخطّ السريانيّ هو الخطّ الرسميّ)). خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص. 102.

13 - أبو بكر محمّد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتّاب، مرجع سابق، 1/ 30.

14 - ابن خلدون، المقدّمة، 2/120.

15 - خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبلَ الإسلام، مرجع سابق، ص. 103.

16 - يراجع ما ورد في كتاب الجّهْشِياريّ (الوزراء والكتاب) عن تاريخ الكتاب والخطّ نقْلًا عن رواية كعب الأحبار، ((أنّ أوّل من وضع الكتاب بالعربيّة إسماعيلُ بن إبراهيم، وكان أوّلَ من نطق بالعربيّة، فوضع الكتاب على لفظه ونطقه)). تح. مصطفى السقا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط. 1، 1938، ص. 1 وما بعدها.

17 - ابن النديم، الفهرست، ص. 8.

18 - ينظر البلاذريّ، فتوح البلدان، تح. صلاح الدين المنجد، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة، 1956-1957، 3/579.

19 - ابن النديم، الفهرست، ص. 18.

كان اختيارهم للآراميّة ضرورةً حضاريّةً ووسيلةً عمليّةً للتفاهم مع مَنْ حولَهم ممّن يستعملونها في مكاتباتهم، وظلّت هي لغةَ الكتابة بعد أن سقطت دولتهم لمدة مئتي سنة، ثم نسُوها، وبدأوا يكتبون العربيّة بحروف آراميّة))(20). لقد اكتسحتِ الآراميّةُ اللغاتِ البابليّة والآشوريّة في بلاد الشام والعراق، وبعد ضعفها صار الحرف النبطيّ سيّدَ الكتابة في بلاد الحجاز؛ وإذا كان الاتّفاق على أنّ الخطّ العربيّ من أصل نبطيّ، فهذا يرجّح أنّ الأنباط عرب(21)، ظهروا بعد اندثار مملكة الأدوميّين، ويستدلّ القائلون بذلك على أنّ أسماءهم في غالبها كانت عربيّة(22)، ولكنّهم استعملوا القلم العبريّ؛ لأنّ الكتابة العبريّة كانت معروفة ومنتشرة(23) آنذاك.

الخطّ والكتابة بعد ظهور الإسلام:

يكفي هذه السيميائيّات شاهدًا أنّ أوّل آية نزلت من القرآن الكريم مجّدتِ القراءة، وربطتِ التعليم بالقلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: 1-5]، وذكرتْ آياتٌ شريفات القراءة والإملاء والكتابة والقلم(24)والألواح والأسفار والصحف والكتب وافتتاح بعض السور بالحروف والكاتبين والسفرة. وهكذا انتشرت الكتابة والقراءة بين المسلمين ((على عكس الكنيسة الرومانيّة المسيحيّة، التي اعتمدت على فهم الإنجيل بواسطة رؤساء الكنيسة، وهو ما يعني أنّ رجال الدين فقط هم المطلوب منهم معرفة القراءة)). وقد تُرجم هذا التشديدُ على القراءة والكتابة إلى الاهتمام بكل الحِرف الفكريّة، ومِن ذلك السيمياء والتقنيّات الكيميائيّة، وقد اكتُسبتِ المعرفة من العلماء والمدارس والمكتبات في البلدان المفتوحة))(25). وشهد شاهدان (كوت ووايت) مِن أهلها على دور الخطّ والكتابة والنقل في مسيرة السيميائيّات الإسلاميّة.

ومن المؤسف أن تكون مصادر الكتابة بالخطّ العربيّ قُبيل الإسلام قليلة؛ ((إذ لم يَعثرِ الباحثون إلّا على نقشين فقط من النقوش العربيّة الجاهليّة التي كُتِبت قبل الإسلام))(26). ومِن الطبيعيّ أن تقتصر الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين على تدوين الوحي(27) مع عليّ وعثمان وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم، وتمتدَّ إلى الدواوين في عهد أبي بكر وعمر بن الخطّاب عندما بدأ يتّسِع دخل الدولة الإسلاميّة من المال الذي كان يأتيهم به أبو هريرة من البحرين.

سرد الجَهْشِياريّ أسماءَ كُتّاب النبيِّ محمّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- والخلفاءِ الراشدين وغيرِهم. والناظرُ في اكتشاف علماء الآثار من المستشرقين (نلدكه وبروكلمان وبرجشترسر وبروفنسال...) يقف على اللغات وكتاباتها في الصخور والأحجار والنقوش القديمة(28). ولا غرو

20 - إحسان عبّاس، بحوث في تاريخ بلاد الشام: تاريخ دولة الأنباط، الأردن، مرجع سابق، ص. 24-25.

21 - ينظر: خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوُّره إلى ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص. 10.

22 - ينظر: خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص. 8- 14.

23 - خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص. 31.

24 - ذُكِرَ القلمُ في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)﴾. [ن: 1-2].

25 - كاتي كوب وهارولد جولد وايت، إبداعات النار: تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذريّ، مرجع سابق، ص. 75.

26 - خليل يحيى نامي، أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص. 89.

27 - ينظر أبو عبد الله الجَهْشِياريّ، الوزراء والكتاب، مرجع سابق، ص. 12.

28 - نذكر منها حجر رشيد (1799) فيه الهيروغليفيّة والديموطيقيّة واليونانيّة، وحجر النمارة وبها كتابات نبطيّة تعود إلى 328 م، وحجر زبد وبه كتابات يونانيّة وسريانيّة وعبرانيّة قديمة، وحجر حرَّان عليه كتابات يونانيّة وعربيّة، ونقوش بالخطّ المسماريّ على صخرة بهستون، وبالخطّ الحميريّ نجد صخور ظفار وديار عاد وثمود، وآثار صنعاء الخطيّة...إلخ./ انظر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ منذ بدايته إلى نهاية العصر الأمويّ، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط. 2، 1979.

أن يظهر الكتاب في القرن الأوّل الهجريّ، وتَعْقُبُهُ صناعة التجليد من قبل ابن أبي الحَريش في خزانة الحكمة للمأمون(29). ويُنسب إلى سقراط أنّ الكِتاب وإن أضعف البصر بإدمان القراءة؛ فإنّه يُقوّي البصيرة.

لم يكن العرب أمّة بدويّة أعرابيّة أُميّة، ولم تكن تجهل القراءة والكتابة قبل ظهور الدعوة الإسلاميّة. ولكنّ الحكمة ظلّت منذ القديم تحتكرها أقليّة من ذوي الحظّ كي لا أقول أرستقراطيّة، ولا يُسمح بالإقبال عليها إلّا لمن كان من أهلها، ومَن كانت له إرادة في تقبّلها(30). ويعدّ كتاب «موادّ من أجل مدوّنة الكتابات العربيّة» للعالم السويسريّ ماكس فان برشم(31) (1863 1921-) [Max van Perchem] مصدرًا مُهمًّا جمع فيه النصوص العربيّة القديمة التي عثر عليها في مصر وفلسطين وسوريا، و"النقوش العربيّة الإسبانيّة" لليفي بروفنسال. ويمكن أن نرسم بعض ملامح السيميائيّات الإسلاميّة إذا احتكمنا إلى مصدرها الحنيفيّ كما نفترض، وبها تنتفي الأطماع، وتَحْسَرُ الظنون.

وبعد بزوغ شمس الإسلام أقبل النّاس على تعاليم الدين يتعلمونه ويطبقونه ويدرسونه ويُعلِّمونه، واحتاجوا إلى الكتابة لجمع القرآن الكريم وحفظه بالتدوين، فشجّع الإسلام على تعلّمها كما سبق ذكر ذلك، ثم انصرفت الحضارة الإسلاميّة إلى تحصيل العلوم التي تساعدها على بناء أركان الصناعة والرياسة والدولة والمعاملات؛ مثل الحاجة إلى الكتابة والكُتّاب لتدبير الأمور السلطانيّة من الدواوين والحساب والرسائل وصكّ النقود وتنظيم الجيوش، ثم وُضعت أدبيّات للكتاب ومنه العنوان، وهو ((الأثر الذي يُعرف به الشيء))(32). وإذا تفسّحنا في القول قلنا –على سبيل المجاز– أنّ هذه هي الأنساق التي مَثّلتِ المعالمَ

29 – ابن النديم، الفهرست، مصر، المطبعة الرحمانية، د. ت، ص. 14.

30 – ابن النديم، الفهرست، مصر، المطبعة الرحمانية، د. ت، ص. 336.

31 – Max van Perchem, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum,Caire, Imprimerie de l'institut français d'archéologie orientale, 1922,

32 – أبو بكر الصوليّ، أدب الكتاب، مرجع سابق، 2/147.

الأولى للسيميائيّات الإسلاميّة، وعلى رأسها الكتابة والترجمة.

وقد سبق أنّ خصّ أحد الذين نعدّهم من الأعلام الأوائل للسيميائيّات الإسلاميّة المشائيّة بمديح للعربيّة وكتاباتها؛ إذ قال الفيلسوف العربيّ الكندي: ((لا أعلم كتابةً تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربيّة، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات))(33). وهذا الحكم يقتضي بالضرورة أنّ صاحبها يكون على علم بكتابات أخرى غير العربيّة إذا صحّت نسبة هذا الكلام إليه.

سيميائيّات الخطّ والكتابة:

وصفوة القول إنّ مقام الخطّ والكتابة في هذه السيميائيّات هو ما أورده أبو بكر الصوليّ نقلاً عن صاحب المنطق ((أن الأشياء موجودة في أربعة مواضع: في الأشياء ذوات المعاني في أنفسها، وفي العقول، والقول، والخطّ. وأنّ الخطّ دليل على ما في النفوس، وما في النفوس دليل على ما في الأشياء ذات المعاني، وما في الأشياء ذوات المعاني مدلول عليه))(34). وهي إشارة إلى حدود العلامة عند علماء العرب من الوجهة

33 – ابن النديم، الفهرست، مصر، المطبعة الرحمانية، د. ت، ص. 15.

34 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 1/42.

السيميائيّة، ومراتب الوجود من الوجهة المنطقيّة، فعبّر الصوليّ عن الأعيان بالأشياء ذوات المعاني في أنفسها، وعن الأذهان بالعقول وعن الألفاظ بالأقوال، وختمها بالحدّ الرباعيّ وهو الخطّ الذي أهملته ثنائيّة العلامة عند دو سوسير، وثلاثيّتها عند بورس، وانتصرت له تقويضيّة دريدا بعد أن انتقص أفلاطون وروسو فضيلة الكتابة.

ومن عجيب المعاني في الحبر أنّه ((أثر الشيء كأنّه أثر الكتابة))(35)، وعندما يزول الأثر يصير إلى المحو. ((والمحو في اللغة تعفية الأثر حتى لا يُرى))(36)، والكتابة محوٌ(37)، ومنه الطِّرْس قال ابن سيده: ((الطِّرْسُ الكتاب الذي مُحي ثم كُتب، والجمع أَطْراس وطُروس، والصاد لغة. الليث: الطِّرْس الكتاب المَمْحُوُّ الذي يستطاع أَن تعاد عليه الكتابة))(38). ونحن نعلم ما لمتصوّر الأثر من منزلة في فلسفة دريدا حتى تذهب بنا الظنون أنّه كان يعرف العربيّة؛ ولكنّ الظن لا يغني من الحقِّ شيئًا.

لقد جُعل الخطُّ مسألةً متعلّقة بالذهن؛ ولعلّ العلوم المعرفيّة كفيلة بأن تكشف لنا أنّ قراءة الكتابة مسألة ذهنيّة خالصة ليست مرتبطةً بالمرئيّات وضبط الحروف وحركاتها، وأنّ ما قيل عن عيوب الكتابة العربيّة والطعن فيها قد أثبتتِ البحوثُ تهافتَهُ؛ إذ كيف كان يُقرأ الخطّ بغير إعجام؟ لقد ((كره الكُتّابُ الشكل والإعجام إلّا في المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى من دونهم))(39). وكان العلماء يتباهَون بالقدرة على قراءة الحروف من غير إعجام وضبط؛ والسبب في العودة إلى الضبط والإعجام أنّهم أرادوا أن يتجنّبوا الوقوع في الأغلاط في أثناء قراءتهم في مجالس الخلفاء، وألّا تُحصى زلّاتهم عن كثرة التصحيف. وقال الأوزاعيُّ: ((العَجْمُ نورُ الكتاب))(40). وهناك طرائف كثيرة حكاها الصوليُّ؛ ولهذا كانت الخطوط دليلاً على ما في النفوس، والأقلام مطايا الأذهان وسفيرة العقول(41).

إنّ عالمَيِ العِيان والذهن ثابتان لا يتغيّران، وأنّ عالمَيِ الألفاظ والخطّ متغيِّران ولا يثبتان على حال، لكونهما مرتبطَين بتغيّر اللغات والبلدان. ((واللفظ والخطّ من هذا الوجه ضروريّان لا بدّ منهما في العبارة. ولو شاء قائل أن يفضِّل الخطَّ على اللفظ في هذه الحال من قول صاحب المنطق لقال: الخطّ أتمُّ من اللفظ فائدة لأنه قد بلغ مبلغ المنطق؛ إذ كنا قد نناجي الحاضر بهما جميعًا فنفهمه بكلّ واحد منهما مثل ما نفهمه بالآخر، ولا نستطيع إفهام الغائب إلا بالخطّ، فلل فائدتان من هذه الجهة وليس للّفظ إلّا فائدة واحدة))(42). ووأساس التفاضل بينهما وظيفيّ؛ إذ مدار الخطّ تمام الفائدة لجهتي الحضور والغياب. وأنّه ذو نزعة فرديّة. فأصل الخطّ العربيّ واحد ولكنْ لكلّ واحد خطّه وتوقيعه.

وإذا قسنا درجة التفاضل على جهتي السمع والبصر برز وجه النقصان في علامة الخطّ، ولكان السمع مقدَّمًا على البصر لكونه يحيط بالجهات الستّ؛ في حين يحتاج الخطّ إلى شرط النور وانتفاء الأمّيّة لإدراكه عبر فعل القراءة. ويمكن دفع هذا الاعتراض بأنّ الشرطين عارضان. وقد بالغ الشعراء والكُتّاب في وصفه مدحًا وقدحًا.

35 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 2/104.

36 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 2/126.

37 – قال أبو نواس:

أكثري المَحْوَ في الكتابِ ومَحِّي ـهِ بِرِيْقِ اللِّسانِ لا بالبنانِ

38 – ابن منظور، لسان العرب، مادة [طرس].

39 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 1/ 57.

40 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 2/165.

41 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق، 1/ 68.

42 – أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، أدب الكُتَّاب، مرجع سابق1/ 42-43.

التّوجيه اللّغويّ في متن الدّرر اللّوامع

مقاربة تأصيليّة لأنماط الحُجّة القرائيّة عند ابن بَرّي التّازيّ (ت730 هـ)

طليعةٌ

الحمدُ للهِ الَّذي أكْرَمَنا بالقُرآنِ ودينِ الإسلامِ، وأنْزَلَ إلينا أشْرَفَ الكُتُبِ وأحْسَنَ الكَلامِ، وجعَلَهُ مُعجزًا في المعنى والنّظامِ، والصّلاةُ والسّلامُ على صاحبِ الخيرِ الجزيلِ، وعلى مَنْ قَفا نَهْجَهُمْ بإحسانِ ترتيلٍ، ما ارتبطَ حُكمٌ بدليلٍ، وأداءٌ بتعليلٍ. وبعدُ؛ فإنَّ تَوْجيهَ القِراءاتِ عِلمٌ غَزيرُ الفوائدِ، عظيمُ المنافعِ، جمُّ الأحكامِ، مختلفُ المواردِ، وهو مَيْدانٌ خَصْبٌ لتطبيقِ علومِ اللُّغةِ من نحوٍ وصرفٍ وبيانٍ وبلاغةٍ واشتقاقٍ(1). والتَّعليلُ في كلِّ فنٍّ أجلُّ ما يُطلبُ، وأفضلُ ما يُكتبُ، وأعظمُ ما تَتَبارى فيه الأقْلامُ، وتَتَفاوتُ فيه الأفكارُ، وتطمَحُ إليهِ النُّفوسُ، وتَرْكُنُ إليهِ الأفْئدَةُ، وتَختلِفُ فيهِ الأنْظارُ.

الدكتور مصطفى بحيرة

أستاذ وباحث أكاديمي

ومِنْ جميلِ المنظوماتِ العلميَّةِ في قراءةِ الإمامِ نافعٍ الَّتي تضمَّنتْ تقريرَ أَحكامِ القراءةِ أصْلاً وفَرْشًا، وتعليلَ الحُكمِ نَحْوًا وحَمْلًا، نَظْمُ الدُّررِ اللَّوامعِ في أصْلِ مَقْرَإِ الإمامِ نافعٍ، للمُقرئِ أبي الحَسَنِ عليِّ بْنِ محمَّدٍ الرِّباطيِّ التّازيِّ المتوفَّى سنةَ (730 هـ).

فهو مَتْنٌ عذْبُ الألفاظِ، رائقُ المعنى، بديعُ الحُجَجِ، جَدليُّ التَّعليلِ، مختلفُ المواردِ، غزيرُ الفوائدِ، تقرُّ المُهَجُ فيما أوردَهُ مِنَ الحُجَجِ.

وعِنْدَما طالعْتُ النَّظْمَ استَوْقَفَني قولُهُ:

أَوْرَدْتُ ما أَمْكَنَنـي مِنَ الحُجَـجْ
مِمّا يُقـامُ في طِـلابِهِ حِـجَجْ

و«أل» في الحُججِ تُفيدُ العُمومَ، فماذا تَعُمُّ مِنَ الحُجَجِ؟، وما هي أنواعُها؟، وهل تعدَّدَتْ مواردُ النّاظِمِ في التَّوْجيهِ؟، وما هو الوِعاءُ التَّعْليليُّ الذي حَمَلَ الحُجَجَ؟، وهل كلُّ الحُجَجِ الَّتي وَرَدَتْ في النَّظْمِ، هي حُجَجٌ لُغويَّةٌ، أم هناك توجيهاتٌ لا تَنْدَرِجُ في عُلومِ اللُّغَةِ؟.

سَيُجيبُ هذا المقالُ على ما طَرَحْتُهُ من أَسئِلَةٍ، واللهُ وَلِيُّ التَّوفيقِ، والهادي إلى الصَّوابِ.

توجيهُ القِراءاتِ لُغَةً واصْطِلاحًا

التَّوْجيهُ لُغَةً:

قال ابنُ فارسٍ:

«الواوُ والجيمُ والهاءُ: أَصْلٌ واحدٌ يَدُلُّ على مقابلَةٍ لِشيءٍ. والوَجْهُ مستقبلٌ لكُلِّ شَيءٍ. يقالُ: وجهُ الرَّجُلِ وغيرِهِ. ورُبَّما عُبِّرَ عَنِ الذّاتِ بالوَجْهِ.

وتقولُ: وجهي إليكَ، وواجهتُ فُلانًا: جَعَلْتُ وجهي تِلْقاءَ وَجْهِهِ، ومن البابِ قولُهم: هو وَجيهٌ بَيِّنُ الجاهِ.

والجاهُ مقلوبٌ، والوِجْهَةُ: كلُّ موضعٍ اسْتَقْبَلْتَهُ، ووَجَّهْتُ الشَّيءَ: جَعَلْتُهُ على جِهَةٍ. وأَصْلُ جِهَتِهِ: وِجْهَتُهُ.
والتّوجيهُ: أَنْ تَحْفِرَ تَحْتَ القِثّاءَةِ، أَوِ البِطّيخَةِ ثُمَّ تُضْجِعَها.
وتَوجَّهَ الشَّيخُ: وَلّى وأَدْبَرَ، كأنَّهُ أقبلَ بِوَجْهِهِ على الآخَرِ. ويُقالُ للمُهْرِ إذا خَرَجَتْ يَداهُ مِنَ الرَّحِمِ: وَجيهٌ». (2)
إذَنْ؛ دَلالةُ الوَجْهِ لُغَةً تَدُورُ على المعاني الآتية:
مقابلةُ الشَّيءِ، والذّاتُ، ونَفْسُ الشَّيءِ، وجَعْلُ الشّيءِ على جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ، والتَّولِّي والإدبارُ، والجارِحَةُ، وأوَّليةُ الشَّيءِ، والسَّيِّدُ، والسَّبيلُ المقصودُ مِنَ الشَّيءِ. (3)
وأقربُ هذهِ المعاني اللُّغويَّةِ لِمفْهُومِ التَّوْجيهِ اصْطِلاحًا، مَدْلولانِ:
1 - جَعْلُ الشَّيءِ على جِهَةٍ معيَّنَةٍ، فالقراءةُ تكونُ على تَخْريجٍ مُعيَّنٍ وحُجَّةٍ مَقْصُودةٍ.
2 - السَّبيلُ المَقْصودُ مِنَ الشَّيءِ؛ إذِ القراءةُ والظّاهرةُ الصّوتيَّةُ لها سبيلٌ مقصودٌ لِتَوْجيهِها وتَخْريجِها.

التَّوْجيهُ اصْطِلاحًا:

والتَّوجيهُ: جَعْلُ الكلامِ ذا وَجْهٍ ودَليلٍ(4) والتَّوجيهُ: بيانُ وَجْهِ الكلامِ ومَعْناهُ (5).
وتَوْجيهُ القراءاتِ: عِلْمٌ يُبَيِّنُ فيهِ دليلُ القراءةِ وتَصْحيحُها من حيثُ العربيَّةِ واللُّغَةِ، ليَعْلَمَ القارِئُ وَجْهَ القِراءةِ (6).

مواردُ التَّوجيهِ عِنْدَ ابنِ بَرِّي التّازيّ

إنَّ نَظْمَ الدُّررِ اللّوامعِ مَعَ صِغَرِ الحَجْمِ، عظيمُ الفائدةِ، وكثيرُ الحُجَجِ، وقد رَأَيْتُ أَنَّ أنواعَ الحُجَجِ، ومواردَ التَّعْليلِ تَرْجِعُ إلى الأَقْسامِ الآتيةِ:

حُجّةٌ نقليّةٌ:

وهي أَصْلُ الحُجَجِ، وذُرْوَةُ سَنامِ العِلَلِ؛ إذْ بِالإسْنادِ تَتَحَقَّقُ رُكْنِيَّةُ القرآنِ الكريمِ.

حُجَّةٌ نَحْوِيَّةٌ:

فكثيرًا ما يُعَلِّلُ بالنَّحْوِ كما في قَوْلِهِ وهُوَ يُوجِّهُ قَصْرَ هاءِ الكِنايَةِ عندَ قالونَ:

واقْصُرْ لقالونَ يُؤَدِّهْ مَعا
ونؤتِه منها الثّلاث جُمعا
نُولِّه ونُصْلِه ويتَّقْه
وأرْجِه الحرفين مع فَأَلْقِه
رعايةً لأُصْله في أَصْلها
قَبْلَ دُخولِ جازمٍ لِفِعْلها

حُجّةٌ صرفيةٌ:

فقدْ وَجَّهَ قَصْرَ الواوِ في مَوْئِلًا بقولِهِ:

وقَصْرُ مَوْئِلًا مَعَ المَوْؤُودَهْ
لِكَوْنِها في حالةٍ مَفْقُودَهْ

حُجّةٌ انسجاميةٌ:

فقد عَلَّلَ ابنُ بَرِّي للبَسْمَلةِ في الأربعِ الزُّهْرِ بالضّرورةِ: والمرادُ بها انسجامُ مطلعِ السُّورةِ بخاتِمَتِها، أو دَفْعِ اللَّبْسِ، وهو توهُّمُ يُسَلِّطُ النَّفْيَ على ما قَبْلَهُ، قال:

وبعضُهُمْ بَسْمَلَ عَنْ ضَرُورَهْ
في الأَرْبَعِ المَعْلُومَةِ المَشْهُورَهْ
لِلْفَصْلِ بَيْنَ النَّفْيِ والإثْباتِ
والصَّبْرِ واسْمِ اللهِ والوَيْلاتِ

حُجّةٌ صوتيةٌ:

وَجّهَ ابنُ بَرِّي قَصْرَ هاءِ الكِنايَةِ في «يرضه» لِنافعٍ بعِلَّةٍ صَوتيَّةٍ وعلَّةٍ نحويَّةٍ، فقال:

ونافعٌ بِقَصْرِ يَرْضَهُ قَضى
لِثِقَلِ الضَّمِّ وللّذي مَضى

حُجّةٌ قياسيةٌ حَمْليةٌ:

وَجَّهَ ابنُ بَرِّي تفخيمَ حيرانَ بالحَمْلِ على عمرانَ، فقالَ:

والسَّيْرُ والطَّيْرُ وفي حَيْرانا
خلفٌ لَهُ حَمْلاً على عِمرانا

حُجّةٌ عدميةٌ، أو حُجّةٌ اعتباريةٌ

علَّلَ ابنُ بَرِّي -رحمه الله- قَصْرَ المُنْفَصِلِ عندَ قالونَ بانعدامِ الهَمْزَةِ حالَ الوَصْلِ. فقالَ:

نَحْوُ بما أُنْزِلَ أو ما أُخْفي
لِعَدَمِ الهَمْزَةِ حالَ الوَقْفِ

والاعتبارُ هنا قد يكونُ للَّفْظِ، وقد يكونُ للمَعْنى، فقَدْ وجَّهَ ابنُ بَرِّي بتعاقُبِ المعاني، حينَ قالَ:

وأرَأَيْتُ وها أنتمْ سَهّلا
عنهُ وبعضُهُمْ لورشٍ أبْدلا
والهاءُ يَحْتَمِلُ كونها فيه
مِنْ هَمْزِ الاستفهامِ أوْ للتَّنْبيهِ

حُجَّةٌ مُصحفيةٌ

فقَدْ علَّلَ ابنُ بَرِّي بعضَ الجُزْئياتِ القِرائيةِ بالرَّسْمِ العثمانِيِّ وخطِّ المُصْحَفِ مِنْ ذلكَ قولُهُ:

فَصْلٌ والاستفهامُ إنْ تَكَرَّرا
فَصَيِّرِ الثّانيَ منهُ خَبَرا

واعْكِسْهُ في النَّمْلِ وفوقَ الرُّومِ
لِكَتْبِهِ بالياءِ في المَرْسُومِ

وقَدْ يَسَّرَ اللهُ لي نَظْمَ أُرجوزَةٍ سمَّيْتُها «الكوكبَ الدُّرِّي في بيانِ حُجَجِ ابنِ بَرِّي» أَخْتِمُ بها لِما فيها من إجاباتٍ عَنْ فَرَضيَّةِ البَحْثِ، أشَرْتُ فيها إلى مَيِّزَةِ النَّظْمِ، وأَنْواعِ الحُجَجِ، ومواردِ التَّعْليلِ، ومُرادفِ الحُجَّةِ. وهي قولي:

الحَمْدُ لله على
ما أنْعما وأجْزَلا
ثُمَّ صَلاتُهُ على
محمّدٍ مَنْ ارْسِلا
وآلِهِ وصَحْبِهِ
وتابعٍ لِحزْبِهِ
إلى لِقاءِ ربِّهِ
يَرْجو ثوابًا وعُلا
وبعدُ هاكَ نَظْمي
يا طالبًا للفَهْمِ
لِحُجَجٍ في النَّظْمِ
دُرٌّ ولامِعٌ جَلا

مكانةُ النَّظْمِ ومميِّزاتُهُ

الدُّرَرُ اللّوامِعْ
في مَقْرَإ لِنافِعْ
مُعلَّلٌ وبارِعْ
ونَظْمُهُ لَنا حَلا
كَتَبَهُ ابنُ بَرِّي
شُروحُهُ فلْتَدْرِ
فيا لَهُ مِنْ أجْرِ
ثوابُهُ تَسَلْسَلا
ميزَتُهُ في الحُجَجِ
صريحةٌ في المَنْهَجِ
مُقَرَّةٌ للمُهَجِ
فـ\هاكها مُفَصَّلا

أنواعُ الحُجَج

مُراعاةٌ للأصْلِ
وعلّةٌ بالنّقلِ
أَشْهِدُوا بالفَصْلِ
تقويةُ البِنا تلا
النَّقْلُ والضّرورهْ
في زُهْرِهمْ مَشْهُورهْ
وبنيةٌ مَهْجورهْ
واردةٌ في مؤْئلاَ
ما رسمُوا في المصحف
ثُمّ قياسٌ خَفِّفِ
حَمْلٌ ولَبْسٌ اعرف
فرْقٌ وخفّةٌ علَا
حركةُ الإعراب
من حُجَجِ الكتابِ
رعايةُ الأسباب
وأصْلُ ذا ما نُقِلا
والبُعدُ ثُمَّ العدمُ
والقُربُ فيما يُدْغمُ
تغييرُ لفظٍ يلزمُ
وادْعُ لناظمٍ تلا
وغالبُ التّعليلِ
باللّامِ يا خليلي
إذْ عندَهُ في القِيلِ
بجُملٍ قد علَّلا

أقسامُ الحُجج

حُجَجُهُ نوعانِ
مفردةٌ للدّاني
مقرونةٌ بثانِ
وانظرْ أُخَيَّ للعُلَا
وبعضُها ذُو جدلِ
يقارئا فأعْمِلِ
وراجعَنْ للمُثُلِ
يُحَلُّ ما قدْ أشْكِلا

مرادفاتُ الحجّة في النّظم

لحُجّةٍ وحَمْلِ
وعلّةٌ لنقلِ
مصطلحاتٌ أجْلِ
ناظمُنا مُستعمِلا

الخاتمة

هذا تمامُ قصدي
وإنْ خَطا فأبْدِ
يقارئا بجدٍّ
وللعلوم حصِّلا
نحمده جلّ عُلا
ثُمَّ صَلاتُه على
محمّدٍ من وصَّلا
رسالةً إلى الملا

1 - وقد جمع بعضهم علوم اللّغة، فقال:
صرف بيان معاني النحو قافية
شعر عروض اشتقاق الخطّ إنشاء
محاضرات وثاني عشرها لغة
تلك العلوم لها الآداب أسماء

2 - انظر: السيد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، ص:3.

3 - انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6/ ص:89.
انظر: العكبري، المسائل العكبريات في اللغة والنحو والقراءات (ص: 21-25). 3

4 - انظر: القاضي النكري، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1/ ص:24.

5 - انظر: ولي الله الدّهلي، الفوز الكبير في أصول التفسير (ص:101).

6 - انظر: ابن عقيلة المكّي، الزيادة والإحسان في علوم القرءان، ج4/ص:216 تحقيق: مجموعة من الباحثين، مركز البحوث والدّراسات، ط: الأولى، 2006م.

الشّريعة الإسلاميّة
وأثرها على دلالات ألفاظ اللغة العربيّة

إنّ أهمية الاطلاع على التّطور الدّلالي للألفاظ لا تكمن فقط في علوم اللّغة الخاصة باللّسانيات، بل تشمل علوما كثيرة، كعلوم الشريعة والفلسفة والمنطق والاجتماع وغيرها من العلوم. يقول ابن خلدون في مقدّمته عند حديثه عن علم أصول الفقه "يتعيّن النّظر في دلالة الألفاظ؛ ذلك أنّ استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقّف على معرفة الدّلالات الوضعيّة مفردة ومركبة " كما أنَّ البحث في دلالة الألفاظ وتطوُّرها بحث ذو قيمة خاصة يستمدُّها من صلته بشؤون الحياة، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، إذ إنَّ كثيرا من القضايا والمعاملات بين الأفراد بل المعاهدات والاتفاقيات بين الدول، تتوقَّفُ على تحديد معاني الألفاظ؛ ممّا دعا رجال الشرع والقانون إلى بذل الكثير من الجهود في هذه السّبيل.

د. غسان محمد الشيخ
أكاديمي وأستاذ جامعي

مفهوم التطور الدلالي للكلمة:

من المعلوم بأنَّ اللفظ قد وضع للدلالة على معنى معيّن، والملاحظ أنَّ كثيرا من الألفاظ والكلمات لم تبق محافظة على هذه الدلالة بل تطوّرت، ولا شكَّ بأنّ هناك عوامل أدّت إلى ذلك، نذكر هنا عاملين هما: الاستعمال اللغوي، والعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية، ويتفرّع عن الأوّل خمسة أسباب، وعن الثاني أيضا خمسة أسباب نعرضها بإيجاز فيما يأتي:

العامل الأول: الاستعمال اللغوي

أ. كثرة التّوظيف: ومثال ذلك كلمة (الرّثّ) كانت تطلق على الخسيس من كل شيء، ثم قصر مدلولها على الخسيس مما يُفْرش ويُلْبَس، بسبب كثرة استخدامها في هاتين الطائفتين، وكذلك كلمة (البأس) كانت تستعمل في الشّدّة في الحرب، ثم كثر استخدامها في كل شدّة.

ب. بنية الكلمة الصوتية: فقد كانت كلمة (الولد) في أصلها تدل على الذّكر والأنثى، ولكنَّ شكلها المجرّد عن التاء المربوطة؛ أوهم أنّها مقتصرة على الذَّكر دون الأنثى، وغلب ذلك على الاستعمال العرفي . ج. الانتقال المجازي: وذلك مثل كلمة (الغفران) معناها على الحقيقة السّتر، ثم كثر استخدامها في الصَّفح عن الذنوب، وكذلك كلمة (العقيقة) معناها الشَّعَر الذي يخرج على المولود الخارج من بطن أمه، انتقل معناها إلى ما يذبح عنه عند حلق ذلك الشّعر .

د. اختصار العبارة : فلو قلنا مثلا (هذا الغلام بلغ) يعني بلغ الحلم، في حين أن معنى (بلغ) وصل، وهكذا كثير من العبارات بسبب اختصارها وكثرة استعمالها كانت سببا في التغيير الدلالي.

هـ. الاقتراض اللغوي: لقد استعمل العرب كلمة (الحرير) ثم اقترضوا ألفاظا دخيلة على اللغة تدلُّ على الحرير، مثل السّندس، والإستبرق، والدّيباج ، فأصبح للشيء الواحد اسمان

أو أكثر، الأولى هي الأصيلة وسائرها دخيل .

العامل الثاني: العامل التاريخي والاجتماعي والثقافي والنّفسي

أ. تغيير مدلول الكلمة: فقد كانت كلمة (القطار) تعني مجموعة من الإبل يسير الواحد منها وراء الآخر، ثم استخدمت في سائر الكائنات الحيّة التي تفعل ذلك، ثم نقل اللفظ في وقتنا المعاصر للدّلالة على الصّف من مركبات السّكّة الحديديّة المربوطة بعضها إلى بعض والمقطورة بقاطرة، وكذلك لفظ السيّارة.

ب. سوء الفهم: وذلك مثل كلمة (الأرض) تحمل دلالات متباينة، فهي الكوكب المعروف، وهي الزُّكام، و(الليث) يعني الأسد ويعني العنكبوت .

ج. الابتذال والرّقي: فقد كانت كلمة (الحاجب) تدلُّ في العصر الأندلسي على منصب الوزير، أما الآن فقد أصبحت مرادفة لكلمة (البوّاب)

د. الكنايات عما يُستهجن ذكره: فقد كنّى القرآن الكريم عن العملية الجنسية وما يتعلَّق بها بألفاظ كريمة مثل السّتر، الحرث، الإفضاء ، المباشرة ، الدخول ، الرَّفَث ..... وما إلى ذلك.

قال تعالى: {هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ} (البقرة:187)

وقال تعالى: {نساؤكم حرثٌ لكم} (البقرة:224)

هـ. الحاجة: قد تكون سببًا من الأسباب الدّاعية إلى التغيير الدلالي، مثل ظهور أمور جديدة في الحياة الاجتماعية أو الفكرية أو الصناعيّة ... تحتّم وجود ألفاظ تتناسب معها، وهذا ما حدث عندما جاء الإسلام فقد نقل مدلول ألفاظ كثيرة إلى مدلولات أخرى كما سترد.

جهود العلماء في بيان أثر الشّريعة على ألفاظ اللغة العربية وتطوّرها الدلالي

لقد أدرك العلماء منذ الصّدر الأول، صلة الدّراسات اللغوية بالقرآن الكريم وعلوم الدين، فقد بادروا إلى تفسير الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن والسّنّة، مستشهدين بالشعر الذي ورد عن العرب، فهذا الصّحابيُّ الجليل ابن عبّاس رضي الله عنهما (68هـ) يُسأل عن معاني بعض الألفاظ من القرآن الكريم

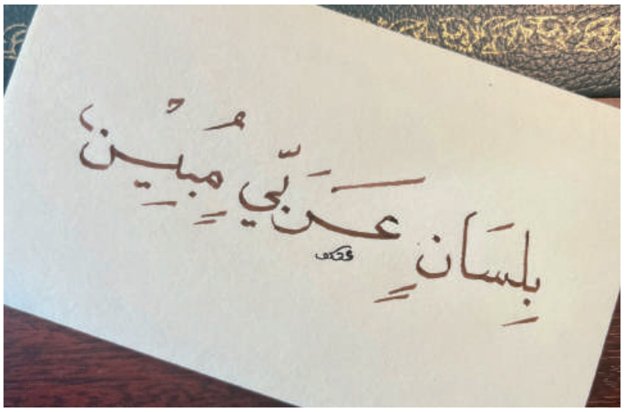

فيفسّرها مستشهدا بالشّعر، وهذا أبو عبيدة معمر بن المثنّى (210هـ) يؤلّف كتابه (مجاز القرآن) حيث فسَّر فيه القرآن معتمدا على اللغة العربية وأساليبها واستعمالاتها، وكذلك فعل ابن قتيبة (276 هـ) في كتاب (تفسير غريب القرآن) وكتاب (تأويل القرآن)، ثم جاء أبو حاتم الرّازي (322هـ) فوضع كتابه (الزّينة) وهو أوّل كتاب في العربيّة يعالج دلالة اللفظ وتطوُرها، ويسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول فجاء كتابه -رحمه الله- مستوعِبا وجامعا لما تفرّق عند غيره، وسوف نعرض أنموذجا من مادّة كتابه لاحقا، ثم جاء أبو القاسم الزجاجي (337 هـ) فوضع كتابه (اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من المصادر واللغات والتأويل) ثم جاء أحمد بن فارس (395هـ) فعقد في كتابه (الصّاحبي) بابا خاصا فيما يتعلق بأثر الشريعة على ألفاظ اللغة العربية وتطوّرها الدّلالي، ثم تتابعت الدّراسات عن هذا الموضوع إلى أيّامنا هذه، وسوف نعرض بعض النماذج من جهود علمائنا فيما يتعلق بموضوعنا.

نموذج من كتاب الزينة

يقول أبو حاتم الرّازي (322هـ): "فمنها – أي معاني الأسماء والألفاظ- ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسامٍ دلّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولا في الدين وفروعًا في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب، وأسامٍ جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها

ولا غيرها من الأمم مثل تسنيم، وسلسبيل، وغِسلين، وسجّين،... وغير ذلك . " كذلك ذكر بعض التراكيب التي لم تكن معروفة قبل الإسلام مثل: بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وما شاء الله كان . وبيّن الألفاظ التي لم تعرف قبل الإسلام "مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر لم تكن العرب تعرفها .... وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر النّعمة، لا تعرفه من معنى الكفر بالله. قال الشاعر : ولا تحسبني كافرا لك نعمة " وهكذا يستدل إلى أن ينتهي من الألفاظ السابقة التي ذكرها .

نموذج من كتاب الصاحبي

يقول ابن فارس (395هـ): " كانت العرب في جاهليّتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلمّا جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرِعت، وشرائط شُرِطت. فعفى الآخر الأول . »

يفصّل ابن فارس القول في بعض الألفاظ ويدلِّلُ على أنَّ العرب عرفت بعضها أو عرفت موادَّها اللغوية ثم استعملت بعد الإسلام، هي أو مشتقاتها، لمعان جديدة، يقول في ذلك رحمه الله «جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سُمّي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشّيء ثم جاء في الشّرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسّتر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: "فسقت الرُّطَبة" إذا خرجت من قشرها، وجاء الشّرع بأنَّ الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه.»

ويذكر كذلك رحمه الله ألفاظ الصّلاة ، والسّجود، والصّيام ، والزكاة ... وينتهي من ذلك كلّه بأنَّ هذه الألفاظ لها معنى لغويّ ولها معنى شرعيّ جاءت به الشريعة، وبيَّنَ أيضا بأن هناك ألفاظا عربية كانت تستعمل قبل الإسلام ثم زالت لما جاء، فيقول"ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم: المرباع ، والنّشيطة، والفضول ...»

نموذج من كتاب إحكام الفصول:

يقول الباجي (474 هـ) رحمه الله تعالى:

«فصل في بيان الأسماء العُرفيّة: ومعنى قولنا: أسماء عرفية أن تكون اللفظة موضوعة لجنس في أصل اللغة، ثم يغلب عليها عُرْفُ الاستعمال في نوع من ذلك الجنس نحو قولنا: دابّة، فهو اسم كان موضوعا في الأصل لكل ما دبَّ ودرج ثم غلب عليه الاستعمال لمطلقه في البهيمة المخصوصة ذات الأربع؛ وكذلك قولنا: "صلاة"، هي في أصل اللغة موضوعة في الدُّعاء ثم استعملت في الشرع في الدُّعاء بقرائن ومعان مخصوصة؛ وكذلك الصّوم هو الإمساك ثم استعمل في إمساك عن معنى مخصوص في وقت مخصوص؛ وكذلك الحجُّ هو القصد في أصل اللغة، ثم غلب عليه عرف الاستعمال بالقصد إلى موضع مخصوص في وقت مخصوص على وجه مخصوص؛ وأما البيع فإنه باق على أصله ومستعمل على الوجه الذي وضع له؛ وكذلك الرّبا إلا أنه يدخله التخصيص على حسب ما يدخل ألفاظ العموم؛ ولم يستعمل في بعض ما يقع عليه في أصل اللغة دون بعض.

فصل: إذا ثبت ذلك فإنَّ عرف الاستعمال يكون من ثلاثة أوجه: أحدها من جهة اللغة نحو استعمالنا الدابة لذوات الأربعة وما أشبه ذلك، والثاني من جهة الشّرع نحو استعمالنا الصلاة والصوم والحج والزكاة على حسب ما ورد به الشرع، والثالث من جهة الصّناعة نحو استعمال أهل النظر (متكلما) في مَنْ يناظر في أصول الديانات، واستعمال أهل الدواوين الزّمام في الكتاب الجامع لما يجمعه، واستعمال أهل الإبل الزّمام لخطام الناقة، وغير ذلك ممّا لأهل كل صناعة عرف وعادة فيه، فيحمل لفظ كل طائفة على عُرفها وعادتها.

فصل: إذا ثبت ذلك فإذا ورد لفظ من الألفاظ العُرفيّة،

حُمِل على ظاهر الاستعمال فيما ورد من جهته؛ فإن ورد من جهة الشّرع حمل على ظاهر الاستعمال في الشرع؛ وإن ورد من جهة اللغة حمل على ظاهر الاستعمال عند أهل اللغة؛ وإن ورد من جهة صناعة، حُمل على ظاهر الاستعمال عند أهل تلك الصّناعة»

إذاً نستطيع القول: إنّه عند ما أشرقت شمس الشريعة الإسلامية، أحدثت نقلة حضارية كبيرة وتطورا هائلا في مفردات اللغة العربية ودلالاتها، وتمثل ذلك في ثلاثة مظاهر:

أ. استعمال الألفاظ بمعناها اللغوي تماما: مما لايخفى على أحد بأن الشريعة الإسلامية إنما نزلت باللغة العربية، والكل مُجمع على أنَّ الشريعة شرّفت هذه اللغة وارتقت بها وحافظت على وجودها واستمرارها؛ وذلك باستعمال ألفاظها ومدلولاتها ...... وهذا يعني بالضرورة بأنها قد أبقت مجمل ألفاظ اللغة العربية ومدلولاتها على ما هي عليه، ولا ضرورة لعرض أمثلة على ذلك لوضوحه.

ب. استعمال الألفاظ مع تطوير معانيها بإضافة شروط أو قيود.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، فقط أصدرت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية 1439 ه أربع مجلدات تحت مسمى "معجم مصطلحات العلوم الشرعية " وقد بلغ عدد صفحات هذا المعجم 1096 صفحة، وهذا مؤشر واضح على كثرة تلك الألفاظ التي تطورت مدلولاتها في ظل الشريعة الإسلامية؛ ولكي يزداد الأمر وضوحا نعرض المثال الآتي :

كلمة (عَقْد) يطلق العقد في اللغة على جملة مَعانٍ، منها الشّدُّ، والرّبط، والإحكام، والتوثيق، والجمع بين أطراف الشيء، جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس «العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدٍّ وشدَّة ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها" أما في اصطلاح الفقهاء فقد استعملوا كلمة العقد بمعنى الرّبط الحاصل بين كلامين على وجه يترتّب عليه حكم شرعيّ، كما لو قلت بِعْتُك هذه السلعة بكذا، وقال الطرف الآخر اشتريت، فقد ترتّب عليه حكم شرعيّ، هو انتقال ملكية السلعة إلى المشتري وملكية الثمن إلى البائع.

ج. استعمال الألفاظ اللغوية بمعنى غير معناها مطلقا فقد نقلتها الشريعة بشكل كامل إلى معان أخرى ومثال ذلك: كلمة (نائبة) في اللغة هي النازلة، وهي ما ينوب الإنسان، أي ينزل به من المهمّات والحوادث، والجمع نوائب، يقال نابَهُ أمرٌ ينوبه نوبة، أي أصابه. أما عند الفقهاء فتعني ما يضرب السلطان على الرّعية من الأموال لمصلحتهم، كعمل الجسور وإصلاحها، وكري الأنهار ونحو ذلك.

د. استعمال ألفاظ وتراكيب جديدة لم تكن معروفة من قبل في اللغة: لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكثير من الألفاظ لها دلالات ما عرفها العرب ولم يستعملوا تلك الألفاظ من قبل، من هذه الألفاظ: النفاق، المؤمن، المسلم، الكافر، الإسلام، والإيمان، الصلاة ، الأذان، الرّكوع، السجود.... إلخ، كذلك الحال في التراكيب فقد جاءت بتراكيب جديدة لم تكن معروفة منها: بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، إنا لله وإنا إليه راجعون ... إلخ.

وهكذا كان للإسلام وما أتى به من تطوّر فكريّ واجتماعي آثار بعيدة في اللغة وتطوير معاني الكثير من ألفاظها، فقد أوجد ألفاظاً لم تكن مستعملة من قبل، وألبس ألفاظا قديمة معاني جديدة لم تكن تلبسها أو تدلّ عليها، وألغى ألفاظا كانت مستعملة من قبل.

نَسَقِيَّةُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

النَّسَقيّةُ هي انتظامُ عدّةِ عناصرَ بعْضِها إلى جانبِ بعْضٍ بحيث تُؤَلِّفُ كُلًا واحدًا. وتتميّزُ اللُّغةُ العربيّةُ بنَسقيّةٍ خاصّةٍ على مستوى الأنساقِ: الصّوتيِّ، والصَّرفيِّ، والتّركيبيِّ، والدّلاليِّ، والتّداوُليِّ. وقد وردَ البحثُ الصّوتيُّ العربيُّ مُتناثرًا بين ثنايا مُختلفِ مَصادرِ علومِ العربيّةِ؛ نظرًا إلى تَعَدُّدِ بيئاتِ قُدماءِ العلماءِ العربِ التي اهتمّتْ بدراسةِ الصّوتِ وهي: بيئةُ المُعْجميّين، وبيئةُ النُّحاةِ واللُّغويّين، وبيئةُ العَرُوضيّين، وبيئةُ الفلاسفةِ المُسلمين. لقد تميّزتْ نَسقيّةُ اللّغةِ العربيّةِ بالجمْعِ بين ربْقةِ الأنساقِ ومِنْها: الصّوتيُّ، والصّرفيُّ، والتّركيبيُّ، والدّلاليُّ، والتّداوُليُّ. وتمَّ التّكامُلُ المعرفيُّ بين تلك الأنساقِ عبْرَ تداخُلِ مُختلفِ المُستوياتِ كتداخُلِ المُستوى المُعجميِّ في المُستويَيْنِ: الصّوتيِّ والدّلاليِّ، وحضورِ المقامِ التّخاطبيِّ بما هو بعدٌ تداوليٌّ داخلَ مُستوى التّركيبِ.

د. الحسن بواجلابن
باحث ومترجم/ المغرب

النَّسقيّةُ هي ارتباطُ مجموعةِ عناصرَ فيما بينَها بناءً على علاقاتٍ محدّدةٍ؛ حيث تَنْتظمُ بعضُها إلى جانبِ بعضٍ لِتُكوِّنَ كُلًّا واحدًا. وتتميّزُ اللّغةُ العربيّةُ بنَسقيّةٍ خاصّةٍ وهو ما سأُوضِّحُه من خلالِ الأنساقِ: الصّوتيَّةِ، والصَّرفيَّةِ، والتَّركيبيَّةِ، والدّلاليَّةِ، والتّداوُليَّةِ.

النَّسَقُ الصَّوْتيُّ:

وردَ البحثُ الصّوتيُّ العربيُّ مُتناثرًا بين ثنايَا مختلفِ مصادرِ علومِ العربيّةِ، واهتمّت بيئاتُ قُدماءِ العلماءِ العربِ بدراسةِ الصّوتِ وهي:

* بيئةُ المُعجميّين:

وضعَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ (ت: 175 هـ) مُعجمَ العيْنِ اعتمادًا على أساسٍ صوتيٍّ.

* بيئةُ النُّحاةِ واللُّغويّين:

أنْجزَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ وتلميذُه سِيبَويه (ت: 180 هـ) وابن جنّي (ت: 396 هـ) عدّةَ بُحوثٍ صوتيَّةٍ.

* بيئةُ العَروضيّين:

لخليلُ بنُ أحمدَ واضعُ مُوسيقَى الشِّعرِ: البحورُ العَروضيّةُ.

* بيئةُ الفلاسفةِ المسلمين:

اهتمَّ الكنديُّ (ت: 252 هـ)، والفارابيُّ (ت: 339 هـ)، وابنُ سينا (ت: 428 هـ) بدراسةِ الصّوتِ في مجالِ المُوسيقَى. وكانت عنايةُ البَلاغيّين بالصّوتِ مع ابن سِنانٍ الخَفاجيِّ (ت: 466 هـ) في القرنِ الهجريِّ الخامسِ من خلالِ كتابِه (سرُّ الفصاحةِ)، ثمّ ظهرَ هذا الاهتمامُ في أَطْواءِ نظريّةِ التّناسُبِ في القرن الهجريِّ السّابعِ مع حازم القَرطاجنّي (ت: 684 هـ) في مصنَّفِه (مِنهاجُ البلغاءِ وسِراجُ الأُدباءِ). وربطَ العلماءُ العربُ بين الأصواتِ

ومَدلولاتِها المُحدّدةِ واهتمُّوا بدلالةِ جَرسِ اللّفظِ على معناه.

*** النَّسقُ الصَّرفيُّ:**

من ذلك ما قاله سِيبَويه عنِ المصادرِ التي تَنْتظمُ في الصّيغةِ الصَّرْفيّةِ الفَعَلان ودَلالتُها الاضطرابُ والحركةُ مثل: النَّقَزان والغَلَيان والغَثَيان ... وصِيغةِ اسْتَفْعَلَ الدّالّةِ على الصّيْرُورةِ والتّحوّلِ.

*** النَّسقُ التَّركيبيُّ:**

ومِنْ أَدَقِّ تَجلِّياتِه نظريّةُ النّظم عندَ عبدِ القاهر الجُرجانيِّ (ت: 471 هـ)؛ حيث تَتعالقُ الألفاظُ في الجُملةِ بناءً على تَوخّي المُتكلّمِ مَعانِيَ النّحوِ بين الكَلِمِ يَتَحَكَّمُ في نظْمِها وتَرتيبِها، فيُراعِي الحذْفَ والتّقديمَ والتّأخيرَ تبعًا لطبيعةِ المقامِ التَّخاطُبيِّ.

*** النَّسقُ الدَّلاليُّ:**

ومن تَمَظْهُراتِ النَّسقِ الدَّلاليِّ المُعجمُ، كشأنِ مُعجمِ العين الذي بناه الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ على أساسِ ترتيبِ مخارجِ الحُروفِ من جهةٍ وعلى ما اعتمَدَه علماءُ الصَّرفِ في حصْرِ أبنيةِ الكلمةِ. ويُعدُّ مُعجمُ الخليلِ أوّلَ مُعجمٍ مُنسّقٍ للّغةِ العربيّةِ. واعتنَى الحسينُ ابنُ فارس (ت: 395هـ) بالكيفيّةِ التي تقعُ بها الأسماءُ على المُسمّياتِ وهي:

* الأسماءُ المختلفةُ للأشياءِ المختلفةِ.

* الاسْمُ الواحدُ للأشياءِ المختلفةِ.

* الأسماءُ المختلفةُ للشّيءِ الواحدِ.

* الاسْمُ الواحدُ للأشياءِ المُتضادَّةِ.

واعتنَى أبو منصورٍ الثّعالبيُّ (ت: 429هـ) بالألفاظِ على أساسِ القرابةِ المَعنويّةِ مثلَ أصْواتِ النّارِ وأنواعِ التّهيّؤ وغيرِ ذلك.

*** النَّسقُ التَّداوُليُّ:**

كانت لمختلفِ قُدامَى العلماءِ العربِ اهتماماتٌ تداوليّةٌ وبيانُ ذلك فيما يأتي:

* **أصولُ الفقهِ**: نظرَ الأصوليّون إلى شروطِ تحقُّقِ الخطابِ كما هو مُتداوَلٌ طبيعيًّا، من مُخاطِبٍ هو الله تعالى إلى مكلَّفٍ يعرفُ مقاصدَ المُكلِّف. وقدّمَ المبحثُ الأصوليُّ استقْراءً دقيقًا للمعاني. واستعملَ علماءُ الأصولِ مفاهيمَ: الاقتضاء، والقصْدِ واستعدادِ المخاطَبِ، والإلزام، والاستعمالِ والمقاصدِ، والخبرِ وظروفِه، والصّدقِ والكذبِ، ودلالةِ الموافقةِ ودلالةِ المخالفةِ، ...

* **المنطقُ**: عالجَ المَناطقةُ القصْدَ، والالتزام،...

* **التفْسيرُ**: اهتمَّ المفسّرون بمعرفةِ أسبابِ النّزول، والمكيِّ والمدنيِّ، والحَضَريِّ والسَّفَريِّ، والصَّيفيِّ والشّتائيِّ ، ...

* **النّحوُ واللّغةُ**: منحَ النُّحاةُ العربُ الأولويّةَ لِما

هو تداوُليٌّ؛ ذلك لأنَّ علْمَ النَّحو لم ينفصلْ بعدُ عن علْمِ المعانِي. واعتنَوا بمفاهيم علْمِ المُخاطَبِ، وخوفِ المُتكلّمِ الالتباسَ، واللّغةِ والاستعمالِ، والإضْمارِ والقَصْدِ، والاستعمالِ والمقام وغيرِ ذلك.

* **البَلاغة:** إنَّ البَلاغة العربيّةَ تداوُليّةٌ بطبْعِها، خصوصًا أنَّ نمطَ الأسئلةِ التي أمْلَتْها العصورُ السّابقةُ اقتضَى ذلك. واعتنَى البَلاغيُّون العربُ بمفاهيم المقام والمقالِ، والمُتكلّمِ والمُخاطَبِ، والكلام وعِلْمِ السّامعِ، وقرائنِ الأحوالِ، والقصْدِ وحالِ المُخاطَبِ، والاستلزام التّخاطُبِيِّ والمعنَى بين المقام والقصْدِ.

ومِنَ الاهتماماتِ التّداوُليّةِ لدى قُدامَى العلماءِ العربِ وقدمائِهم عنايتُهم بمهامِّ المُتكلّمِ، وعلاقةِ المُتكلّمِ بالتّلفُّظِ، والعلْمِ بالمخاطَبِ:

- **مهامُّ المُتكلّم:** يَرى أبو يعقوبَ السّكّاكيُّ (ت: 626هـ) أنَّ الإبداعَ لا يُحقّقُ جماليتَه إلّا إذا صدَرَ عن مُتكلّمٍ يقوَى على تلبيةِ مَقْصديتِه من كلامِه الشّعريِّ بمطابَقتِه معناه لغرَضِه، وتقديمِ المعنَى في أبهَى حُلّةٍ.
- **علاقةُ المتكلّم بالتّلفُّظ:** أوضحَ بشرُ بنُ المُعتمر (ت: 226هـ) أنَّ إحرازَ المُتكلّمِ المنفعةَ يكونُ مع مُوافقتِه الحالَ وتحقيقِه مطابقةً بين المقامِ والمقالِ. ولا يتحدّثُ عنِ المقامِ الخاصِّ، وإنّما المقامُ العامُّ الذي يَضمُّ الخطابةَ والشّعرَ. واهتمَّ بشرُ بنُ المُعتمر بالمقالِ؛ أي: بنيةِ النّصِّ وخصائصِه اللّغويّةِ أوّلًا، كما اهتَمَّ بمُقوّماتٍ أُخرى غيرِ لُغويّةٍ كالمُتكلّمِ والمُخاطَبِ والمقام ثانيًا.
- **العلْمُ بالمُخاطَب:** يتحتَّمُ على المُتكلّمِ أن يُراعِي أحوالَ المُخاطَبِ وهو ما حفلَ به قدماءُ النُّحاةِ والبَلاغيّين العربِ؛ فقد بنَى سِيبَويه طريقتَه في الدّراسةِ على المُخاطَبِ؛ إذ على المُتكلّمِ أن يتحاشَى الالتباسَ حتى لا يُسيءَ المخاطَبُ فهمَ قصْدِه، كما يلزمُ المُتكلّمَ أن يضعَ في حُسبانِه علْمَ المُخاطَبِ؛ فيَحذفَ ما يُؤدّي إلى التّكرارِ.

وعلّلَ سِيبَويه مُعظمَ قواعدِه اعتمادًا على ما ارتبَطَ بالمُتكلّمِ والمُخاطَبِ، وقدِ اعتمدَ البَلاغيّون جُهودَه. ولتحقيقِ الإبلاغِ بين المُخاطَبِ والمُتكلّمِ حثَّ البَلاغيّون على مُراعاةِ الحالةِ النّفسيّةِ للمُخاطَبِ؛ حيث أدركُوا مَكانةَ المُخاطَبِ في فهْمِ معانِي الخطابِ، وضرورةِ مُراعاتِه في أقوالِهم.

فالمُتكلّمُ مُلزمٌ بمُراعاةِ أحوالِ المُخاطَبين وظروفِهم من أجل إفهامِهم وإقناعِهم، فقدِ اهتمَّ العلماءُ العربُ بمنازلِ المُخاطَبين وأقدارِهم الاجتماعيّةِ؛ لذا ألَحُّوا على فكرةِ مناسبةِ الكلامِ لشخصيّةِ المُخاطَب فلكلِّ جماعةٍ كلامٌ، ولكلِّ طبقةٍ مقالٌ.

يَتبيّنُ ممّا تقدّمَ أنَّ قُدماءَ النُّحاةِ والبَلاغيّين العربَ قد جعلُوا للعمليّةِ التّخاطُبيّةِ أطرافًا هي: المُتكلّمُ، والمخاطَبُ، والمقامُ التّخاطُبيُّ، والمعانِي، وأنَّ المُتكلّمَ والمخاطَبَ شريكان في عمليّةِ فهْمِ النّصّ وإنتاجِ المعنَى.

ومِن علْمِ المُتكلّمِ بالمُخاطَبِ، معرفةُ هيئتِه ليتمكّنَ من إثـارةِ انتباهِه ويُـوصِـلَ قصدَه إليه، وهو ما يقتضِي أن يجمعَهُما مقامٌ تخاطُبيٌّ واحدٌ، فإيماءاتُ المُتكلّمِ، وتقاسيمُ وجْهِه، واستقبالُ المُخاطَبِ لها علاماتٌ تُؤدّي ما لم تَقْوَ على أدائِه العلاماتُ اللُّغويّةُ. تنبَّه سِيبَويه إلى قيمةِ المقامِ خلالَ بناءِ القواعدِ والإعرابِ وكان على وعْيٍ بدوْرِ العناصرِ غيرِ اللُّغويّةِ في بناءِ الخطابِ؛ ذلك لأنَّ وضعيّةَ التّخاطُبِ تُؤثّرُ في كلّ عناصرِه: المُتكلّمُ ومَقصديتُه، والمخاطَبُ، والمعنَى؛ لذلك دعا عبدُ الله بنُ مسعودٍ المُتكلّمَ إلى رصْدِ ردودِ فعْلِ المُخاطَبِ على المعانِي التي يَرومُ تبْليغَها. وأدركَ سِيبَويه وعبدُ الله بنُ مسعود وابنُ جنّي أنَّ تبليغَ المعنَى لا يحتاجُ إلى عناصرِ اللّغةِ فقط، وإنّما يتطلّبُ أيضًا مُقوّماتٍ توجدُ خارجَ اللّغةِ مثلَ الحركاتِ، والإشاراتِ، وتقاسيمِ الوجْهِ، ووضعيّةِ المُخاطَبِ.

وأستَخلصُ ممّا تقدّمَ أنّ نَسقيّةَ اللّغةِ العربيّةِ تجْمعُ بين رِبْقَةِ الأنساقِ: الصّوتيَّةِ، والصَّرفيَّةِ، والتّركيبيَّةِ، والدّلاليَّةِ، والتّداوُليَّةِ ، وتمّ التّكاملُ المعرفيُّ بين تلك الأنساقِ كتداخُلِ المُستوى المُعجميِّ في المُستويَيْنِ: الصّوتيِّ والدّلاليِّ، وحضورِ المَقامِ التّخاطُبيِّ وهو بُعدٌ تداوُليٌّ داخلَ مُستوى التّركيبِ.

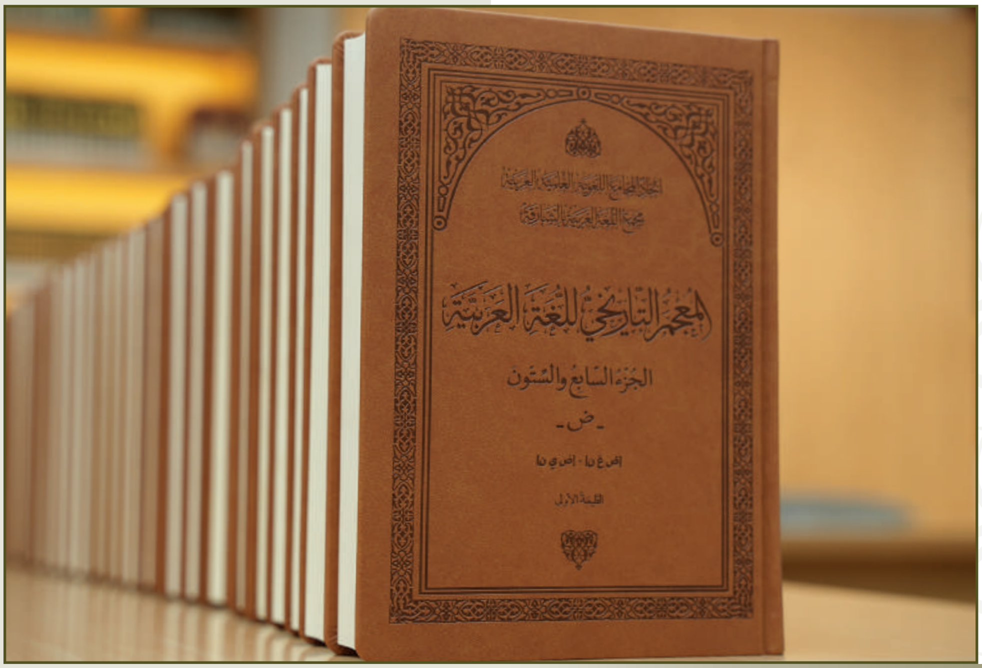

مُعجَميّات

- نظرةٌ في منهج المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة
- المُؤَنَّثُ في اللُّغَةِ العَرَبِيّة: دِرَاسَةٌ إحْصَائِيّةٌ في مُعْجَمِ اللُّغَةِ العَرَبِيّةِ المُعاصِرِ
- فصاحةُ غلام
- من المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة : رحلة مع الاسم «رأس»

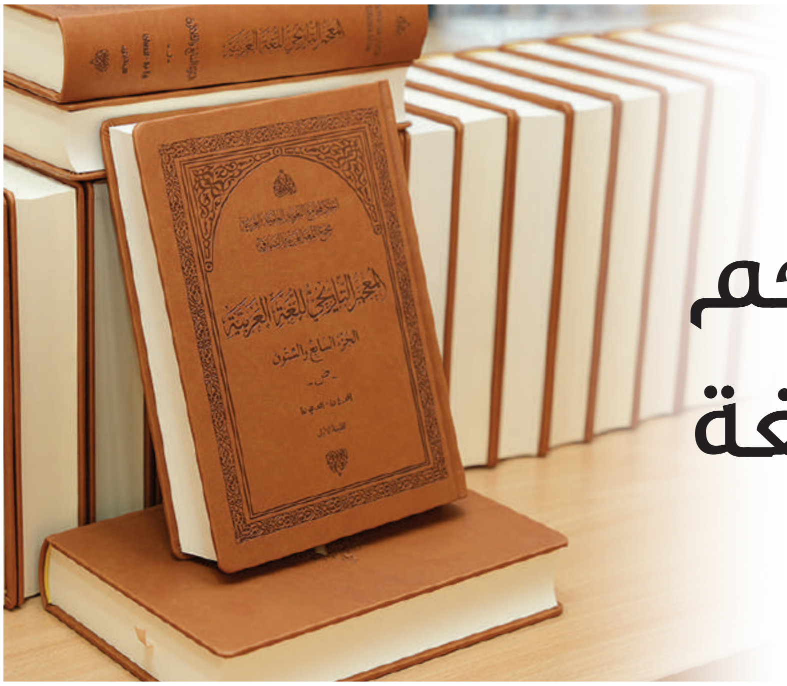

نظرةٌ في منهج المعجم التّاريخي للّغة العربيّة

صَدرَتْ في السَّنواتِ القَليلَةِ الماضِيَةِ عِدَّةُ مَعاجِمَ تاريخيَّةٍ، بَل عِدَّةُ أَجْزاءٍ مِنها، بَعْضُها عامٌّ، وبَعْضُها مُتَخَصِّصٌ في بَعْضِ العُلوم، والشِّعْرِ. والباحِثُ الذي يُوازِنُ بَيْنَ المُعْجَمِ التّاريخِيِّ الذي يُصْدِرُه مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في الشّارِقَةِ، بإشْرافِ رَئيسِ المَجْمَعِ سُموِّ الشَّيْخِ الدّكتور سُلْطانِ بنِ مُحَمَّدٍ القاسِمِيِّ، وقَد صَدَرَ منه حَتّى الآنَ سَبْعَةٌ وسِتّون جُزْءًا، وبَقِيَّةَ المَعاجِمِ الأُخَرِ يَجِدُ أَنّ هذا المُعْجَمَ يفضُلُ ما صدرَ من معاجِمَ مُماثِلَةٍ بِأُمورٍ عِدَّةٍ، لَعَلَّ أَبْرَزَها العَشَرَةُ الآتِيَةُ:

أ.د. إميل بديع يعقوب
لغوي وباحث

1 - سُرعةُ إنجازٍ لم يُسْبقْ إليها

إنَّ القارئَ لا يسألُ مؤلِّفَ الكتابِ عنِ المدّة الّتي قضاها في تأليفِه، بل يُسائلُه فيما كتب نقدًا وفائدةً، ولكنَّ مؤلِّفَين يضعان كتابَين بمواصفاتٍ تأليفيّةٍ واحدةٍ، لا شكّ أنّ الأسرعَ منهما في التّأليفِ يكونُ له الفضلُ في الإنجازِ.

أقول هذا لأنَّ مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة أصدر المجلَّدَ الأوّلَ من مُعجمِهِ الكبير سنة 1970م، والجزءَ السّادسَ عشرَ (حرف الضّاد) سنة 2023م، وهذا يعني أنَّ هذا المعجمَ سيَستغرقُ من سنة إعدادِهِ حتّى سنةِ صدورِ آخرِ جُزءٍ منه، إذا توالى صدورُ الأجزاءِ المتبقّيةِ على المنوال السّابقِ، أكثرَ من مئة سنة.

أمّا معجمُ الشّارقةِ، فبدأ بالصّدورِ سنة 2021، وها نحن في السّنة 2023. وقد صدر منه سبعةٌ وستّون جُزءًا، فهل تعرفون مُعجمًا في الشّرق والغرب صدرت أجزاؤه بهذه السّرعةِ؟

إنَّه إنجاز بل إعجازٌ لم يُسْبق إليه في السّرعة. أطال الله في عمرِ رئيسِ المجمعِ، سموِّ الشّيخ الدّكتور سلطان بنِ محمّدٍ القاسمي، وأمينِه العامِّ الأستاذ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي، وكلِّ من شارك في هذا المُعجمِ المُعجزة. وتصوّرُوا معي كم تطلَّبَ ويتطلَّبُ إنجازُه من جُهدٍ جهيدٍ، وعمَلٍ مَنهجيٍّ، ومتابعةٍ مُستمرّةٍ، وإشرافٍ دقيقٍ، وتعاوُنٍ مُثْمرٍ!

2 - التّفرّدُ بمفهومٍ جديدٍ للمُعجم التّاريخيّ

إنَّ المهمّةَ الأساسيّةَ للمُعجمِ التّاريخيِّ، كما عرفَها الأوروبيّون ثمّ العربُ بعدَهم، هي تسجيلُ معنَى الكلمةِ أو معانِيها مع تأريخِ ولادةِ كلِّ معنى من هذه المعاني.

ولم يَكْتَفِ معجمُ الشّارقةِ بهذين الأمْرَين، بل أضافَ مهمّةً جديدةً إلى الـمُعجمِ التّاريخيِّ، وهو تتبُّعُ المعنى الواحدِ منذُ ولادتِه حتّى عصرِنا الحاضرِ. فهو لم يكتفِ بإعطاءِ شهادةِ الميلاد للمعنى، بل أضافَ إليها شهادَتَين: شهادةَ عُمرٍ أو حياةٍ، وشهادةَ وفاةٍ. وهذا مفهومٌ جديدٌ ومُبْتَكَرٌ للمعجمِ التّاريخيِّ لم يُسْبَقْ إلَيه.

3 - الأصحُّ تقسيمًا للعصورِ اللُّغويّة

في تتبّعِهِ مَعْنَى الكلمةِ عَبْرَ التّاريخِ، قَسَّمَ معجمُ الشّارقةِ تاريخَ اللّغةِ العربيّةِ في خمسةِ عُصورٍ، تماشيًا مع تقسيمِ تاريخِ الأدبِ العربيِّ السّائدِ في كُتبِنا ومعاهدِ الدّراسةِ عندنا.

وقَسَّم غيرُه تاريخَ اللّغةِ إلى عشرةِ عُصورٍ، ولا شَكَّ أنَّ معجمَ الشّارقةِ كان الأكثرَ توفيقًا، إذِ اعتمدَ على عوامل أشدَّ تأثيرًا في اللّغةِ منَ العواملِ الّتي استندَ إليها مقسّمو تاريخِها إلى عَشَرةِ عُصورٍ. وكلَّما كثُرَ عددُ العصورِ، أصبح تأريخُ معنَى الكلمةِ أقلَّ دِقّةً، نظرًا إلى كثرةِ الشّعراءِ المخضْرَمين.

4 - الأفضلُ تَرتيبًا لمُشتقّاتِ الجذْرِ

رتَّبَ معجمُ الشّارقةِ مشتقّاتِ الجذْرِ أو مَداخلَه، واضعًا الأفعالَ أوّلًا، فالأسماءَ، ووضَعَ المجرَّدَ منَ الأفعالِ أوّلًا، فالمزيدَ بحرفٍ، فبِحرْفَين، فبِثلاثةٍ. ورتَّبَ الأسماءَ ترتيبًا ألفبائيًّا.

وهذا التَّرتيبُ الّذي ابتَكره بُطرسُ البستاني (ت1300هـ/1883م) جَبَّ ما قبْلَه، إذ سارَ عليه مُعظمُ المعاجم بِعْدَه، وكرّسه مجمعُ القاهرةِ في معاجمِه: الكبيرِ، والوسيطِ، والوجيزِ.

أمّا ترتيبُ المداخلِ، بحسَبِ التّاريخ، سواءٌ أكانت أفعالًا أم أسماءً، مجرّدةً أم مزيدةً، فيضربُ بعُرْضِ الحائطِ أهمَّ صفةٍ للعربيّةِ، أعني بها الاشتقاقَ.

وهذا يعني أنَّ على مُستعملِ الـمُعجم أن يعرفَ تاريخَ الكلمةِ قبل التّفتيشِ عنها، وهذا أمرٌ لا يدَّعِيه بَشريٌّ، ولا يعرفُه عُلَماءُ هذا المنهج مجموعِين.

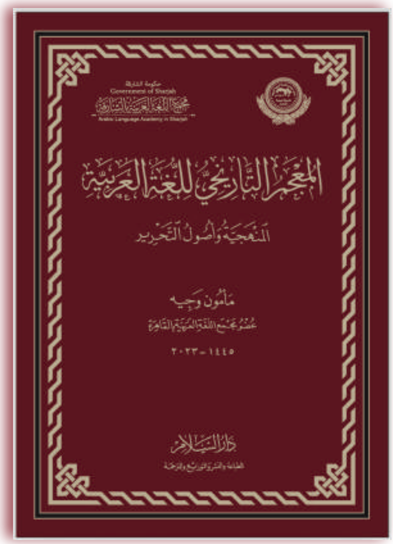

المعجمُ التّاريخيُّ هو معجمٌ أوّلًا، أي: علينا أن نُرتِّب جذورَه ومداخلَه ترتيبًا مُعجميًّا، ثمّ نُؤرِّخَ لكلِّ معنًى. وهذا ما فعلتْه المعاجمُ الغربيّةُ، وليس أن نرتِّبَ الكلماتِ بحسبِ تواريخِ استِخدامِها، وإلّا فلنرتِّبْ كلَّ مُفرداتِ اللّغةِ بحسبِ تواريخِ النُّطقِ بها.

هذا المنهجُ بِدعةٌ في المناهجِ، وأنصحُ الّذين ابتكرُوه بإعادةِ النّظرِ فيه، وهو وُلِدَ مَيتًا، باعتقادي، كما بعضُ مناهجِ التّرتيبِ المُعجميِّ القديمةِ.

5 - الأصحُّ منْهجًا في إثباتِ الأسماءِ المشتقّةِ القياسيّةِ

من منْهجِ مُعجمِ الشّارقةِ أنَّه لا يُثبتُ الاسمَ المشتقَّ القياسيَّ إلّا إذا كان له معنًى غيرُ معنَى فعْلِه، أمّا المنهجُ الّذي يُثبتُ اسْمَ الفاعلِ القياسيَّ مثلًا، فيَترتَّبُ عليه:

* إمّا الاكتفاءُ بمعناه الّذي استُعْمِلَ فيه ضِمْنَ وثيقتِه اللّغويّةِ التّاريخيّةِ، ما يُوهِمُ أنَّ معانِيَه الأُخرى الّتي تُسْتَقْرأُ من فعْلِه غيرُ صحيحةٍ.

* وإمّا سَرْدُ كلِّ المعاني القياسيّةِ من فعْلِه، وهذا يُؤدِّي إلى تَضْخيمِ المُعجمِ خمسَ مرّاتٍ على الأقلِّ، وهذا يعني أنَّ مُعجمَ الشّارقةِ المتوقّعَ صدورُه في مئةٍ وعشرين جُزءًا، لوِ اعتمدَ هذا المنهجَ، لبلغتْ مجلّداتُه السّتَّمئة، ودون أيِّ فائدةٍ.

6 - الأفضلُ فَهْمًا للمُعجمِ التّاريخيِّ

قلتُ قبل قليلٍ: إنَّ المعجمَ التّاريخيَّ هو مُعجمٌ أوّلًا، أي: يجبُ أن يُؤدّيَ كلَّ مُهمّاتِ المعجمِ، ومن أهمِّها، في اللّغةِ العربيّةِ، تِبيانُ حركةِ عينِ مُضارعِ الفعلِ الثّلاثيِّ المجرّدِ، وقد بيّنَ مُعجمُ الشّارقةِ هذه الحركةَ، في حين أنّ مُعجمًا غيرَه لم يُبَيِّنْها، وهذا يعني أنّ على من يقتني هذا المُعجمَ، أن يكونَ له مُعجمٌ آخرُ لاستكمالِه مُعجميًّا.

7 - الأوسعُ تناوُلًا للمُصْطلحات

فقد تناولَ مُصطلحاتِ علومِ اللّغةِ وعلومِ الشّريعة كافّةً، ولم يكن، كبعضِ المعاجمِ العَرَبِيَّةِ التّاريخيّةِ الّتي اقتصرتْ على الحديثِ النّبويِّ الشّريفِ، أوِ النّقدِ، أوِ الفقهِ وأصولِه.

8 - الأكثَرُ استقْصاءً لمداخِلِ الجذورِ (مُشتقّاتها)

هذا ما يتأكّدُ منه الباحثُ بـمُوازَنَتِهِ بَيْنَ عَدَدِ مُشتقّاتِ أيِّ جذْرٍ في مُعجمِ الشّارقةِ، وَ عَدَدِ مُشتقّاتِ أيِّ جذْرٍ في معجمٍ تاريخيٍّ آخرَ.

9 - الأكْثرُ استقْصاءً لمعاني مُشتقّاتِ الجذْرِ (أو مداخِلِه)

وهذا أيضًا ما يتأكّدُ منه الباحثُ بالموازنةِ بينَ معاني اسْمٍ مُشتقٍّ في مُعجمِ الشّارقةِ وَ معاني هذا الاسْمِ في مُعجمٍ تاريخيٍّ آخرَ.

10 - الأكبرُ حجْمًا وغِنًى وثروةً

طبعًا لا تُقاسُ قيمةُ الكتبِ بأحْجامِها، بل بما تحتويه من ثرواتٍ فكريّةٍ وأدبيّةٍ، والكتابُ الثّمينُ بمضمونِه يكونُ أغنَى وأثمنَ كلّما كبُرَ حجْمُه. ومُعجمُ الشّارقةِ سيكونُ، نتيجةً لِلْمَزَايا الّتي ذكرتُها، أضخمَ مُعجمٍ لُغويٍّ عرفَه العربُ والأجانبُ معًا. ومن أراد مُنافستَه مضمونًا وحجمًا، سيعجزُ؛ لأنَّه نادرًا ما يتوافرُ حاكِمٌ أديبٌ محبٌّ للغتِه وشعْبِه كسُموِّ الشّيخ الدّكتورِ سلطان بنِ محمّدٍ القاسميِّ، أطال الله عُمْرَه.

> **مُعجمُ الشّارقة سيكونُ أضخمَ مُعْجم لغويٍّ عرفَهُ العربُ والأجَانبُ معًا**

لغةٌ لا تَشيبُ

شعر: مُصطفى عبَّاس

شَابَتْ لُغَاتُ الدُّنى، والدَّهرُ كَمْ دَفَنَا
حَوراءَ عَيْنَاءَ أكْسُو الكونَ من أَلَقِي
أبثُّ في الحرفِ نبضَ الحبِّ أسكُبُ في
رشيقةٌ بَضَّةٌ في وجنتِي زَهَرٌ
بيانُ سحريْ حلالٌ ..حين أبصرني
أنا قوافٍ وموسيقا ورسمُ فم
أصوغ جبراً وتاريخاً وفلسفةً
كسوتُ جغرافيا البلدانِ مِن حُللي
كلُّ العلوم نعم من كوثري شربتْ
أنا الزُّهورُ أريْجًا والصّباحُ ندًى
هيامُ صَبٍّ جَوًى في قلبِ مَنْ عَشِقُوا
أنا السَّنابِلُ تُذري القمحَ باسِمةً
أنا السَّنَا بَلْ بِحارُ الذّكر تغْمُرُنِي
أنا السَّنَابِكُ حينَ الخيلُ عاديةٌ
أصيلةٌ.. نسبي هامَ النُّجوم رَقَى
قشيبةٌ بُرَدِي.. إنْ جاءَ مُخْتَرَعٌ
أو الحضارةُ يوماً أنْجَبَتْ بِدَعاً
..إنْ جلببَ الرَّوْعُ قلباً للغاتَ فَمَنْ
...بلاغتي بلبلٌ أهدى الورى نَغَمَاً
شَدَا بِدَوْحِ دمي سِرْبُ الرُّؤى سَحَراً
أنا اخضرارُ المدى, لا شيبَ في صُوَرِيَ
...جَرَى بِنَبْضي شَرَابٌ للخُلودِ لِذَا

برمِل نسْيانه !... حَتّى هَلَلْتُ أنا
أُوَزِّعُ الطُّهْرَ، حُسْنِيْ يُبْهِرُ الزَّمَنَا
دُجَى الْمِدادِ صباحاً، في السُّطور سَنَا
وفي جُفوني سهامُ الرِّيمِ حينَ رَنَا
هاروتُ في حُلّتِي الفُصْحى بِيَ افْتُتِنَا
وعطرُ صوتٍ تلا أو قال: حدَّثنا
ودوحةُ الفيزيا أُنمي بها الغُصُنا
وفي الدّيانة كنتُ الذِّكرَ والسُّنَنا
وكلُّها أحرُفي صارت لها وَطَنا
والمعصراتُ حَيَاً، والنَّخْلُ طِيْبَ جَنَى
أُنْسٌ بروحِ غريبٍ ساهَرَ المحَنَا
وفي فلا الجهلِ أُزْجي الغيثَ والْمُزُنَا
بفيض نورٍ يُوَشّي وجهِيَ الْحَسَنَا
ضَبْحاً وعنها عَجاجُ الحربِ أخبرنا
وَمَحْتدِي ما حوى ذا عُجْمَةٍ لَكَنَا
كسوتُه حُلَلًا منها الشّذا هَتَنَا
ففي المجامع تَحيا فالحياةُ هُنَا
أتى لكعبةِ ضادي خائفاً أمنا
وللحقول صُداحاً أطربَ الفَنَنَا
فَأَسْكَرَ الْحُلْمَ، أفنى النَّومَ والوَسَنا
ولا خريفَ.. وبوحي شَنَّفَ الأُذُنا
أعيشُ خالدةً لا أرتدي الكَفَنَا

المُؤَنَّثُ في اللُّغَةِ العَرَبِيّةِ:

دِرَاسَةٌ إحْصَائِيّةٌ في مُعْجَمِ اللُّغَةِ العَرَبِيّةِ المُعاصِرةِ

تأتي هذه الدّراسةُ في إطارِ تَوْظيفِ المَنهَجِ الإحْصائيِّ والأدواتِ التّقنيّةِ في تَفْكيكِ إشْكاليّةِ الألفَاظِ المُؤنّثَةِ في اللُّغةِ العربيّة، مُتَّخذًا من «مُعْجَمِ اللّغةِ العربيّةِ المُعاصرةِ» نَموذجًا، هادفًا إلى التَّوصُّلِ إلى حجْمِ هذه الألفاظِ في العربيّة، وما تُمثِّله في المُعْجم، وذلك بغَرضِ وضْعِ الإشْكاليّةِ في حجْمِها الحَقيقيِّ، لا سِيَّما وأنَّ الباحثَ في دراسةٍ سابقةٍ (1) لفتَ نَظرَه مَحدوديّةُ الألفاظِ السّماعيّةِ في اللّغةِ العَربيّة، وأنَّها مَحْصُورَةٌ في كلماتٍ معدودةٍ، وقد انتهتِ الدّراسةُ إلى حصْرِ الألفَاظِ المُؤنّثة، وَتَأْكيدِها أنَّ ظاهرةَ التّذكيرِ والتَّأنيثِ لا تُمثِّلُ إشْكاليّةً في اللّغةِ العَربيّةِ نظرًا إلى انْضباطِ المُؤنَّثِ القياسي وجَوازِ تذكيرِ المؤنثِ السَّماعيِّ المُجرّدِ منَ العلامةِ اعتمادًا على قاعدةِ أنَّ التَّذكيرَ أصلٌ والتَّأنيثَ فرعٌ.

د. هاني إسماعيل رمضان
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية -كلية العلوم الإسلامية بجامعة جيرسون - تركيا

> **ظاهرةُ التّذكيرِ والتَّأنيثِ لا تُمثِّلُ إشْكاليّةً في اللغةِ العَربيّةِ نظرًا إلى انْضِباطِ المُؤنَّثِ القياسِي**

لعلَّ من أبْرزِ الخصائِصِ اللّسانيّةِ التي تَمتازُ بها اللّغةُ العربيّةُ خَصيصَةَ التَّذكيرِ والتّأنيث، وإنْ كانتْ ليستْ حكرًا على اللّغةِ العربيّةِ دونَ غيرِها من أخواتِها السّاميّاتِ كالعبريّةِ والحبَشيّة، أوِ الأُسرِ اللُّغويّةِ غيرِ السّاميّةِ نحوَ الفرنسيّة، والإسبانيّة، بل ثمّةَ لُغاتٌ كالألمانيّةِ تُقسِّمُ الجنْسَ اللُّغويَّ إلى ثلاثةِ أقسام: المُذكّرِ والمؤنّثِ والمُحايدِ، وعلى جانبٍ آخرَ فإنَّ لُغاتٍ كالتّركيّةِ – على سبيلِ المثالِ – تفتقدُ لهذه الخَصيصة، ولا تُفرّقُ بين المذكرِ والمُؤنّثِ لُغويًا.

إنَّ هذا التّنوُّعَ في الجنْسِ اللّغويِّ غالبا - إن لم يكنْ دائمًا - لا يتطابَقُ مع الواقعِ البيولوجيِّ؛ ممَا ولَّد إشكاليّةً لِسانيّةً، فإن كان الجنْسُ بيولوجيًّا ينقسمُ إلى مذكرٍ ومؤنّثٍ في الكائناتِ الحيّةِ فحسبُ، فإنّه لُغويًّا تجاوزَ ذلك إلى الجمادِ والمَعنويّاتِ، فإنَّ الواقعَ اللّغويَّ مُلبسٌ مَنطقيًّا، فعلَى سبيلِ المثالِ في اللُّغةِ الألمانيّةِ ارتضَتِ التّقسيمَ الثّلاثيَّ للجنْسِ اللُّغويِّ لا يتطابقُ

مع التّقسيمِ المَنطقيِّ، فكلمةُ منزلٍ (das haus) مذكّرٌ، بينما مدرسةٌ (die schule) مؤنّثةٌ، في حين حديقةٌ (der garten) لفظٌ محايدٌ، بالرّغم من أنَّ ثلاثتَها تَدُلُّ على جمادٍ، وكذلك كلمةُ بنتٍ (das mädchen) لفظٌ محايدٌ مع أنَّ القسمةَ العقليّةَ تقتضِي أن تكونَ مؤنّثةً لأنّها منَ الكائناتِ الحيّة.

تلك القسمةُ الاعتباطيّةُ للجنْسِ اللّغويِّ تنطبقُ على جميعِ اللّغاتِ، فنجدُ - مثلًا - كلمةَ (الشّمس) مُؤنّثةً في العربية بينما هي في الفرنسيّةِ مُذكَّرةٌ (le soleil)، وعلى خلافِها تأتي كلمةُ (القمر) مُذكّرًا في العربيّةِ، مُؤنّثةً في الفرنسيّةِ (la lune).

رُبّما يرجعُ سببُ هذا التّبايُنِ إلى أنَّ العلاقةَ اعتباطيّةٌ بين الدّالِّ والمدلولِ كما أشارَ دو سوسير، ولا يُوجدُ ثمّةَ مُسَوِّغٌ عقليٌّ لتأنيثِ كلمةٍ دونَ غيرِها سِوى المسوِّغِ البيولوجيِّ الذي لا يَطّردُ دائمًا، فإن غابَ هذا المُسوِّغُ انتفتِ المنطقيّةُ، وقد فطِنَ إلى ذلك علماءُ العربيّةِ القُدامَى، يقول ابنُ التُّستَريِّ (ت 361 هـ): «ليس يَجري أمرُ المذكّرِ والمؤنّثِ على قياسٍ مُطّرِدٍ، ولا لهما بابٌ يَحْصرُهما» (2) ، وهو ما يَتماهَى مع ما انتهَى إليه اللِّسانيّونَ المعاصِرونَ، يقول فندريس اللُّغويُّ الفرنسيُّ: «التّمْييزُ بين الأجناسِ النّحويّةِ لا يقومُ على شيءٍ مِنَ العقلِ، إذ لا يمكنُ لإنسانٍ كائنًا من كان أن يقول: لماذا كانتْ table (مائدة) وchaise (مقعد) وsaliére (إناء الملح) مُؤنّثةً، في حين كانت tabouret (مقعد مطبخ) وfauteuil (مقعد بجوانب) و sucrier (إناء السكر) مُذكّرةً». (3)

وبالنّظرِ إلى اللّغةِ العربيّةِ فإنّ الجنْسَ اللُّغويَّ يَستندُ إلى القاعدةِ البيولوجيّةِ أوّلًا، حيث تُقسّمُ الألفاظُ المؤنَّثةُ إلى مؤنّثٍ حقيقيٍّ ومؤنّثٍ مجازيٍّ، فيشيرُ المؤنّثُ الحقيقيُّ إلى ما يَبيضُ أو يلدُ، والمؤنّثُ المجازيُّ إلى ما لا يَبيضُ ولا يلدُ مثل: شجرة، برتقالة، يد، شمس، طريق (4)، وهو في ذلك لا يَستندُ إلى قاعدةٍ مطّردةٍ يُعوَّلُ عليها، «بل إنَّ المؤنّثَ الحقيقيَّ – أحيانًا – يخالفُ القاعدةَ البيولوجيّةَ والعلامةَ اللّغويّةَ فتأتي الألفاظُ شاملةً للمذكّرِ والمؤنّثِ في آنٍ، مع اقترانها بإحدى علاماتِ التّأنيثِ ـ التاء المربوطة مثلا ـ نحوَ: شاة: الواحدةُ منَ الغنم للذّكرِ والأنثَى» (5)، ممّا ترتّبَ عليه تعقيدُ ظاهرةِ التّذكيرِ والتّأنيث، وهو ما أشارَ إليه آنفًا ابنُ التُّستَريِّ، وهو كذلك ما دفعَ أحدَ المُستشرِقينَ إلى الإقرارِ صراحةً بأنَّ كلَّ المحاولاتِ التي بَذلُوها لحلِّ هذه الإشكاليّةِ باءت بالفشلِ، بالرّغْمِ من أنّهم بذلُوا جهودًا مُعتبرةً، إذ يقول: «التّأنيثُ والتّذكيرُ من أغمَضِ أبوابِ النّحوِ، ومسائلُهما عديدةٌ مُشكِلةٌ، ولم يُوفّقِ المُستشرِقون إلى حلِّها حلًّا حازمًا، مع صَرْفِ الجُهدِ الشّديدِ في ذلك» (6).

بالرّغمِ من ذلك فإنَّ محاولةَ تفكيكِ هذه الإشكاليّةِ في اللّغةِ العربيّةِ، والتّقعيدَ لها قديمًا وحديثًا أسْهمَ في تيْسيرِها، وتجاوُزِ جُلِّ عقَباتِها، وفي هذا الإطارِ تأتي هذه المُقاربةُ للإسهامِ في تَضْييقِ الفَجوةِ من خلالِ حصْرِ الألفاظِ المؤنّثةِ في اللّغةِ العربيّةِ المعاصِرةِ وتَبْيينِ حجْمِها.

مُعجَمُ اللّغةِ العربيّةِ المُعاصرةِ

يُمثّلُ مُعجمُ اللّغةِ العربيّةِ المُعاصِرةِ مصدرًا أساسيًّا في المكتبةِ المُعجميّةِ الحديثةِ، مُلبّيًا حاجةَ النّاطِقين بالعربيّةِ إلى مُعجمٍ يَستقْصِي الكلماتِ الجديدةَ والدّلالاتِ المُستحْدثَةَ والاستعمالاتِ الحيّةَ (7)، وهو ما جعلَه من أكثرِ المُعجماتِ المُعتمَدةِ والمدروسةِ حديثًا (8)، فقد أُجرِيَ العديدُ منَ الدّراساتِ والبحوثِ عَلَيْهِ وَعَلَى مؤلّفِه د. أحمد مختار عمر(9)، ولقيَ المُعجمُ قَبولاً لدى جموعِ الباحثين، وعمومِ القُرّاء، إذ يُعدُّ خلاصةً لتجربةٍ رائدةٍ في مجالِ الصّناعةِ المُعجميّةِ نظريًّا وتطبيقيًّا (10).

هذه المُزاوجَةُ بين النّظريّةِ والتّطبيقِ التي قلّما تُوجدُ في المعاجمِ العربيّةِ تُعدُّ ممّا تفرّدَ به المُعجمُ من جملةِ المزايَا(11)، فالاعتمادُ على فريقِ عمَلٍ مدرَّبٍ وذي خِبرةٍ، وتَلافِي العمَلِ الفرديِّ وما يَكتنِفُه من قصورٍ، والتّوسّعُ في جمْعِ المادّةِ اللّغويّةِ زمانيًّا ومكانيًّا، من أهمِّ مزايَاه، حيث اسْتمدَّ مادّتَه منَ الاستعمالاتِ الخاصّةِ بجميعِ الأقطارِ العربيّةِ حتى تاريخِ الانتهاءِ من إعدادِ المُعجمِ، شريطةَ ألَّا تفقدَ الصّحّةَ اللُّغويّةَ، وكذلك الاستعانةُ بمدوّنةٍ لُغويّةٍ معاصِرةٍ تجاوزت في حجْمِها مئةَ مليونِ كلمةٍ ومثالٍ، ممسوحةً حاسوبيًّا من موادَّ مكتوبةٍ ومسموعةٍ، كذلك التّوسّعُ في الأقْيِسة، وإدراجُ ما أقرَّتْه المجامعُ اللُّغويّةُ لا سِيما مجمعُ اللّغةِ العربيّةِ بالقاهرةِ، وهو نهْجٌ كان قدِ انتهَجَه المجمعُ في مُعجمِه الوسيطِ، وقد أثنَى عليه المؤلّفُ من قبلُ، وأشارَ إلى أهمِّ ما اسْتَهدوا به، فذكرَ (12):

1. فتحَ بابِ الوضْعِ للمُحدثين بوسائلِه المعروفةِ منِ اشتقاقٍ وتجوُّزٍ وارتجالٍ.

2. إطلاقَ المجمعِ القياسَ ليشملَ ما قِيسَ من قبلُ وما لم يُقَس.

3. تحريرَ السّماعِ من قيودِ الزّمانِ والمكانِ.

4. الاعتدادَ بالألفاظِ المولَّدةِ وتسْويتَها بالألفاظِ المأثورةِ عنِ القُدماءِ

كما حَرَصَ المُعجمُ على إضافةِ الكلماتِ الوظيفيّةِ وهي كلماتٌ

د . أحمد مختار عمر

دوسوسير

اكتسبتْ دلالةً جديدةً بعيدةً عنِ الدّلالةِ اللُّغويّةِ لألفاظِها(13)، فقسّمَ مداخِلَه إلى خمسةِ أنواعٍ: الفعلِ و الاسْمِ المفردِ وَ الاسْمِ المُثَنَّى و الاسْمِ الجمْعِ و الكلماتِ الوظيفيّةِ، وتنوّعتِ المعلوماتُ التي قدّمَها لهذه المداخلِ بين صَرفيّةٍ، ودَلاليّةٍ (14).

وقدِ اعتمدَ المعجمُ جملةً منَ المعاييرِ في اختيارِ مداخلِه التي يُمكنُ إيجازُها فيما يأتي :

1. أن تكونَ كلماتٍ حيّةً مُستعملةً أو قابلةً للاستعمالِ بين عامّةِ المُثقّفين في لُغةِ العصْرِ الحديثِ، أو كلماتٍ مُستحدثةً مثل: علمانيّة، أو حضاريّة مثل: سفير، ومُصطلحاتِ العلومِ التي لم تُعدْ حكرًا على أهلِ التّخصّصِ مثل: بوصَلة، والكلماتِ التي يقبَلُها نظامُ اللّغةِ العربيّةِ، وجميعَ كلماتِ القرآنِ الكريم، وما شاعَ من ألفاظِ الحديثِ النّبويِّ، وبعضَ الألفاظِ المُعربةِ أوِ الدّخيلةِ التي أقرّتْها المجامعُ اللُّغويّةُ أو مُؤتمراتُ التّعريبِ، أوِ ارْتضَاها جمعٌ منَ الأساتذةِ المُتَخصّصين مثلَ: تبرير.

2. التّوسُّعُ في إثباتِ المداخلِ المُتعلّقةِ بالنّباتِ وذلك لاختلافِ معيارِ استعمالِها في الأقطارِ العربيّةِ المختلفةِ.

3. الجمْعُ اليدويُّ، والمسْحُ الآليُّ لآلافِ النّصوصِ الحيّةِ؛ لانتقاءِ الجديدِ الذي لم يَردْ في معاجمِ السّابقين، مع عدمِ إغفالِ ما وردَ في المعاجمِ المُعاصرةِ.

وحرَصَ المُعجمُ على تقديمِ أمثلةٍ سِياقيّةٍ تُغطي السِّياقاتِ المُختلفةَ كافَّةً، فتنوَّعتْ هذه الأمثلةُ بين شواهدَ قُرآنيّةٍ، أو قِرائيّةٍ، أو حديثيّةٍ، أو شِعريّةٍ، أو مَثَليّةٍ، أو أمثلةٍ عاديةٍ، ممّا يُمكّنُ منَ الوقوفِ على جميعِ الاستعمالاتِ، وقد

بلغ عددُ الأمثلةِ الإضافيّةِ (43385) مثالاً (15) .

إنَّ هذه الخصائِصَ وغيرَها جعلتِ المُعجمَ من أشملِ المعاجمِ المُعاصرةِ وأدَقِّها، وهو ما أدّى إلى اتِّخاذِهِ نموذجًا ومحلًّا لهذه الدّراسةِ، ولا سِيمَا أنّه مُتوفِّرٌ بنُسختَيْن ورقيّةٍ وإلكترونيّةٍ، وهو سهلٌ في عمليّةِ البحثِ والإحصاءِ، كما أنّ مقدّمتَه الوافيةَ شملتْ إحصائياتٍ مُتعدّدةً للمداخلِ وأنواعِها، ممّا أسهمَ في إجراءِ الموازَناتِ واسْتِخلاصِ النّتائج.

إحصائيّاتُ المُؤنّثِ في المُعجم

استعانَ الباحثُ في إجراءِ الإحصاءِ بنُسخةٍ منَ المُعجمِ بصِيغةِ الشّاملةِ، مُطابِقةٍ للنّسخةِ المطبوعةِ الصّادرةِ عن عالَمِ الكُتُبِ في طبعتِها الأولى سنة 2008م، مع الأخذِ في الاعتبارِ أنَّ نسخةَ الشّاملةِ تضمُّ ثلاثةَ مُجلّداتٍ من أصلِ أربعةٍ، وذلك لاستثنائِها المُجلّدَ الرّابعَ الخاصَّ بالفهارسِ.

ووَفْقًا لإحصائيّاتِ (16) المُعجم بلغتِ المداخلُ بأنواعِها (أسماء – أفعال – كلمات وظيفيّة) 32300 مَدخلٍ، على النّحوِ الآتي: مداخلُ الأفعالِ: 10475 مدخلاً، ومداخلُ الأسماءِ: 21457 مدخلاً، ومداخلُ الكلماتِ الوظيفيّةِ: 368 مدخلاً.

وللحصولِ على نتائجَ دقيقةٍ وصادقةٍ وَازَنَ البحثُ بين حجْمِ مداخلِ المؤنَّثِ بالنّسبةِ إلى مجموعِ مداخلِ المُعجمِ تارةً، وبينَها وبين حجْمِ مداخلِ المُعجمِ باستثناءِ مداخلِ الأفعالِ تارةً أخرى، وذلك لأنَّ الأفعالَ في ذاتِها لا تذكّرُ ولا تُؤنّثُ، وإنّما يَجري تذكيرُها وتأنيثُها وَفْقًا للمسنَدِ إليه.

وقد جرتْ عمليّةُ البحثِ باستخدامِ اختصارِ (مؤ) الذي يشيرُ إلى المؤنّثِ (17)فأسفرتِ النّتيجةُ عن ظهورِ (1002) من المواضعِ، علْمًا بأنَّ الموضعَ قد يتكرّرُ فيه الاختصارُ أكثرَ من مرّةٍ، كما أنَّ عمليّةَ البحثِ شملتْ ضِمْنيًّا اختصارَ (ج مؤ) الذي يشيرُ إلى جمعِ المُؤنّثِ، وبعد فرْزِ نتيجةِ البحثِ يَدويًّا، واسْتِبعادِ المُكرّرِ، وما لا صلةَ له بالدّراسة؛ بلغت المداخلُ (955) مدخلا بنسبةِ 3% تقريبًا من إجماليّ مداخلِ المُعجم، ونسبةِ 4% تقريبًا من نسبةِ مداخلِ الأسماءِ والكلماتِ الوظيفيّة.

ومنَ المُلاحَظِ أنَّ المداخلَ جميعَها للمذكّرِ، بيْدَ أنّه صُرِّحَ بمُؤنّثِه الذي جاء غالبًا قياسيًّا أو ممّا يَستوي فيه المذكّرُ والمؤنّثُ، فمن أمثلةِ القياسي مدخلُ (إنسيّ) الذي وردَ في المُعجمِ على النّحوِ الآتي:

306 - أ ن س

إنسيّ [مفرد]: ج إنس، جج آناس وأناسيّ، مؤ إنسيَّة، ج مؤ إنسيَّات:

1 – اسمٌ منسوبٌ إلى إنْس.

2 – واحدٌ منَ البشر ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ . (18)

ومن أمثلةِ ما يَستوي فيه المذكّرُ والمُؤنّثُ مدخل (عاقر)

3422 - ع ق ر

عاقِر [مفرد]: ج عُقَّر وعواقِرُ، مؤ عاقِر، ج مؤ عاقرات وعواقِرُ: اسمُ فاعلٍ من عقَرَ وعقُرَ وعقِرَ: للمذكّرِ والمؤنّثِ (19).

ومع أنَّ مقدّمةَ المُعجم صرَّحتْ باستعمالِ اختصارِ (مؤ) للتّعبيرِ عنِ المؤنَّثِ، فإنه لوحِظَ بالاستقراءِ بأنَّ ثمّةَ مداخلَ استُعمل فيها لفظةُ اصْطِلاحاتٍ أخرى مثل: مُؤنّث، أو يُؤنّث، كما أنّ الباحثَ جرّد (18) مَدخلاً لم يُصرّحْ بتأنيثِها مع أنّها مُؤنّثٌ سَماعيٌّ، وهي: ذَنوب، رِجْل، رحا، سِلْم، شِمال، صَعود، نَفْس، كِرْش، أرض، ساق، شمس،

بلغَ مجموعُ المؤنَّثِ السّماعيِّ مع ما يجوزُ فيه التّذكيرُ والتّأنيثُ (103) منها (41) مدخلاً للمؤنَّث السّماعيِّ، و(62) مدخلاً يجوزُ فيها التّذكيرُ والتّأنيثُ

نار، جهنم، سكين، قوس، روح، دِرع، سُلَّم.

وعليه جرتِ الخطوةُ التّاليَةُ من عمليّةِ البحثِ باستخدام ألفاظِ (مؤنَّث) و (ومؤنَّث) و (المُؤنَّث) و (والمُؤنَّث) و (أُنثى) (وأُنثى) و (مؤنّثة) و (ومؤنّثة) و (يُؤنّث) و (ويُؤنّث) (20) ، وقد أسفرتِ النّتيجةُ عن (967) موضعًا، وبعدَ فرزِها، واستبْعادِ المكرّرِ، أو ما لا صلةَ له بالدّراسة؛ بلغت النّتائجُ (935) مدخلًا، وبإضافة المداخلِ الثّمانية عشر أضحتِ النّتيجةُ النّهائيّةُ للمداخلِ المؤنَّثةِ (953) مدخلًا، مثّلتْ نسبةَ 3% تقريبًا من مجموعِ مداخلِ المعجمِ، وفي حالة استثناءِ مداخلِ الأفعالِ تبلغُ النّسبةُ 4% تقريبًا.

وفي حالة إضافة جمْعِ النّتائجِ السّابقةِ (955) يُصبحُ إجماليّ ما صُرِّح بتأنيثِه (1908) مَداخلَ بنسبةِ 6% تقريبًا من مجموعِ مداخلِ المُعجمِ، و8,7% من مداخلِ الأسماءِ والكلماتِ الوظيفيَّةِ.

حجمُ عيّنةِ البحثِ بالنّسبةِ إلى مداخلِ المُعجمِ

وبلغَ مجموعُ المؤنَّثِ السّماعيِّ مع ما يجوزُ فيه التّذكيرُ والتّأنيثُ (103) منها (41) مدخلًا للمؤنَّث السّماعيِّ، و(62) مدخلًا يجوزُ فيها التّذكيرُ والتّأنيثُ.

توزيعُ نسبةِ المُؤنَّثِ السّماعيِّ والجائزِ التّذكيرِ والتّأنيثِ

وقد مثّلتْ نسبةُ 0,3% من مداخلِ المُعْجَم 0,47% من مداخلِ الأسماءِ والكلماتِ الوظيفيّةِ، في حين مثّلتْ 5,4% تقريبًا من إجماليِّ المداخلِ التي صُرِّح بمؤنّثِها، ثُمَّ نَرَى في الوَقْتِ نَفْسِهِ أَنَّ نسبةَ المؤنّثِ السّماعيِّ باستثناءِ ما يجوزُ فيه التّذكيرُ والتّأنيثُ قَدْ مَثَّلَتْ 0,1% تقريبًا من مداخلِ المُعجمِ، ونسبةَ 0,2% تقريبًا من مداخلِ الأسماءِ والكلماتِ الوظيفيّةِ.

تفكيكُ إشكاليّةِ التّأنيثِ

تكشفُ النّتائجُ عن جملةٍ منَ الحقائقِ أهمُّها أنَّ الجنسَ اللُّغويَّ لا يُمثّلُ إشكاليّةً حقيقيّةً في اللُّغةِ العربيّةِ، وأنَّ ظاهرةَ التّذكيرِ والتّأنيثِ في اللُّغةِ العربيّةِ هي ظاهرةٌ قياسيّةٌ، وألفاظَ المُؤنّثاتِ السّماعيّةِ ألفاظٌ محدودةٌ، ولا تُمثّلُ نسبةً تُذكرُ.

تتّفقُ المصادرُ على محدوديّةِ المُؤنّثاتِ السّماعيّةِ بالرّغم منِ اختلافِها في العددِ (21)، فابنُ جنّي (ت 392 هـ) في كتابِه (المُذكّرُ والمؤنّثُ) يوردُ (91) كلمةً مؤنّثةً في بابِ ما لا يجوزُ تذكيرُه، وقُرَابةَ (50) كلمةً مؤنّثةً في بابِ ما يجوزُ تذكيرُه (22) ، وجمعَ أبو بكرٍ الرّازيّ (ت 666 هـ) في منظومتِه (60) اسمًا منَ المؤنّثاتِ السّماعيّةِ، ووضعَ ابنُ الأنباريِّ (577 هـ) في كتابِه (البُلغةُ في المُذكّرِ والمُؤنّثِ) (99) اسْمًا واجبَ التّأنيثِ، و(29) اسمًا جائزَ التّأنيثِ، أمّا ابنُ الحاجبِ (ت 646 هـ) فذكرَ في منظومته (60) اسمًا واجبَ التّأنيثِ، و(17) اسمًا جائزَ التّأنيثِ.

وما يُفسّرُ تفاوُتَ الأرقامِ بين هذه المصادرِ وغيرِها هو اختلافُ لُغاتِ العربِ، ومَدَى الاعتدادِ بتذكيرِ الكلمةِ أو تأنيثِها، بين الوُجوبِ والجوازِ، إضافةً إلى إغفالِ بعضِها عندَ الجمْعِ والتّدوينِ، أمّا اختلافُ حجْمِ المُؤنّثاتِ في مُعجمِ اللّغةِ العربيّةِ المُعاصرةِ فيرجعُ إلى تجاهلِه الكلماتِ المهجورةَ واعتمادِه على الكلماتِ الحيّةِ.

وبذلك فإنَّ هذه المحدوديّةَ تُزيلُ الإشكالَ وترفعُ اللّبسَ لأنّها تحصرُ الظّاهرةَ في نطاقٍ ضيّقٍ، تزدادُ ضِيقًا عند تفعيلِ قواعدِ المؤنّثِ القياسي وعلاماتِه، وتوظيفِ قاعدةِ (التّذكيرُ أصلٌ والتّأنيثُ فرعٌ) (23) ، فقد استحْسَنَ اللُّغويّون القُدامَى تذكيرَ ما لا يُعرفُ جنسُه اللّغويُّ منَ المؤنّثِ المجازيِّ الخالي من علامةِ التّأنيث، ومِنْ ثَمَّ «فإنَّ كلَّ ما لا يُعرفُ أمذكّرٌ هو أم مؤنّثٌ، فحقُّه أن يكونَ مذكّرًا» (24) ، والعلّةُ في ذلك ـ كما ذكروا ـ أنَّ التّأنيثَ المجازيَّ إنّما هو تأنيثٌ بعلامةٍ، وقدِ اتّفق جمْعٌ منَ العلماءِ (25)بأنَّ «تذكيرَ المؤنّثِ أحسنُ من تأنيثِ المُذكّرِ؛ لأنَّ التّذكيرَ أصلُ التّأنيثِ، فإذا ذكّرتَ المؤنَّثَ ألحقْتَه بأصْلِه، وإذا أنّثتَ المُذكّرَ أخرجْتَه عن أصْلِه» (26).

وقد توسّعَ العلماءُ في جوازِ اتّباعِ تلك القاعدةِ حتّى في المؤنّثِ الحقيقيِّ الخالي فاستثنوا "المُجرّدَ منَ التّاء الذي لا يتميّزُ مذكّرُه عن مؤنَّثِه كبرغوث، فإنّه لا يؤنّثُ وإن أريد به مُؤنّثٌ، كما أنّ المؤنّثَ بالتّاء الذي لا يتميّزُ مذكّرُه عن مؤنَّثه

حجمُ عيّنةِ البحثِ بالنّسبةِ إلى مداخلِ المُعجمِ

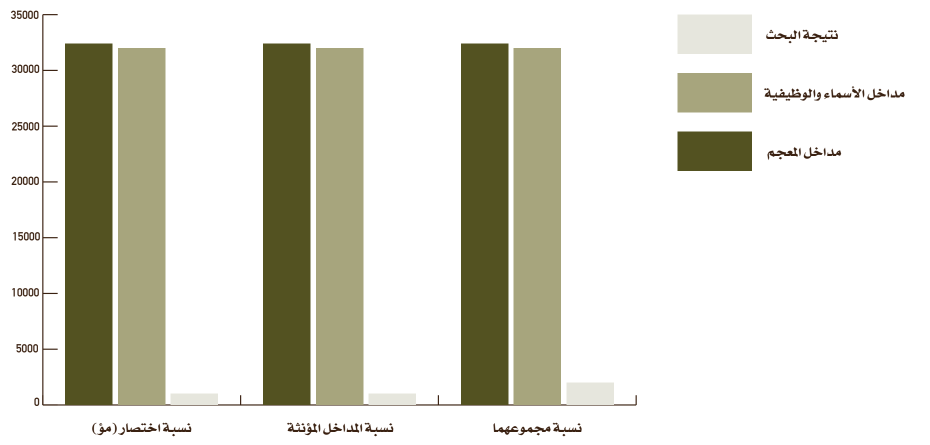

توزيعُ نسبةِ المُؤنَّثِ السّماعيِّ والجائزِ التّذكيرِ والتّأنيثِ

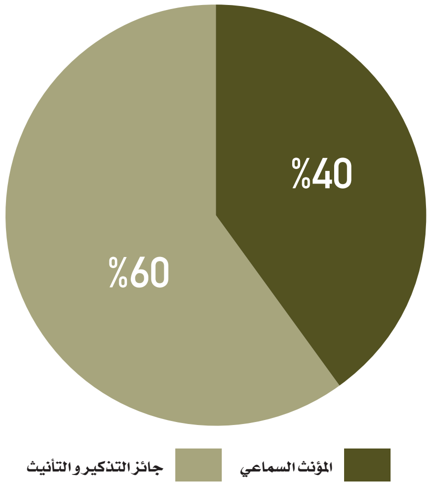

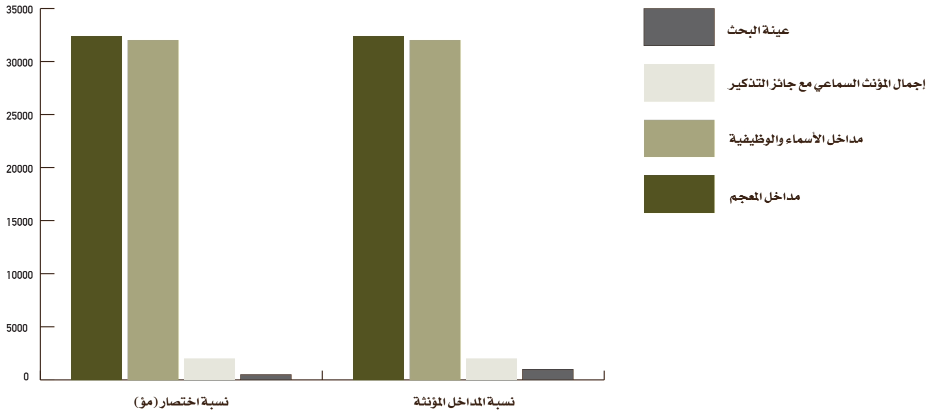

كنملةٍ يُؤنّث، وإن أريدَ به مذكَّرٌ، قاله أبو حيّانَ، والحاصلُ أن يُراعَى اللّفظُ لعدم معرفةِ حالِ المعنِي في الواقع» (27).

ناقشتِ الدّراسةُ ظاهرةَ التّذكيرِ والتّأنيثِ في اللّغةِ العربيّةِ بوصْفِها إشكاليّةً لسانيّةً ناتجةً عنِ العلاقةِ الاعتباطيّةِ بين الجنْسِ اللّغويِّ واللّفظِ، ممّا ولّدَ في اللّغةِ ظاهرَةَ المُؤنّثِ المجازيِّ الذي يخضعُ للعُرفِ اللّغويِّ لا للقاعدةِ المُطّردةِ، وانتهتِ الدّراسةُ إلى أنَّ هذه الظاهرةَ لا تُمثّلُ مُعضلةً حقيقةً، وذلك لاعتبارَين مُهمَّين:

أوّلُهما: محدوديّةُ الألفاظِ المؤنّثةِ سماعيًّا، حيث إنّها لا تُمثّلُ نسبةً تُذكرُ منَ المُعجمِ العربيِّ، وثانيهما: أنَّ اللّغةَ العربيّةَ قياسيّةٌ، وهو ما تجلّى في القواعدِ المُنضبطةِ للمؤنّثِ التي قلّصتْ هامشَ الاستثناءِ، ووسّعتْ مساحةَ الاطّرادِ، وعليه فإنَّ الباحثَ يوصِي بإجراءِ المزيدِ منَ الدّراساتِ الإحصائيّةِ حولَ المؤنّثِ في المعاجمِ والمُدوّناتِ اللّغويّةِ، على غرارِ هذه الدّراسةِ، والتّسامُحِ في تذكيرِ المؤنَّثِ المجازيِّ المُجرّدِ من علامةِ التّأنيثِ تفعيلًا لقاعدةِ (التّذكيرُ أصْلٌ والتّأنيثُ فرعٌ).

---

(1) رمضان، هاني إسماعيل: المعجم السياقي للألفاظ المؤنثة في اللغة العربية للناطقين بغيرها: منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط، 2023م

(2) ابن التستري الكاتب: المذكر والمؤنث، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: الخانجي، 1983م، ص 47.

(3) فندريس، ج.: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت، ص١٢٧.

(4)انظر: عيد، محمد: النحو المصفى، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 2009م، ص 317

(5) رمضان، هاني إسماعيل: المعجم السياقي للألفاظ المؤنثة في اللغة العربية، الإيسيسكو، الرباط، 2023م، ص 7.

(6) عبد التواب، رمضان: التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1994م، ص 112.

(7) انظر: تصدير الناشر للمعجم ص7.

(8)عطا الله، إلياس: معجم اللغة العربية المعاصرة "أحمد مختار عمر" وآخرون – قراءة في العنوان والمقدمة والمتن، مجلة الممارسات اللغوية، مج11، ع4، 2020م، ص9.

(9)انظر على سبيل المثال: جغبوب، صورية: الجهود المعجمية للدكتور أحمد مختار عمر دراسة وصفية، إشكاليات في اللغة والأدب، ع 8، 2015م.

(10) فضيلة، دقناتي، ومشري، عبد الناصر: مصادر المعجم العربي الحديث الضوابط والأسس المنهجية معجم اللغة العربية المعاصرة عينة، اللغة العربية، مج23 ع3، 2021م، ص231.

(11) انظر: التصدير والمقدمة ص7 وما بعدها.

(12) عمر، أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط 6، 1988م، ص300.

(13) عمر، أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار الكتب، القاهرة، 2008م، ص13.

(14) السابق: ص 14-15.

(15) السابق: ص 18.

(16) السابق: ص27.

(17) السابق: ص29.

(18)السابق: 1/130.

(19) السابق: 2/1528.

(20) في حالة عدم فصل واو العطف عن الكلمة لا تظهر في النتائج لأنه يقرأها كلمة واحدة مما قد يؤدي إلى نتائج خاطئة.

(21)انظر: في الأسماء المؤنثة السماعية لأبي بكر الرازي، تح: محمد وجيه تكريتي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج12 ع35، ص245 وما بعدها.

(22) ابن جني، أبو الفتح عثمان: المذكر والمؤنث، تح: طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي، 1985م، ص37.

(23) انظر سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ٢/٢٢، وابن جني: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ٣/٢٤٥، والسيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، ٣/٣٢٩، وابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م، ص٢٥٣.

(24) المبرد، محمد بن يزيد: المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م، ص١٠٨.

(25) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الألفاظ المهموزة، تح: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ص50.

(26) ابن عصفور الإشبيلي: ضرائر الشعر، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ١٩٨٠م، ص٢٧٩.

(27)الصبان، أبو العرفان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرءوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج2/ ص73.

فصاحةُ غلامٍ

لمّا استُخلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز رضيَ الله عنه، قَدِمَ عليه وُفودُ أهلِ كُلِّ بلدٍ، فتقدَّمَ إليه وَفدُ أهلِ الحجاز فاشرَأَبَّ منهم غلامٌ للكلام، فقال له عمر: يا غلام، لِيَتَكَلَّمْ مَنْ هو أسنُّ منك.

فقال الغلامُ: يا أميرَ المؤمنين، إنّما المرءُ بأصغَرَيْه قلبِهِ ولِسانِه، فإذا منحَ اللهُ عبدَهُ لسانًا لافظًا، وقلبًا حافظا، فقدْ أجادَ له الاختيار، ولَوْ أنَّ الأمورَ بالسِّنِّ لكانَ هاهُنا مَنْ هو أحَقُّ بمجلسِكَ منك.

فقال عمر: صدَقْت، تَكَلَّمْ فهذا السِّحرُ الحلال.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، نحنُ وفدُ التَّهنِئة لا وَفْدُ المَرْزِئَة، ولَمْ تُقدِمْنا إليك رَغبَةٌ ولا رَهْبَة؛ لأنّا قَدْ أَمِنّا في أيّامك ما خِفنا، وأدرَكْنا ما طلبنا.

فسأل عمرُ عن سِنِّ الغلام، فقيل: عشرُ سنين.

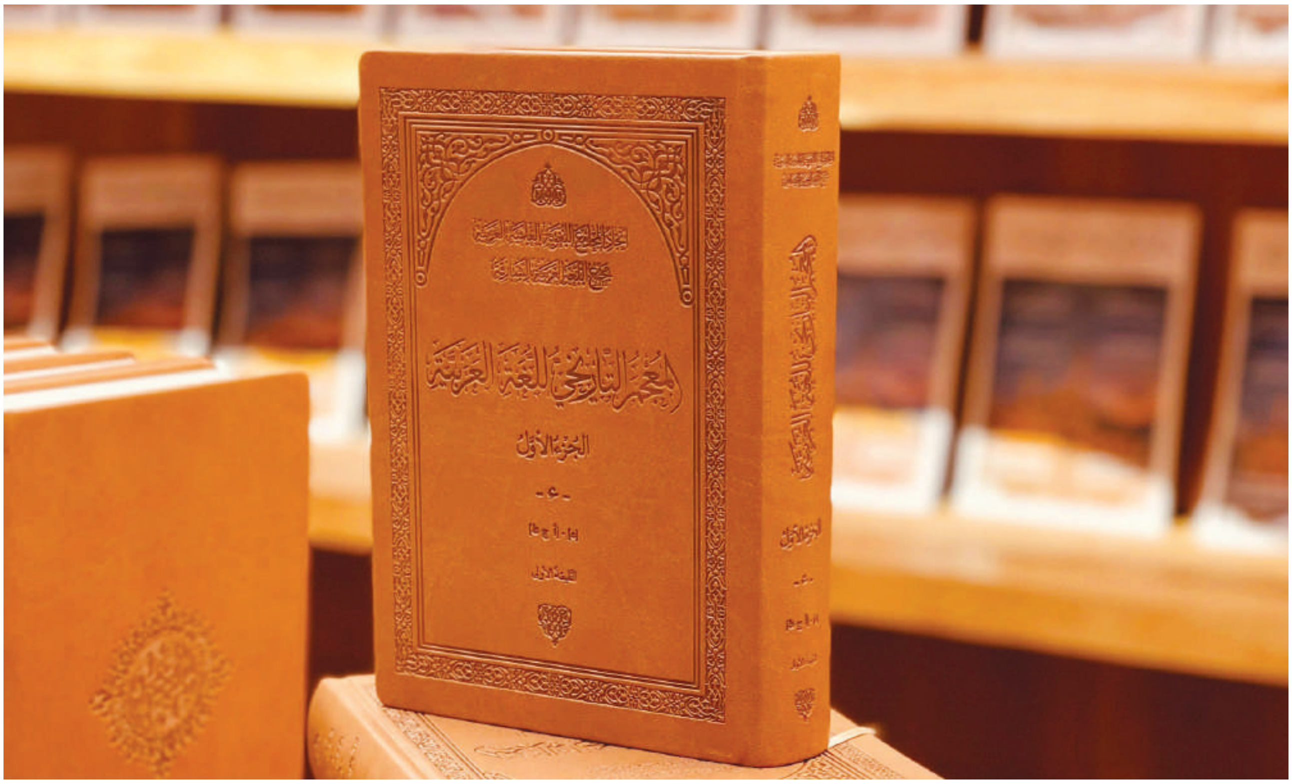

من المُعجمِ التّاريخيّ للّغة العربيّة

رِحلـةٌ مـعَ الاسـم «رأس»

د.بهاء الدين دنديس
باحث لغويّ في مجمع اللغة العربية بالشارقة

يَزْخَرُ الاسْـمُ (رأس) بِالمَعاني والـدَّلالاتِ، ويَفيضُ بِأَرْقى العِباراتِ وأَجْمَلِ التَّعْبيراتِ، ويَتَميَّزُ بِكَثْرة الشَّواهِد والاسْتِعمالاتِ، ولَهُ دلالاتُهُ المَعْنَويَّةُ والمادِّيَّةِ والحَقيقيَّةِ والمَجازيَّة، وقَدْ سَطَّرَ المُعْجَمُ التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العَربيَّةِ لِلاسْمِ (رأس) سيرَةً حافِلَةً بالمَعاني والـدَّلالات، الَّتي تَشْتَرِك في مَعانيها الكُلّيَّة، وهي: الارْتِفاعُ والعُلُوُّ. التَّجمُّعُ. الزَّعامَةُ والقيادَةُ. الأَصْلُ والبِدايَةُ. وهذه المَعاني الكُلّيَّة تَتَلاقى في المَعنى المِحْوَريِّ، وهو: الطَّرَفُ الجامِعُ لِقِوامِ الشَّيءِ في أَعْلاهُ أَوْ مُقَدَّمِه.

وللوَهْلَة الأولى وعِنْد سَماعِ كَلِمةِ (رأس)، يَتَبادَرُ إِلى الذِّهْن ذلِكُم الجُزء الأعلى مِن البَدَن، الَّذي يَحْوي العَيْنَين والفَمَ والأَنْفَ والأُذُنَيْن، وبِداخِلِه المخُّ.

15-1: ❋ **الرَّأْسُ** مِنَ الإنْسانِ: الجُزْءُ الأَعْلى الَّذي يَنْبُتُ فيهِ الشَّعْرُ، وهُوَ ما فَوْقَ العُنُق. (ج) أَرْؤُسٌ، ورُؤوسٌ، وآراسٌ (عَلى القَلْبِ)، ورُؤْسٌ (عَلى الحَذْفِ).

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: مُنَبِّهُ بْنُ سَعْدٍ (ت: 288ق هـ=342م) يُخاطِبُ ابْنَتَهُ:

قالَتْ عُمَيْرَةُ ما لِرأْسِكَ بَعْدَما
نَفِدَ الزَّمانُ أَتى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ
أعُمَيْرَ إنَّ أَباكِ شَيَّبَ رأْسَهُ
كَرُّ اللَّيالي واخْتِلافُ الأَعْصُرِ

ابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تقديم: جوزف هيل
تح: محمود شاكر، ص: 36. 33.

وهوَ ذلكم العُضْوُ المَأْمور بِمَسْحِه في الوُضوء، كما جاء الأَمْرُ بِذلك في آياتِ القُرْآنِ الكَريم.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القرآنِ الكريم (11هـ=632م) قال اللهُ جَلَّ جَلالُهُ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:6]

ومِنَ الدّلالاتِ المَجازيّةِ لكلمةِ (رأس): السِّيادَةُ والقِيادَةُ؛ إذِ الرَّأْسُ أَشْرَفُ ما في الإنسان، ويَضُمُّ كَرائمَ الأعْضاءِ، وفيهِ الوَجْهُ والعَيْنانِ، وهو مُسْتَودَعُ التَّحكُّم، وفيه العَقْل مَرْكَزُ إصدارِ الأوامِر، وكذا السَّيِّدُ في قَوْمِه؛ هوَ أَشْرَفُهم وأَعْقَلُهم، وبِيَدِهِ الأَمْرُ والحَلُّ والعَقْد، فهوَ بذلك كالرَّأْسِ مِنَ الجَسَد.

15 – 2: و— : سَيِّدُ القَوْمِ وقائِدُهُمْ.

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: هاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنافٍ (ت: 102ق هـ=523م) يَنْصَحُ قُرَيْشًا وخُزاعَةَ بَعْدَ أَنْ تَخاصَموا إلَيْه:

«وإيّاكُمْ والأَخْلاقَ الدَّنيئَةَ؛ فَإِنَّها تَضَعُ الشَّرَفَ، وتَهْدِمُ المَجْدَ، أَلا وإنَّ نَهْنَهَةَ الجاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جَزيرَتِه، ورَأْسُ العَشيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقالَها».

الماوردي، أعلام النّبوّة. تح: طه عبد الرؤوف سعد، ج: 1، ص: 160.

وممّا يُميِّزُ الرَّأس عُلُوُّهُ وارتفاعُه عن سائرِ الجَسَد، ومن هنا أَطْلَقَ العَرَبُ على كُلِّ مُرتَفِعٍ عالٍ: رَأْسًا، ومن ذلك قَوْلُهم: رَأْسُ الجَبَلِ.

15 – 3: و— مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلاهُ.

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: عامِرُ بْنُ سَعْدٍ النَّمَرِيُّ (ت: 86ق هـ=538م) يُشَبِّهُ ريقَ صاحِبَتِهِ بِعَسَلٍ في قِمَّةِ جَبَلٍ:

وما ضَرْبٌ في رأْسِ صَعْبٍ مُمَرَّدٍ
بِتَيْهانَةٍ يَسْتَتْرِكُ العُفْرَ نيقُها
بِأَطْيَبَ مِنْ فيها لِمَنْ ذاقَ طَعْمَهُ
وقَدْ جَفَّ بَعْدَ النَّوْمِ لِلنَّوْمِ ريقُها

ابن المبارك، منتهى الطّلب من أشعار العرب.
تح: محمد طريفي، ج: 9، ص: 89.

والعَرَبُ تُسَمّي الجَماعةَ الكَثيرةَ العَدَدِ: رَأْسًا، وتُسَمّي الجَيْشَ: رَأْسًا، بِجامِعِ الاشْتِراكِ في العَدَدِ الكثير؛ فالرَّأْسُ يَحْوي أَعْضاءً كَثيرةً وحَواسَّ مُتَعدِّدَةً.

15 – 4: و— : الجَماعَةُ الكَثيرَةُ العَزيزَةُ.

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: عَمرو بْنُ كُلْثومٍ (ت: 40ق هـ=583م) يَفْخَرُ بِجَيْشِ قَوْمِهِ:

بِرأْسٍ مِنْ بَني جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ
نَدُقُّ بِهِ السُّهولَةَ والحُزونا

[الحَزْنُ: ما غَلُظَ مِنَ الأَرْضِ]

عمرو بن كلثوم، ديوانه. تح: أيمن ميدان، ص: 329

15 – 5: و ـ: الـجَيْش.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: العَجّاجُ (ت: 90هـ=708م) يَصِفُ جَيْش أعْدائِهِ:

ورَأْس أَعْداءٍ شَديد أَضَـمُهْ
قَدْ طالَ مِنْ حَرْدٍ عَلَيْنا سَدَمُهْ

[الأَضَمُ: الغَضَبُ. الحَرْدُ: الغَيْظُ. السَّدَمُ: شِدَّةُ الغَضَبِ والحُزْنِ]

العجّاج، ديوانه. تح: عزّة حسن، ص: 380.

وقدْ يُطْلَقُ الجُزْءُ ويُرادُ الكُلُّ، كأنْ يُطلَق (الرّأس)، ويُراد الرّأس وسائرُ الأعضاء، ومنه قوْلُهم: رَأْسُ الإبِلِ، ورَأْس الغَنَم، ورَأْس البَقَرِ، والمُراد الواحِدَةُ منها بِكَمالِها، بِرأْسها وبدَنها.

15 – 6: و ـ مِنَ الغَنَم ونَحْوِها: الفَرْدُ مِنْها.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ (ت: 23هـ=644م):

«فَرِّقوا عَنِ الـمَنِيَّةِ، واجْعَلوا الرَّأْسَ رَأْسَيْنِ».

[أيْ: اشْتَروا بِثَمَنِ الواحِدِ مِنَ الحَيَوانِ اثْنَيْنِ، حَتّى إذا ماتَ أَحَدُهُما بَقِيَ الآخَرُ]

الجاحظ، البيان والتبيين. تح: هارون، ج: 2، ص: 286.

وقدْ ذكَرَ كُراعُ النَّمل أنَّ من أسماءِ مَكَّةَ: الرّأس، ولعلَّ ذلك لأنّها أشْـرَفُ الأماكنِ وأعْلاهـا قَـدْرًا ومَنزلة، ولما يَجْتَمِعُ فيها مِنَ النّاس، ولما يكون فيها مِن ذَبْحِ رُؤوسِ الأنْعامِ والهَدْي.

15 – 7: و ـ: مِنْ أَسْماءِ مَكَّةَ الـمُكَرَّمَةِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: كُراعُ النَّمْلِ (ت: 309هـ=921م):

«الرَّأْسُ: اسْمٌ لِـمَكَّةَ».

كراع النّمل، المنتخب. تح: محمد العمري، ص: 30.

وقالَ: الشّاعِرُ (309هـ=921م) مِنْ شَواهِدِ كُراعِ النَّمْلِ، يَذْكُرُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ:

وفي الرَّأْسِ آياتٌ لِمَنْ كانَ ذا حِجًى
وفي مَدْيَنَ العُلْيا وفي مَوْضِعِ الحَجَرِ

كراع النّمل، المنجد. تح: أحمد مختار عمر وآخر، ج: 1، ص: 30.

ويُطلَقُ (الرَّأس) على طَرَفِ الشَّيْءِ ومُسْتَدَقِّه، ومن ذلك تَسْميَتُهم: رَأْس القَلَمِ، ورَأْس اللِّسانِ، كَما ذَكَرَ الرّازيُّ في «حاويه»:

15– 8: و ـ الشَّيْءِ: طَرَفُهُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: أَبو بَكْرٍ الرّازِيُّ (ت: 311هـ=924م):

«الرِّباطُ الَّذي تَحْتَ اللِّسانِ مَتى كانَ اتِّصالُهُ إلى رَأْسِ اللِّسانِ أَقْرَبَ؛ كانَ أَضَرَّ عَلى الكَلامِ، وبالضِّدِّ».

الرازي، الحاوي في الطب. تح: محمد إسماعيل، ج: 1، ص: 476.

ولِكَلِمَةِ (الرَّأْس) تَراكيبُ رَصينَةٌ ومَعانٍ مَتينَةٌ، فيها جَمالُ الـدّلالَـةِ، وبَـراعَـةُ التَّصْوير، ودِقَّـةُ التَّعبيرِ، ومن ذلك قولُهم لِمَصْدرِ الشَّرِّ وأَساسِ

البَلاءِ: رَأْس الأَفعى.

15 – 9: و**رَأْسُ الأفْعى**: أُسُّ الشَّرِّ ومَصْدَرُ البَلاءِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: أبو حيّانَ التَّوْحيديُّ (ت: 400هـ=1010م) يَذْكُرُ رَجُلًا سَيِّئَ الخُلُقِ:

«وشَتَمَ آخَرَ فَقالَ: يا **رَأْسَ الأَفْعى**، ويا عصا الـمُكاري».

أبو حيّان، الإمتاع والمؤانسة. تح: هيثم الطعيمي، ص: 196.

وفي القُرْآنِ الكَريمِ وعُلومِهِ تُسمّى الكَلِمةُ الَّتي تُخْتَمُ بِها الآيَةُ الكَريمةُ: رَأْس آيَةٍ، أيْ: طَرَفها.

15 – 10: ○ و**رَأْسُ الآيَةِ** (في عُلومِ القُرآنِ الكَريم): أَواخِرُ الآياتِ، وتُسمّى الفَواصِلَ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: ابْنُ قُتَيْبَةَ (ت: 276هـ=889م):

«والبَصْريّون يَـجْعَلون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ **رَأْسَ آيَةٍ**».

ابن قتيبة، غريب الحديث. تح: الجبوري، ج: 1، ص: 244.

ورأسُ المال: أصلُه، وبه يُعرف الرّبح بما زاد عليه، وهذا التركيب جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة.

15– 32: و**رَأْسُ المالِ**: أَصْلُهُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القرآن الكريم (11هـ=632م) قال اللهُ جَلَّ جَلالُهُ:

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ **رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ** لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة: 279]

وقالَ: النَّبِيُّ ﷺ (10هـ=631م) يَخْطُبُ في حِجَّةِ الوَداعِ:

«وإِنَّ كُلَّ رِبًا كان في الـجاهِلِيَّةِ مَوْضوعٌ، وإِنَّ اللهَ قَضى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ، رِبا العَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، لَكُمْ **رُءُوسُ أَمْوالِكُمْ**، لا تَظْلِمونَ ولا تُظْلَمونَ».

مسند أحمد. تح: الأرنؤوط وآخرين. ج: 34، ص: 300.

وشاعَ في العَصْرِ الحَديثِ اسْتِعمالُ تَرْكيبِ: (رَأْس الحَرْبَةِ) لِلدَّلالة على عِدَّةِ مَعانٍ، منها ما يَتَعلَّق بالجانب السّياسيِّ، ويُشير (رَأْس الحَرْبة) في اصْطلاحِهم إلى مَصْدر الخَطر وأساسِه، ومن ذلك:

15 – 11: ○ و**رَأْسُ الحَرْبَةِ** (في السِّياسَةِ والعَلاقاتِ الدَّوْلِيَّةِ): الدَّوْلَةُ أَوِ الـمِنْطَقَةُ الـمُواجِهَةُ لِلأعْداءِ والـخُصوم.

(ح) (1214ه/1798م) إلى (1441ه/2020م)

قالَ: جَمال حَمْدان (1385ه=1966م) تاريخُ النَّشْرِ، يَتَحَدَّثُ عَنِ الدَّوْرِ العَظيمِ لِلْعِراقِ في العالَـمِ العَرَبِيِّ:

«ومِن هُنا كانَ دَوْرُهُ الطَّليعِيُّ القِياديُّ دَوْرَ **رأسِ الحَرْبَةِ**، ومِنْ هُنا كانَتْ حَضارَةُ (دارِ السَّلامِ) الذَّهَبِيَّةُ الرّائِعَةُ».

مجلّة الفكر المعاصر. عدد: 12، ص: 36.

***

15 – 12: ○ و**ــ** : الـمَصْدَرُ الأساسُ لِلْخَطَرِ.

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1441هـ/2020م)

قالَ: أَحْمَدُ رَمْزي بِك (1367ه=1948م) تاريخُ النَّشْرِ:

«وقد بَقِيَ حِصْنُ الأَكْرادِ 130 عامًا، وهو **رَأْسُ حَرْبَةٍ** كما قُلْنا يُهَدِّدونَ بِـها حِمْصَ وما حَوْلَـها، ويَـحولون دونَ الـمُسْلِمينَ والاتِّصالِ بالجِهاتِ الَّتي تَـحْتَ حُكْمِهِمْ في بَعْلَبَكَّ والبِلادِ الأُخْرى الـمُجاوِرَةِ لَـها».

مجلّة الرّسالة. العدد: 780، ص: 19.

ومِن اسْتِعْمالاتِ (رَأْسِ الحَرْبَةِ) ما يكون في الجانِبِ الرِّياضيِّ، كَتَسْمِيَةِ مَرْكَزِ أحَدِ اللّاعبين المُهاجِمينَ في كُرَةِ القَدَمِ ونَحْوِها: رأس الحَرْبة.

15 – 13 o وـ: (في الألْعابِ الرّياضِيَّةِ): اللّاعِبُ الـمُهِمُّ في مُنْتَصَفِ خَطِّ الـهُجوم.

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1441هـ/2020م)

قالت: مَجَلّة الشّراع (1416ه=1996م) تاريخُ النَّشْر:

«أمّا على صَعيدِ مَرْكَزِ **رَأْسِ الحَرْبَة**: فَبَعْدَ تَـجْرِبَة اللّاعِب فادي حَلّاق وظُهورِهِ في لِقاءِ الأنْصار والعَرَبِيِّ الكُوَيْتِيِّ في مُباراة الدَّوْرِ الأوَّلِ مِنْ كأسِ الكُؤوس الآسْيَوِيَّة، يَتَوَجَّهُ النّادي لِلتّعاقُدِ مَع رَأْسِ الـحَرْبَةِ الشَّهير وائل نُزْهَة».

مجلة الشّراع اللّبنانية، العدد: 745، ص: 66.

ومِنَ الأقْوالِ الجامعَةِ والعِباراتِ الماتِعةِ قَوْلُهم: رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخافَةُ اللهِ؛ ففيها التَّعبيرُ عَن الوَظيفَةِ المُثْلى والغايَةِ المَرْجوّةِ مِن إعمالِ العَقْلِ والتَّفْكيرِ، بِأَنْ تَقودَ إلى مَعْرِفَةِ اللَّطيفِ الخَبيرِ، والتِزامِ أَوامِرِهِ واجْتِنابِ نَواهيهِ:

15 – 14: o **رَأْسُ الحِكْمَةِ** مَخافَةُ اللهِ: أَساسُ العَقْلِ تَعْظيمُ اللهِ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعودٍ (ت: 32ه=652م):

«إنَّ أَصْدَقَ الحَديثِ كَلامُ اللهِ، وأَوْثَقَ العُرى كَلِمَةُ التَّقْوى (...) وأَعْظَمَ الخَطايا اللِّسانُ الكَذوبُ، وخَيْرَ الغِنى غِنى النَّفْسِ، وخَيْرَ الزّادِ التَّقْوى، و**رَأْسُ الحِكْمَةِ** مَخافَةُ اللَّهِ، وخَيْرَ ما أُلْقِيَ في القُلوبِ اليَقينُ».

مصنَّف ابن أبي شيبة. تح: كمال الحوت، ج: 7، ص: 106.

والعَرَبُ تَضْرِبُ مَثَلًا في القُوَّةِ وطول العُمر بـ: رَأْسِ لُقْمانَ، وهو لُقْمانُ بْنُ عاد، أَحَدُ مُلوكِ العَرَبِ، وكان جَليلَ المَكانَةِ، مُعَظَّمًا في النَّباهَةِ والقَدْرِ، وفي العِلْمِ والحُكْمِ، وفي اللِّسانِ والحِلْمِ.

15 – 15: o **رَأْسُ لقمانَ**: يُضْرَبُ مَثَلًا في القُوَّةِ وطولِ العُمرِ.

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: يُزيدُ بْنُ عَمْرو بْنِ الصَّعِقِ (ت: 120ق هـ=505م) يَذُمُّ بَني تَميمٍ:

إذا ما ماتَ مَيْتٌ مِنْ تَميمٍ
فَسَرَّكَ أَنْ يَعيشَ فَجِئْ بِزادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ بِتَمْرٍ
أوِ الشَّيْءِ المُلَفَّفِ في البِجادِ
تَراهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصًا
لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمانَ بْنِ عادِ

عبد الرّحمن الوصيفي، شعر بني عامر من الجاهليّة حتّى آخر العصر الأمويّ. ص: 92.

والعَرَبُ تُكَنّي عَنِ الخَوْفِ والفَزَعِ بِقَوْلِهِم: طارَتْ عَصافيرُ رَأْسِهِ، فَكَأَنَّهُ كان ساكنًا، كَأَنَّ على رَأْسِهِ طُيورًا عَصافيرَ، فَلَمّا خافَ وقَفَّ شَعْرُ رَأْسِهِ واحْتَدَّتِ الشَّعْراتُ واشْتَدَّتْ، فَآلَمَتِ العَصافيرَ فَطارَتْ.

15 – 16: o **عَصافيرُ الرَّأْسِ**: كِنايَةٌ عَنْ قَفِّ شَعَرِهِ.

(ق.س) (480ق هـ/169م) إلى (1ق هـ/621م)

قالَ: تَأَبَّطَ شَرًّا (ت: 82ق هـ=542م) يَذْكُرُ نَفيرَ قَبيلَةٍ هِيَ العَوْضُ:

ولَمّا سَمِعْتُ العَوْضَ تَدْعو تَنَفَّرَتْ
عَصافيرُ رَأْسي مِنْ بَوًى فَعَوائِنا

[بَوًى: وادٍ. عَوائِنُ: مَوْضِعٌ، وعَوْضٌ: قَبيلَةٌ مِنَ العَرَبِ]

ديوان تأبّط شرًّا وأخباره. تح: علي ذو الفقار شاكر، ج: 1، ص: 341.

ومِنَ الألْفاظِ الأنيقَةِ والعِباراتِ الرَّشيقَةِ قَوْلُ القائِلِ إجابَةً لِطَلَبِ مَن يَتَوَدَّدُ لَهُ: عَلى الرَّأْسِ والعَيْنِ.

15 – 17: o **عَلى الـرَّأْسِ والعَيْنِ/ عَلى العَيْنِ**

والرَّأْسِ / عَلى رَأْسي: بِكُلِّ سُرورٍ وتَقْديرٍ وإِعْظامٍ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْر (ت: 71هـ=690م) حينَ ذَكَّرَهُ أَنَسٌ بوَصِيَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ في الأَنْصارِ، وكانَ هَمَّ بِمُعاقَبَةِ رَجُلٍ أَنْصارِيٍّ:

«أَمْرُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ **عَلى الرَّأْسِ** والعَيْنِ».

ابن سعد، الطّبقات الكبرى. تح: محمّد عطا، ج: 2، ص: 194.

ومِن بَديعِ الكِناياتِ في التَّعبيرِ عن الإعراضِ وعَدَمِ الاسْتِجابَةِ أو الاهْتِمامِ، قَوْلُهم: لَوى رَأْسَهُ.

15 – 18: o **لَوى رَأْسَهُ**: أَبْدى عَدَمَ اهْتِمامِهِ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ (ت: 27هـ=648م) مُعاتِبًا رَجُلًا:

لَوى رَأْسَهُ عَنّي ومالَ بوُدِّهِ
أغانيجَ خَوْدٍ كانَ قِدمًا يَزورُها

ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء. دار الحديث، ج: 2، ص: 643.

ولَمّا كانَ غالِبُ ما يَخْرجُ مِنَ الإنسانِ عِنْدَ وِلادَتِهِ رَأْسَهُ، أُطْلِقَ على مَحَلِّ وِلادَتِهِ ومَكانِها: مَسْقَط الرَّأْسِ.

15 – 19: o **مَسْقَطُ رَأْسِهِ**: مَكانُ الوِلادَةِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: الجاحظ (ت: 255هـ= 869م) يُوَضِّحُ مَعْنى الخُلَّةِ في عِلاقَةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ برَبِّهِ:

«وذلكَ أنَّ إبراهيمَ -عليهِ السَّلامُ- اخْتَلَّ في اللهِ تعالى اخْتِلالًا لم يَخْتَلَّهُ أحَدٌ قَبْلَهُ؛ لِقَذْفِهِمْ إيّاهُ في النّارِ، وذَبْحِهِ ابنَهُ، وحَمْلِهِ على مالِهِ في الضِّيافَةِ والمُواساةِ والأَثَرَةِ، وبِعَداوَةِ قَوْمِهِ، والبَراءَةِ مِن أَبَوَيْهِ في حَياتِهِما، وبَعْدَ مَوتِهِما، وتَرْكِ وطَنِهِ، والهِجْرَةِ إلى غيرِ دارِهِ و**مَسْقَطِ رَأْسِهِ**».

الجاحظ، رسائل الجاحظ. تح: هارون، ج: 3، ص: 339.

وكُلُّ أَمْرٍ يُدبَّر وكُلُّ فِعْلٍ يَقَعُ، يَسْبِقُهُ تَفْكيرٌ وتَقْديرٌ، مَحَلُّهُ العَقْلُ، ومُسْتَوْدَعُهُ الرَّأْسُ، وكَأَنَّهُ نابِعٌ مِن تَحْتِهِ، وصادِرٌ مِن خِلالِهِ؛ لِذا تَقولُ العَرَبُ: هذا مِن تَحْتِ رَأْسِهِ.

15 – 20: o **مِن تَحتِ رَأْسِهِ**: بِسَبَبِهِ وتَدْبيرِهِ.

(د م) (657هـ/1259م) إلى (1213هـ/1798م)

قالَ: ابنُ كَثير (ت: 774هـ=1372م) يَحْكي سيرَةَ مَرْوانَ بْنِ الحَكَمِ:

«وقَدْ كانَ عُثْمانُ بْنُ عَفّانَ يُكْرِمُهُ ويُعَظِّمُهُ، وكانَ كاتِبَ الحُكْمِ بَيْنَ يَدَيْهِ، و**مِن تَحْتِ رَأْسِهِ** جَرَتْ قَضِيَّةُ الدّارِ، وبِسَبَبِهِ حُصِرَ عُثْمانُ فيها».

ابن كثير، البداية والنهاية. تح: عبد الله التركي، ج: 11، ص: 707.

ومِنَ العِباراتِ الَّتي تَدُلُّ على الشُّمولِ والإحاطَةِ؛ ما جَرى مَجْرى المَثَلِ بِقَوْلِهِم: مِنْ رَأْسِهِ إلى أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ:

15 – 21: o **مِن قِمَّةِ الرَّأْسِ إلى أَخْمُصِ القَدَمينِ**: شامِلٌ.

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1441هـ/2020م)

قالَ: مُحَمّد عَوَض مُحَمّد (1352هـ=1934م) تاريخُ النَّشْرِ، يَتَحَدَّثُ عن الشِّعاراتِ التي تُرَوِّجُ لها دارُ الإصلاحِ في انجلترا:

«ويَزْعمونَ أنْ ليسَ الإصْلاحُ لَدَيهِمْ من سَبيلِ التَّرقيعِ الذي يَزيدُ القَبيحَ قُبْحًا، والدَّميمَ دَمامَةً. بلْ هوَ إصْلاحٌ شامِلٌ كامِلٌ، يَلُفُّ المَرْءَ **مِن قِمَّةِ رَأْسِهِ إلى أَخمُصِ قَدَمِهِ**».

مجلة الرسالة، عدد: 38، 1934م، ص: 511.

والعَرَبُ تُسَمّي يَومَ الحادي عَشَرَ مِن ذي الحِجَّةِ

يومَ الرُّؤوسِ لِكَثْرَةِ ما يُذْبَحُ فيه من رُؤوسِ الأنْعام والهَدْي.

15- 22: o **يَوْمُ الرُّؤوس:** ثاني يَوْم النَّحْر.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَتْ: سرَّاءُ بِنْتُ نَبْهان (10هـ=631م) تاريخ حَجَّةِ الوَداع:

«خطَبَنَا رَسولُ اللَّه ﷺ **يَوْمَ الرُّؤوس**؛ فَقال: «أيُّ بَلَدٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ».

ابن خزيمة، الصحيح. تح: الأعظمي، ج: 4، ص: 318.

وما أجلَّ وأدَلَّ التَّعْبيرُ القُرآنيُّ لِلتَّنْفيرِ من شَجَرَة الزَّقوم، من وَصْفها بِرُؤوسِ الشَّياطين، حيث الصورة المخيفة التي تنقدح في الذهن عند سماع هذا التعبير.

15 - 23: o **رُؤوسُ الشَّياطين:** تُقالُ لِما يُستَقْبَحُ ويُسْتَهْوَلُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القرآن الكريم (11هـ=632م) قال جلَّ جَلالُهُ في وَصْفِ شَجَرَةِ الزَّقّوم:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ **رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ** ۝٦٥﴾. [الصافات:64 - 65]

ومِنَ العبارات التَّصويريَّة اللَّطيفَة قوْلُهم: علَى رُؤوس الأشْهاد، للتَّعْبير عن المَشْهَد الَّذي يَحْضُرُه الجَمْعُ الغَفير، يَسْمعون ويُشاهِدون ما يَجْري فيه، وقَدْ جاء بِذلك الحديثُ الشَّريف.

15 - 24: o **علَى رُؤوس الأشْهاد / المَلأ / الخَلائق:** علانيَة، بِمَرْأى ومَسْمَعٍ مِنَ الجَميع.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: النَّبيُّ ﷺ (ت: 11هـ=632م):

«مَنْ كَظَمَ غيظًا، وهُوَ قادِرٌ علَى أنْ يُنْفِذَهُ، دَعاهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى **علَى رُؤوسِ الخلائقِ** حتَّى يُخَيِّرَهُ مِن أيِّ الحورِ شاءَ».

مسند أحمد. تح: الأرناؤوط وآخرين، ج: 24، ص328.

ولله دَرُّ العَرَبيَّة حينَ تَصِفُ حالَ مَجْلِسِ النَّبيِّ صلَّى الله عَلَيْه وسَلَّم وأصْحابَهُ الكِرامُ رِضْوان الله تعالى علَيْهِم، وما هُمْ فيه مِنَ السَّكينَةِ والوَقارِ، بِعِبارَةِ: كَأنَّ علَى رُؤوسِهِمُ الطَّيْرَ.

15 - 25: o **كأنَّ علَى رُؤوسِهِمُ الطَّيْرَ:** إذا كانوا في حالَةِ صَمْتٍ وسُكونٍ ووَقارٍ وهَيْبَةٍ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: أسامةُ بْنُ شَريكٍ الثَّعْلَبيُّ (11هـ=632م):

«أَتَيتُ النَّبيَّ ﷺ وأصْحابُهُ عِنْدَهُ **كأنَّما علَى رُؤوسِهِمُ الطَّيرُ**، قالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيه، وقَعَدْتُ».

مسند أحمد. تح: الأرناؤوط وآخرين، ج: 30، ص: 395.

هذا غَيْضٌ مِن فَيْضٍ، وقَطْرَةٌ مِن بَحْرٍ، والجِذْرُ (رأس) -بأفْعالِه وأسمائِه ومُشْتَقّاتِه- حافِلٌ بِدُرَرِ الألْفاظ وكُنوزِ التَّعابير، تَحارُ في بَديعِها الألْبابُ، وتَطيرُ في رِحابِها الأفْئِدَةُ، والمُعْجَمُ التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العَرَبيَّة قَدْ حَوى سَرْدًا لِهذِه التَّراكيب وضَمَّنَها في عِبارات اسْتِعماليَّة تَزيدُها بَهاءً إلى بَهائِها، فَحَريٌّ بِأهْلِ العَرَبيَّة أنْ يُقْبِلوا علَى هذا الكَنْزِ الثَّمين "المُعْجَم التّاريخيّ لِلُّغَة العَرَبيَّة" لِيَتَفَيَّؤوا ظِلالَهُ الوارِفَة، ويَنْهَلوا مِن مَعينِ اللُّغَةِ العَذْبِ الزُّلال، ويَكْتَسِبوا مِنْهُ التَّعابيرَ الأنيقَة، والعِباراتِ الرَّنّانَة؛ لِيَسْتَمْتِعوا بِلَذَّةِ لُغَتِهِمْ، ويَجِدوا حَلاوَةَ ألْفاظِها، ويوَظِّفوها في حَياتِهِمُ اليَوْميَّة.

كُتُبٌ ودِراساتٌ

- قراءةٌ في كتابِ (السّياسَةُ اللُّغويّةُ ومَوقِعُ لُغَةِ الأمَّةِ)
- قصّة مثل
- وقفة مع الأعمال الفائزة في جائزة الشارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة ..«كتاب في المعجمية العربية: تنظيرًا وتطبيقًا»

قراءةٌ في كتابِ

السّياسَةُ اللُّغَويّةُ ومَوقِعُ لُغَةِ الأمَّةِ

للدكتور صالح بلعيد

إنَّ التَّخطيطَ اللُّغويَّ يتّصلُ بشتّى الجوانبِ المُتعلّقةِ بوضْعِ سياسةٍ لُغويّةٍ تتّسمُ بالشموليّةِ، وتُوضعُ من خلالها مُختلفُ الرُّؤى والأفكارِ التي تُبيّنُ مكانةَ اللُّغاتِ المُستخدَمةِ على مستوى السّاحةِ؛ فهناك لُغةٌ محليّةٌ، ولُغةٌ رسميّةٌ، ولُغةٌ وطنيّةٌ، وقد وصفَه (أعني التّخطيطَ اللُّغويَّ) العديدُ منَ المُفكرّين بأنّه يرمي إلى تحديدِ خطّةٍ مستقبليّةٍ لوضْعِ اللّغةِ من أجلِ استخدامِها من خلالِ برامجَ، وتَشْريعاتٍ، وقراراتٍ، وهو مجموعةٌ منَ التّدابيرِ التي تُتّخذُ من أجلِ تنفيذِ هدفٍ معيَّنٍ، وذلك عن طريقِ وجودِ غايةٍ يُرادُ الوصولُ إليها، ولذلك يجبُ وضعُ التّدابيرِ المُحدّدةِ لبلوغِ ذلك الهدفِ، أو وضعُ مجموعةٍ منَ التَّصوُّراتِ الواضحةِ التي تربطُ بين السّياسةِ التّعليميّةِ وعملياتِ التّصوّرِ الشّاملِ لما تقتَضيه عواملُ التّغييرِ والمُراجعةِ المُستمرةِ في مجالِ إيجادِ مجموعةٍ منَ الآليّاتِ الحركيّةِ(1).

د.محمد بوفلاقة
كلية الآداب واللُّغات، جامعة عنابة/ الجزائر

ويكادُ يقعُ الإجماعُ على أنّه يرتبطُ بتَسطيرِ سياسةٍ لُغويّةٍ مُعيّنةٍ ووضْعِها ؛ وهو يَنضوي تحت لواءِ علْمِ اللُّغةِ التّطبيقيِّ، أوِ اللّسانيّاتِ التّطبيقيّةِ، وهناك من يصِفُه بأنّه مرحلةٌ تطبيقيّةٌ تُجسّدُ السّياسةَ التي تَنتَقيها الدّولةُ؛ وقد فرّقَ ثُلّةٌ منَ العلماءِ بينَه وبينَ التّهيئةِ اللُّغويّةِ؛ التي وصفَها نُخبةٌ من علماءِ علْمِ اللُّغةِ التّطبيقيِّ بأنّها وضعُ قواعدَ كتابيّةٍ معياريّةٍ، من نحوٍ، ومُعجمٍ؛ قصْدَ توجيهِ الاستعمالِ الشّفهيِّ، والكتابيِّ داخلَ جماعةٍ لُغويّةٍ غيرِ مُتجانسةٍ(2)، وقد وردَ في مُعجمِ (علوم التربية) بأنّه: «...العمليّةُ

التي يتمُّ فيها تصنيفُ واختيارُ، وتركيبُ المعلوماتِ ذاتِ العلاقةِ من مصادرَ عدّةٍ؛ من أجل تصميم تلك الخِبراتِ التي ستساعدُ المُتعلّمين على تحقيق أهدافِ المنهجِ، وتأخذُ العمليّةُ بعين الاعتبارِ الأهدافَ العامّةَ، والخاصّةَ المخطّطَ لها، والأُسسَ النّفسيّةَ والفلسفيّةَ، والمَعرفيّةَ، والاجتماعيّةَ للمنهجِ، وغيرَها منَ المعايير المُهمّةِ في تخطيطِ المنهجِ نفسِه»(3).

ويَرمي التّخطيطُ اللُّغويُّ إلى جملةٍ منَ الأهداف؛ من بينِها تحقيقُ الأمنِ الثّقافيِّ واللُّغويِّ، حيث إنَّ اللُّغةَ بوصْفِها حدَثًا تواصُليًّا تُؤسّسُ النّشاطَ الإنسانيَّ الاجتماعيَّ، وتتوسّطُه، ويذهبُ المفكّرُ الجزائريُّ (عبد المجيد مِزيان) إلى أنَّ كلَّ مفهومٍ للأمنِ يَقْتضي شعورًا بالخطر، واستفسارًا، ودفاعًا، وهجومًا، ويَقْتضي كذلك تصنيفًا للأعداء، ومعرفةً لمُخطّطاتِهم، وأهدافِهم، وإحصاءً لأسلحتِهم المختلفةِ، وليس الكلامُ عنِ الأمنِ الثّقافيِّ العربيِّ في ظروفنا الحالية بأقلَّ أهمّيةً منَ الأمنِ العسكريِّ، ولعلَّ المعركةَ في الثّقافةِ أكثرُ عُمقًا وامتدادًا في الأزمنةِ، والميادين من كلِّ المعاركِ الأخرى، ويجبُ التّأكّدُ من أنّه لا يُمكنُ مقابلةُ أيِّ غزوٍ لُغويٍّ، أو ثقافيٍّ، بمجرّدِ إغلاقِ الأبوابِ عليه، ولا بالتّقلّصِ الثّقافيِّ الذي يستمرُّ في مضْغِ التّراثِ دونَ انفتاحٍ، كما عبّرَ عن هذا الأمرِ المفكّرُ (عبد المجيد مزيان)، وعلى الرّغم من أنّ أسئلةَ الأمنِ اللّغويِّ كثيرًا ما ترتبطُ بتهديدِ الكيانِ الفرديِّ، أوِ الجماعيِّ؛ لِكونِ الجانبِ الأمنيِّ مُتّصلًا دائمًا بغريزة البقاء، وإنِ اتّسعت رُقعتُها منَ الحِفاظِ على الحياةِ، إلى المُحافظة على القِيمِ المتعلّقةِ بالتّضامنِ بين الجماعاتِ؛ فاللُّغةُ تُؤَلِّفُ رابطًا رئيسًا منَ الرّوابطِ الضّامنةِ لتماسُكِ الجماعة، والفرد.

تُعاني اللّغةُ العربيّةُ في هذا الصّددِ من عدّةِ مُهدّداتٍ؛

د.عبد المجيد مزيان

فهي إمّا أنّها تُستخدمُ بصورةِ أداةٍ في الآلةِ الحربيّةِ الغربيّةِ لاختراقِ الجسمِ العربيِّ، أو أنّها تُواجهُ تَنامي اللُّغاتِ العامّيةِ، بتشجيعٍ منَ الدّولِ القُطريّةِ التي تُبْدي عِلّةَ بقاءَها خارجَ الدّولةِ العربيّةِ؛ بسببِ خُصوصيّةٍ لهجاتِها، ويُؤكّدُ جملةٌ منَ المفكّرين في ميدانِ علْمِ الاجتماعِ اللُّغويِّ، والمُهتمّين بقضايا السّياساتِ اللُّغويّةِ على أنَّ اللُّغةَ ستكون رِهانًا مفصليًّا في الحروبِ القادمة، إذا لم يقعِ التّخطيطُ الدّقيقُ لتعزيزِ الأمنِ اللّغويِّ(4).

وتُعرفُ السّياسةُ اللُّغويّةُ بأنّها جُملةٌ منَ الطّرائقِ التي يتمُّ من خلالِها التّصرّفُ مع اللُّغةِ وَفْقَ جملةٍ منَ الخياراتِ التي تنهضُ بين اللُّغةِ والواقعِ الاجتماعيِّ؛ لذلك فهناك صلةٌ وشيجةٌ بين السّياسةِ اللُّغويّةِ واللّسانيّاتِ الاجتماعيّةِ، إذ يُعبِّرُ الأداءُ اللّغويُّ عن مستوى الفرد، ويكشفُ النّقابَ عنِ اختلافِ المُستوياتِ الثّقافيّةِ، والطّبقاتِ الاجتماعيّةِ، ودرجةِ الكفايَاتِ العلميّةِ؛ ذلك أنَّ اللّغةَ(5) ظاهرةٌ اجتماعيّةٌ؛ فوُجودُها يَشترطُ وجودَ مُجتمعٍ(6)، ولا يُمكنُ أن نُلفي نظامًا لغويًّا بمَعزلٍ عن جماعاتٍ إنسانيّةٍ تستخدمُه، وتتعاملُ به؛ فهناك صِلةٌ وثيقةٌ بين اللّغةِ، والمجتمعِ، وبين علْمِ اللُّغةِ(7)، وعلْمِ الاجتماعِ(8)؛ ولذلك عُرِفَ علْمُ اللّغةِ الاجتماعيُّ بأنّه دراسةٌ للّغةِ في علاقتِها بالمجتمعِ، وبذلك تَتبدَّى مختلفُ جوانبِ بنيةِ اللّغةِ، وطرائقِ استعمالِها، إذ لا يتأتّى فهْمُ اللّغةِ وقوانينِها بمَعزلٍ عن متابعةِ تحوّلاتِ المجتمعِ، وحركتِه؛ إذ إنّ اللّغةَ تُعدُّ من أبرزِ وأصْدقِ الوسائلِ التي تُميطُ اللّثامَ عن طبيعةِ المجتمعاتِ، وسِماتِها الحضاريّةِ؛ ولذلك فقد ركّزتِ اللّسانياتُ الاجتماعيّةُ (9) اهتماماتِها على قضايا التّنوّعِ اللّغويِّ، والدّراسةِ الوصْفيّةِ للأوضاعِ اللّغويّةِ (طرائقُ، وأساليبُ الكلام)، والازدواجيّةِ اللّغويّةِ، والتّعدّدِ اللّغويِّ، وتعدُّدِ

اللّهجات، وغيرِها.

أهمُّ محتوياتِ الكتاب:

في كتاب: «السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغةِ الأمّةِ» والذي يقع في (463) صفحةً، والصّادرِ حديثًا بالجزائر خلال شهر سبتمبر 2023م، وهو بمنزلةِ موسوعةٍ علميّةٍ شاملةٍ تُعالجُ قضايا متنوّعةً ذاتَ صِلةٍ بالسّياسةِ اللُّغويّةِ؛ يُقدّمُ الباحثُ الأستاذُ الدّكتورُ صالح بلعيد العديدَ مِنَ الأفكارِ العميقةِ التي تتّصلُ بالسّياسةِ اللُّغويّةِ وموقعِ لُغةِ الأمّةِ؛ التي تعدّدتِ التّعريفاتُ المُقدّمةُ بشأنِها من لَدُن نُخبةٍ مِنَ الباحثين في مجال اللّسانيّاتِ، حيث يذهبُ الباحثُ (عبد العلي الودغيري) إلى أنّنا حين نضعُ العربيّةَ (في مجموعِها الكُلّيّ: فُصحى ولَهجاتٍ) إزاءَ مُواطناتِها مِنَ اللُّغاتِ المحلّيّةِ غيرِ العربيّةِ، من زاويةٍ أخرى؛ نجدُ أنَّ العربيّةَ تظلُّ وحدَها القابلةَ لأن تحوزَ بكلِ تجرُّدٍ وموضوعيّةٍ لقبَ (لُغةُ الأمّةِ) في مقابلِ كلِّ لُغةٍ أو لَهجةٍ أخرى مِنَ اللُّغاتِ واللّهجاتِ الوطنيّةِ التي يَصدُقُ عليها أن توصَفَ بلُغةِ الأُمِّ عندَ مَن يتكلّمُها ويَستعملُها سليقةً في أُسرتِه وقبيلتِه وعشيرتِه، أو منطقتِه الجغرافيّةِ المحدودةِ؛ وذلك باعتبارِ أنَّ العربيّةَ هي اللُّغةُ التي تشتركُ في التّفاهُمِ بها مُكوِّناتُ الأُمّةِ كلِّها بمختلفِ شعوبِها، ودُولِها ولُغاتِها(10) .

مؤلّفُ الكتابِ هو الباحثُ الدكتور صالح بلعيد؛ أستاذُ اللّسانياتِ واللُّغةِ العربيّةِ، ورئيسُ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ بالجزائر، ويتميّزُ بكِفايةٍ عاليةٍ في مجالِ البحثِ اللُّغويِّ، وقضايا علْمِ اللُّغةِ، والسّياسةِ اللُّغويّةِ، واللّسانيّاتِ العامّةِ، واللّسانيّاتِ التّطبيقيّةِ، وقد أصدرَ عدّةَ كُتبٍ في هذا الميدان؛ أثارتِ الانتباهَ إلى قضايا مُهمّةٍ جدًّا، ونذكرُ من بينِها: «دروسٌ في اللّسانيّاتِ التّطبيقيةِ»، و«التّراكيبُ النّحويّةُ وسياقاتُها المُختلفةُ عند الإمامِ عبدِ القاهرِ الجُرجانيِّ»، و"المؤسّساتُ العلميّةُ وقضايا مواكبةِ العصْرِ في اللّغةِ العربيّةِ"، و«مقالاتٌ لُغويّةٌ»، و«اللُّغةُ العربيّةُ العلميّةُ»، و«مقارباتٌ مِنهاجيّةٌ»، و«علْمُ اللّغةِ النّفسيُّ»، و«نظريةُ النّظمِ»، و«في الأمنِ اللُّغويِّ».

يضمُّ كتابُ «السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغةِ الأمّةِ» ما يزيدُ على عشرةِ أقسامٍ تُعالجُ قضايا متنوّعةً ترتبطُ بالسّياسةِ اللُّغويّةِ ولُغةِ الأمّةِ، ويضعُنا هذا الكتابُ من خلال هذه الأقسامِ أمامَ مُقاربةٍ جديدةٍ ومُتعمِّقةٍ لمسائلَ تَكتسي أهمّيّةً بالغةً، ويتميّزُ الكتابُ ببنائِه المُحكمِ ومعمارِه المُتقَنِ؛ حيث تَبدو فصولُه مُنسجمةً ومُتعالقةً ومترابطةً بَيْنَها في نسَقٍ مُتقَنٍ، وقد استطاعَ الباحثُ الدّكتور صالح بلعيد في مقدّمةِ الكتابِ الشّائقةِ بأسلوبِها، والمتميّزةِ بلُغتِها الجميلةِ، والشّاملةِ بمعانيها؛ أن يأخذَ القارئَ إلى أهمِّ مضامينِ الكتابِ، حيث يذكرُ في مُستهلِّها أنَّ هذا الكتابَ يحملُ أفكارَ" بناءِ مدرسةِ الحداثةِ/ مدرسةِ الجودةِ؛ مدرسةِ تطويرِ لُغةِ الأمّةِ؛ لأنَّ العُمدةَ في صناعةِ النّجاحِ يعودُ إلى المدرسةِ والرِّهانِ عليها، والاستثْمارِ فيها؛ لنُشدانِ التّغييرِ الإيجابيِّ، فإذا ربحْنا مدرسةَ الحداثةِ؛ ربِحْنا مقامَ لُغةِ الأمّةِ، وربِحْنا مجتمعًا حديثًا يتكيّفُ مع المُتغيّراتِ، وينشدُ الأفضلَ»(11).

يتساءلُ الدّكتورُ صالح بلعيد في المُقدّمةِ العامّةِ للكتابِ: هلِ السّياسةُ التّربويّةُ الوطنيّةُ العربيّةُ لها تخطيطُ الرّفعِ من قُدرةِ استيعابِ التّلاميذِ دونَ

مُراجعةِ طرائقِ التّدريس، ومُحتوَى الكتابِ المدرسيِّ؟ كيف يُمكنُ مُواجهةُ (الهدرِ اللُّغويِّ) ونحن نشهدُ انحسارَ المُستوَى اللُّغويِّ؟ أما حان الوقتُ لإعدادِ استراتيجيّاتِ التّغلُّبِ على (فقْرِ التّعلّم)؟

ويُقدّمُ الدكتورُ صالح بلعيد العديدَ منَ المُقترحاتِ التي تتّصلُ بهذا الموضوعِ، ومن بينِها:

* ضرورةُ توصيفِ الوضْعِ اللُّغويِّ من سنواتِ الإصلاحاتِ التّربويّةِ العربيّةِ إلى وقتِنا الحالي؛ بُغْيَةَ وصْفِ الواقعِ المُزرِي الذي يقعُ عليه تسليطُ دراساتٍ ميدانيّةٍ بمنهجيّاتِ اللّسانيّاتِ التّطبيقيّة.

* التّنبيهُ إلى ضرورةِ التّخطيطِ للأزماتِ والنّوازلِ، وكلِّ الظّروفِ الاستثنائيّةِ التي تُعيقُ عمليّةَ التّعليمِ العادي.

* منْحُ الأولويّةِ لتعليمِ المهاراتِ الأساسيّةِ في المرحلةِ القاعديّةِ: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة، وما يتبعُ ذلك من ضرورةِ الإشباعِ اللُّغويِّ بالعربيّةِ الفصيحةِ؛ ويَعضدُها تدريسُ الحسابِ والمنطقِ والفلسفةِ وحفظُ ما يكثرُ دورانُه؛ وبخاصةٍ الشّعرُ الفصيحُ.

* تنبيهُ المُتعلِّمِ في عمليةِ التّعليمِ إلى تفعيلِ المُتعلَّمِ في مُبادراتٍ تُعالجُ (فقْرَ التّعلُّم) بأنشطةٍ تربويّةٍ تفاعليّةٍ داخل الصّفوفِ، أو خارجِها؛ لجعْلِ المُتعلّمِ يعيشُ الحَمّامَ اللّغويَّ الاصطناعيَّ في المدرسةِ وخارجِها. وهذا في عمليّاتِ التّعليمِ عن طريقِ السّياحاتِ اللُّغويّةِ/ أعمالِ التّطوّعِ/ المُناسباتِ الوطنيّةِ/ العالميّةِ بخصوصِ الاحتفاءاتِ بأيّامِ اللّغةِ العربيّةِ، وهو نوعٌ من إشراكِ المُتعلِّمِ في عملياتِ التَّحسينِ اللُّغويِّ(12) .

ويتساءلُ المؤلِّفُ: ماذا عسانا نفعلُ في أوطانِنا؟

ويذهبُ في إجابتِه إلى أنّه كان علينا استنهاضُ الهمّةِ لعلاجِ المخاطرِ، وهذا بتشكيلِ لجانٍ ومُؤسّساتٍ مُختصّةٍ لمواجهةِ هذا القصورِ الذي يَستدْعي الاستثمارَ في مدَى المَقروئيّةِ، وحصَصِ القراءةِ في المنظومةِ التّربويّةِ، وتخصيصِ ساعاتٍ للقراءةِ الخارجيّةِ والتّشجيعِ على مُبادراتٍ قرائيّةٍ على غرارِ: تحدّي القراءةِ العربيِّ، ومُسابقاتِ القراءاتِ النّموذجيّةِ، وما يتبعُ ذلك مِن استعمالِ الوسائلِ الحديثةِ لِسَماعِ الفَصِيحِ: قرآنٌ+ حديثٌ+ شعرٌ+ بودكاست[البَثُّ الصَّوْتِيُّ]+ لغتُنا الجميلةُ+ حديقةُ الحروفِ+ حديقة

> **كتاب «السّياسة اللّغويّة وموقع لغة الأمّة» بمنزلة موسوعةٍ علميّة شاملة تُعالِجُ قضايا متنوعة**

> **يعتقدُ الباحثُ الدّكتورُ صالح بلعيد أنَّ العبرةَ ليست في القوانين، وإنّما في تطبيقِها**

النّحو+ قُل ولا تقُل، حقائبُ القراءة، صحّحْ لُغتَك..

ويقترحُ المؤلّفُ كذلك أَنْ تُعَدَّ بَرامِجُ ودراساتٌ لمُواجهةِ أزمةِ التّعلُّم لضمانِ التّعلُّم التّأسيسيِّ، وتحويلِه من تلقينٍ إلى إشراكِ المُتلقّي لمادّةِ التّعليم، ويُقصدُ بالتّعلّم التّأسيسيِّ غرسُ اللّبِناتِ الأساسِ لجميع مهاراتِ التّعلّم والمعرفةِ والمهاراتِ العُليا الأخرى التي يحتاجُ الأطفالُ إلى اكتسابِها خلالَ مراحلِ التّعليم.

في القسْمِ الأوّلِ منَ الكتاب، وتحت عنوان: «السّياسةُ اللّغويّةُ والتّخطيطُ اللّغويُّ»، تطرّقَ المؤلّفُ إلى قضايا مُهمّة جدًّا ترتبطُ بهذا المجالِ؛ الذي عرّفه بأنّه تلك القوانينُ والأنظمةُ والإستراتيجيّاتُ المُتعلّقةُ باللّغةِ وعلاقتها بالمُجتمع (تنظير)؛ في حين أنّ التّخطيطَ اللّغويَّ (تطبيق)، ويذهبُ في هذا الصّددِ إلى أنَّ السّياسةَ اللُّغويّةَ تقتضي وجودَ جماعةٍ/ جماعاتٍ لُغويّةٍ تهتمُّ بوضعِ سياسةٍ لُغويّةٍ ناجحةٍ، أو إحياءِ لُغةٍ بغرَضِ استعمالِها، أو العملِ على إيجادِ آلياتِ التّعايشِ بين اللّغاتِ المُوظَّفةِ في البلد الواحدِ، وهذا يقتضي وجودَ تخطيطٍ لُغويٍّ+ إرادةٍ سياسيّةٍ+ هيأةٍ تنفيذيّةٍ+ وسائلَ ماديّةٍ+ مُدّةٍ زمنيّةٍ مُحدّدةٍ. وتخطيطُ السّياسةِ اللُّغويّةِ تعني الخيارَ الجمْعيَّ للمُجتمع.

ويعتقدُ الباحثُ الدّكتورُ صالح بلعيد أنَّ العبرةَ ليست في القوانين، وإنّما في تطبيقِها، وليستِ العِبرةُ في كثرةِ جمعياتِ حمايةِ/ دفاعِ/ تنميّةِ اللّغة العربيّةِ، دونَ هامشٍ منَ الحريّةِ للمُبادَراتِ والإبداعِ لهذه الجمعيّاتِ، وليست العبرةُ في كثرةِ المؤسّساتِ ذاتِ العلاقةِ بتطويرِ العربيّةِ؛ بلِ العبرةُ في تفعيلِها وفتحِ الأبوابِ لنشاطاتِها المُختلفةِ، وإعطاءِ مساحةٍ منَ الحريّةِ للصّحافةِ في المُرافَعاتِ ذاتِ العلاقةِ باللّغةِ العربيّةِ، ولا بُدَّ من وضْعِ مَنهجيّاتِ القوّةِ النّاعمةِ لتحبيبِ العربيّةِ والتّرغيبِ فيها، والعملِ على تطويرِها وَفْقَ خُططٍ إنمائيّةٍ.

ويصفُ المؤلّفُ لغةَ الأمّةِ بأنّها: "هُويةُ المرءِ ومِحورُ منظومتِه اللّغويّةِ والثّقافيّةِ، هي الجنسيّةُ العربيّةُ، وهي الوطنُ العربيُّ في دُولِه العتيدةِ، هي الوطنُ الكبيرُ، ومن لا لُغةَ له لا وطَنَ له...، لُغةُ الأمّةِ

هي الثّورةُ الدّاخليّةُ التي يحملُها كلُّ مُواطنٍ غَيورٍ على وطنِه؛ يعني غيورًا على لغتِه، وفي ذاتِ اللّغةِ ثورةٌ أُخرى تحثُّ على إصلاحِ المجتمعِ بإصلاحِ لُغتِه، وكلُّ شيءٍ يبدأُ منَ اللّغةِ؛ لأنّ أيّةَ لُغةٍ لا تَخلو منَ التّحيّزِ، ومنها تبدأُ إمكاناتُ الفعلِ الثّوريِّ/التّغييريِّ، ومن ذلك يخرجُ فعلُ التّوجيهِ الذي تتّخِذُه الدّولةُ بتضافُرِ مُفرداتٍ ومَسكوكاتٍ تمَّ صَوْغُها لصالحِ الإعلامِ والتّعليمِ وما له سلطةُ القرارِ في الدّولةِ والحكومةِ والأمنِ»(13) .

تحت عنوان: تفعيلُ العربيّةِ في التّربيةِ والتّعليم»، يرى الدّكتورُ صالح بلعيد أنَّ العربيّةَ تحتاجُ إلى نظرةٍ جديدةٍ في المنهجِ؛ على اعتبارِه حصيلةَ تفاعُلٍ مُستمرٍّ لمجموعةٍ متشابكةٍ منَ العواملِ، وتحقيقِ وَحدةِ اللّغةِ في المنهجِ وإكسابِ المُتعلّمين المهاراتِ اللّغويّةَ إرسالاً في المُحادثةِ، واستقبالاً في الاستماعِ والقراءةِ، كما أنّ العربيّةَ تحتاجُ في أهدافِها إلى إكسابِ المُتعلِّمِ المهاراتِ اللّغويّةَ، وتنميَةِ القدرةِ على التّفكيرِ العِلميِّ والتّحليلِ والنّقدِ والحوارِ، كما يدعو المؤلّفُ إلى الاهتمامِ بلُغةِ وسائلِ الإعلامِ؛ حيث إنّ العربيّةَ في واقعِنا اليومَ بحاجةٍ إلى تفعيلٍ وتحريكٍ وَفْقَ استراتيجيّةٍ مُعاصرةٍ تأخذُ وسائلَ التّواصلِ الاجتماعيِّ، لتكونَ وسيلةً إشهاريّةً، وتُعبّرُ بلُغةٍ راقيَةٍ فصيحةٍ؛ وصولاً إلى وضْعِ ركائزِ التّبليغِ الرّشيدةِ في بناءِ لُغويٍّ متنوّعٍ؛ حسبَ ما تقتَضيه كلُّ وسيلةٍ من تلك الوسائلِ، ويَعتقدُ أنَّ على المدرسةِ ووسائلِ الإعلامِ تركيزَ النّظرِ في قضايا مُهمّةٍ جدًّا، هي: الاعتزازُ اللّغويُّ؛ الذي يَعني المُحافظةَ على اللّغةِ، والمُحافظةَ على الأرضِ، ومُحاربةَ الغُربةِ اللُّغويّةِ، ويؤكّدُ أنَّ اللّغةَ العربيّةَ لُغةٌ علميّةٌ، وخوضُ عالَمِ الحوسبةِ. ومن أبرزِ النّتائجِ التي دبّجَها المؤلّفُ، الإقرارُ بمجموعةٍ منَ النّقائصِ ومنها: نقصٌ في المرجعيّةِ العلميّةِ، وضمورُ أدواتِ البحثِ في اللّغةِ

---

(1) د.صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية ،منشورات دار هومة للطباعة والنشر، ط:03، الجزائر،2000 م، ص:91.

(2) د.صالح بلعيد: محاضرات في قضايا اللُّغة العربية، منشورات دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،1999م، ص:277.

(3) عبد اللطيف الفارابي وآخرون: معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، منشورات دار الخطابي للنشر، سلسلة علوم التربية(9-10)، ص:268.

(4) د.عبد المجيد مزيان: مفهوم الأمن الثقافي العربي بين الواقع والتصور، مجلة الثقافة، مجلة تصدر ها وزارة الثقافة بالجزائر، العدد:76، رمضان-شوال1403هـ/يوليو-أغسطس1983م، ص:12.

(5) توصف اللغة بأنها: " كيان عام يضم النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافية منطوقة، أو مكتوبة، معاصرة، أو متوارثة، باختصار: كل ما يُمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي، أو كتابي، أو إشارة، أو اصطلاح".

(6) للمجتمع تعريفات كثيرة جداً، فهو يتشكل من مجموعة من الأفراد الذين يقطنون بقعة جغرافية معينة، ومحددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها"مجموعة من العادات، والتقاليد، والمقاييس، والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة، والمتبادلة التي أساسها الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر، والمجتمع هو جميع العلاقات بين الأفراد، وهم في حال تفاعل مع منظمات، وجمعيات لها أحكام، وأسس معينة، وهو الشبكة المعقدة من العلاقات الاجتماعية التي قام الإنسان بتنظيمها، ورسم معالمها، وهو مجموعة من الأفراد تكون في حال اتصال دائم، ولها أهداف، ومصالح مشتركة، ومتبادلة، وهو كل جماعة، أو عدد غير محدود من الناس تربط بعضهم علاقات دائمة، أو إلى أمد غير محدود، وهو كذلك كل جماعة مؤلفة من أفراد بينهم رابطة نفسية ". ينظر: د. صلاح الدين شروخ: علم الاجتماع التربوي، منشورات دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2004م، ص:110 وما بعدها.

(7) يجمع الدارسون على أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة البشرية، وهي تركز أبحاثها على اللغة، وتتخذها موضوعًا رئيسًا لها، وتنظر إليها على اعتبار أنّها غايةٌ وليست وسيلةً، وقدِ اشتهرت دعوةُ سوسير إلى دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها، وهذا ما عَدَّهُ العديد من الدارسين فتحًا علميًّا جديدًا.

(8) علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للبنية الاجتماعية، والتي تتكون من المؤسسات الاجتماعية، والجماعات، فالمؤسسات

العربيّةِ، وعدمُ إقامةِ معرفةٍ لِسانيّةٍ مُتقدّمةٍ، وعجزُ المُعرّبين عن تدبيرِ شؤونِ العربيّةِ، وعدمُ التّغلُّبِ على إشكالِ علاقةِ التّراثِ بالحداثةِ، وعدمُ اعتمادِ المُعرّبين على مَرجعيّاتٍ ومناهجَ واضحةٍ، كما يُقرُّ المؤلّفُ بمجموعةٍ منَ المحاسنِ، ومن بينِها: اللّسانُ العربيُّ يجمعُنا، وبروزُ اللّغةِ العربيّةِ بِوَصْفِها لُغَةً شامِلَةً، ولقد شكلّتِ العروبةُ اللُّغويّةُ تَحوُّلًا في تاريخِ اللّغةِ العربيّةِ، والعربيّةُ لُغةُ تواصُلٍ عالميّةٌ لكتلةٍ بشريّةٍ هامّةٍ، ويُوصي المؤلّفُ بضرورةِ الاستثمارِ في التّنميَةِ البشريّةِ، وتحريكِ وسائلِ الإعلامِ في تخصيصِ حصصٍ ثقافيةٍ وندواتٍ؛ بخصوصِ ترقيَةِ اللّغةِ العربيّةِ، وضرورةِ استصْدارِ القرارِ المُلزمِ بالتّعريبِ الشّاملِ، وتحديدِ آجالِ الانتهاءِ منه، وتعريبِ المعارفِ الكونيّةِ، التّجريديّةِ والتّقنيّةِ على الخصوصِ، وتفعيلِ المؤسّساتِ والمجامعِ العربيّةِ، والسّرعةِ في علاجِ الظّواهرِ المُخلَّةِ بسوءِ أداءِ العربيّةِ لوظائفِها التّعبيريّةِ والعلميّةِ، والعملِ بالمشاريعِ الكُبرى، والخروجِ بقرارٍ عربيٍّ خاصَّةً الأعمالَ العربيّةَ المشتركةَ على غرارِ المُعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ والذّخيرةِ العربيّةِ.

وهناك قضايا كثيرةٌ جدًّا ومُهمّةٌ توقّفَ معها الباحثُ الأستاذُ الدّكتورُ صالح بلعيد بالمُدارسةِ والتّحليلِ، ومن بينِها: سوقُ اللُّغاتِ، وكيف نَستثمرُ في اللُّغةِ العربيةِ؟، ونماذجُ مِنَ التّجاربِ اللّغويّةِ النّاجحةِ، والتّعريبُ بين واجبِ العُلماءِ واهتمامِ الدُّولِ، والعربيّةُ بين التّجاذُباتِ والمُضايقاتِ، ولُغةُ الأمّةِ: استثمارٌ في الذّكاءِ الاصطناعيِّ، واللّغةُ العربيّةُ والتّواصُلُ الحضاريُّ، وعبقريّةُ اللّغةِ العربيّةِ، ولا شكَّ في أنَّ هذا الكتابَ من خلالِ مَجالاتِه الواسعةِ ومَضامينِه الشّائقةِ؛ يفتحُ آفاقًا واسعةً جدًّا لدارسِي السّياسةِ اللُّغويّةِ، ولا ريْبَ في أنَّ هذا السِّفرَ الذي تقاربُ صفحاتُه الخمسمائة صفحةٍ سيُصبحُ بلا شكٍّ مَرجعًا مُهمًّا للباحثين في هذا الميدان.

الاجتماعية، مثل: النقابة، والنادي، والشركة، وفريق كرة القدم، وغيرها، أما الجماعات فيُمكن أن تكون جماعات رسمية، مثل: النقابات، أو غير رسمية، مثل: مجموعة من الأصدقاء، أو الجيران، أو الأسرة، أو عصبة من المراهقين، ولا يختلف اثنان في أن المؤسسات الاجتماعية لا توجد دون جماعات، بيد أن الجماعات يُمكن أن توجد دون وجود المؤسسات الرسمية الخاصة. يُنظر: د. خير الله عصار:مبادئ علم النفس الاجتماعي،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص:12.

(9) تنطلق اللسانيات الاجتماعية من التأكيد على أن المشكلات اللغوية تتصل اتصالاً وثيقا بالمشكلات الاجتماعية، ولذلك هناك من يضم علم اللغة إلى العلوم الاجتماعية، فوجود اللغة هو من وجود المجتمع، فهي مؤسسة اجتماعية، وتأسيسها يرجع إلى المجتمع، والإنسان، ووظيفة اللغة التخاطب، والتواصل، وإقامة الصلات مع الجهات الاجتماعية، وهناك تداخل بين اللسانيات، وعلم الاجتماع، ولذلك تركز اللسانيات الاجتماعية على تأثيرات اللغة في المجتمع، وتأثيرات المجتمع في اللغة من خلال جملة من القضايا، وثمة دراسات كثيرة تندرج في إطار علم اللغة الاجتماعي، وتسلط الضوء على الخصائص الكلية للاتصال الإنساني، ومن ذلك:بنية الحديث، والمحادثة، ودور اللغة في المجتمع لم يعد يقتصر على علماء اللغة،وعلماء الاجتماع فقط، بل تناوله كذلك علماء النفس،وقد أعطى علماء اللغة اللسانيات الاجتماعية الدور الأكبر لاكتشاف جملة من القوانين الاجتماعية التي تنهض على تحديد سلوك المجموعات اللغوية التي تستعمل لغة محددة. يُنظر: د.صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، منشورات دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط:01، 2012م، ص:157-158. ود.غازي مختار طليمات:في علم اللغة، منشورات مكتبة دار طلاس، دمشق، سوريا، 1997م، ص:23.

(10) د.عبد العلي الودغيري: لُغة الأُمّة ولُغة الأُمّ عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثّقافيّة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2014 م، ص:4.

(11) د.صالح بلعيد: السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة، منشورات مطبعة زاد تي تي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2023م، ص:8.

(12) د.صالح بلعيد: السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة، ص:13.

(13) د.صالح بلعيد: السّياسةُ اللُّغويّةُ وموقعُ لغة الأمّة، ص:27.

قـصّـة مثـل

- إيَّاكِ أعْنِي واسْمَعِي يَا جارَهْ.

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاري، وذلك أنه خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيد الحي، **فقيل له:** حارثة بن لأم، **فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أخته:** انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خِبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها وأكملهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسيدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْرِي كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بِفناء الخِباء يوماً وهي تسمع كلامه، **فجعل ينشد ويقول:**

يَا أخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ والْحَضارَهْ
كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتى فَزارَهْ
أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطارَهْ
إيَّاكِ أعْنِي واسْمَعِي يَا جارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، **فقالت:**

ماذا بِقَوْلِ ذي عقل أريب، ولا رأيٍ مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أقَمْتَ مكرَّما ثم ارْتَحِلْ متى شئت مسلماً، **ويقال أجابته نظماً فقالت:**

إنِّي أقُولُ يَا فَتَى فَزارَهْ
لَا أبْتَغِي الزَّوْجَ ولَا الدَّعارَهْ
ولَا فِرَاقَ أهْلِ هذِي الْجارَهْ
فَارْحَلْ إلَى أهْلِكَ بِاسْتِخارَهْ

فاسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكرا واسوأتاه، **قالت:** صدقْتَ، فكأنها اسْتَحْيَتْ من تسرُّعها إلى تُهَمَته، فارتحل، فأتى النعمان فَحَبَاه وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها، وكان جميلا، فأرسلت إليه أنِ اخْطُبني إن كان لك إليَّ حاجة يوما من الدهر فإني سريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره.

وقفةٌ معَ الأعْمالِ الفائِزةِ في جائِزَةِ الشّارقَة للدّراساتِ اللّغويّة والمُعجَميّة

فرع الدّراسات المعجميَّة

كتاب: في المعجميَّة العربيَّة تنظيرًا وتطبيقًا

للدّكتور: الحبيب النَّصراويّ

لطالما أدرك العرب قديمهم وحديثهم ما للمعجم اللّغويّ من دور فاعل، وأهميّة مركزيّة في حماية اللّغة، وحفظ تاريخها، ونقل تراثها عبر الأجيال والعصور المتعاقبة، فما كان منهم إلاّ أن ترجموا هذا الإدراك إنتاجًا علميًا غزيرًا من المعاجم اللّغويّة ذات الاختصاصات والتّوجّهات المُتباينة، وانطلاقًا من ذلك كلّه سَعَت جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة إلى تخصيص محور الدّراسات المعجميّة لتسلّطَ الضّوء على أبرز المنجزات العلميّة الرّصينة الباحثة في واقع المعجم العربيّ وسُبُلِ تعزيز مكانته وحضوره بين شرائح المجتمع كافّة. من بين هذه الدّراسات المعجميَّة البارزة حصدت دراسة الدكتور الحبيب النّصراوي بعنوان: (في المعجميَّة العربيَّة تنظيرًا وتطبيقًا) المركز الأوّل ضمن محور الدّراسات المعجميَّة في جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة خلال دورتها الثّالثة عام 2019

هبة هشام

باحثة لغويّة في مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

وقد اكتسبَت هذه الدّراسة فرادَتها من سعيها إلى وصفِ واقع العربيَّة ومعجمها من وجهة نظرٍ لسانيَّة على جناحَي التّنظير والتَّطبيق، بُغيَة معالجة آليّات الانتقال بمعجم هذه اللُّغة من حالة الانغلاق والخضوع لمعاييرَ تاريخيَّة قائمة على مقاييس الفصحى الثّابتة، إلى حالة معجم منفتح يستمدُّ وظيفَتَه من الأسس والمفاهيم الّتي أرستها اللّسانيّات، ويمكن إجمالها في مقدرة اللّغة على مواكبة التّطوّر واستيعاب الجديد، وتمكّن اللّسانيّات من تحقيق مناهج تجريبيَّة بعيدة عن الأحكام المعياريّة والعاطفة، ممّا استدعى البحث في بنية المعجم وتحديد وظيفته وأهدافه وتقنياته مقارنةً بما توصَّل إليه المعجم في الدَّرس اللِّسانيِّ الحديث.

تنبني هذه الدّراسة في أَصلِها على مجموعَةِ مَقالاتٍ أنجَزَها المؤلِّفُ وشارَكَ بها في إطارِ نَدَواتٍ ومُؤتَمَراتٍ علميَّة في مجال المُعْجَميَّة والقاموسيَّة، وقد حاول تَرتيبَها بِشَكلِها النّهائيّ في قِسمَين، يُفتَتَحُ كلُّ قسم منهُما بتمهيد تتبعُهُ مجموعة من المباحث النَّظريَّة والتَّطبيقيَّة، ثُمَّ خاتمة ومجموعة فهارس، جاءت كلُّها مرتَّبة على النّحو الآتي:

القسم الأول: يَستَهلّه المؤلِّفُ بِتَمهيدٍ عرَّفَ فيه بموضوع الدّراسة وهوَ السَّعيُ إلى وصفِ واقعِ العربيَّةِ ومُعجَمِها من وجهةِ نَظَرٍ لِسانيَّة، انطلاقًا من البَحثِ في بنيَةِ المُعجمِ وتَحديدِ وَظيفَتِه وأهدافِه وتقنياته مقارنةً بما توصَّلَ إليه المُعجَمُ في الدَّرسِ اللّسانيِّ الحَديث. يأتي بعد هذا التَّمهيد ثلاثة فصول أسْماها الباحِثُ بالوَظائف، تَناولَ في الوَظيفةِ الأولى منها لسانيَّات المُدوَّنة وطَبيعَتَها ومنهج المعالجة ومبادئ الجمع في القاموس الحديث، بينما خصَّصَ الوظيفة الثّانية لمناقشةِ مبادئ الوضع أو التّعريف القاموسيّ بما في ذلك لغته الواصفة، ومكوّناته الدّلاليَّة، والإظهار والإضمار فيه، أمّا الوظيفة الثّالثة والأخيرة فتتناول عدَّة قضايا متَعلِّقة بوظائف القاموس التَّواصليَّة، بما في ذلك الاستعمال، والمصطلح وتوليده، ووظيفة تطوير العربيَّة.

القسم الثّاني: تناول فيه الباحث مسألة التّطور اللُّغويّ عامَّة وفي العربيَّة خاصَّة من خلال مباحث عدَّة مُقسَّمَةٍ على بابَين:

الباب الأوّل: المعجم التّاريخيّ والتّاريخ اللّغويّ

والاجتماعيّ للأُمَّة، ويتناول فيه عدَّة قضايا منها اللّغة بين استقرار القاموس وتطوّر المعجم، وقضيّة الجمع بين القاموس العامّ والقاموس التّاريخيّ، وإشكالات الجمع في المعجم التّاريخيّ وكيفيَّة معالجة المادَّة المختارة دلاليًّا وشكليًّا.

الباب الثّاني: التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ في العربيّة من خلال كتب اللَّحن قديمًا وحديثًا، وفيه عالج المؤلّف مجموعة من المسائل مثل: عوامل التَّطوّرَين اللّغويّ والدّلاليّ من داخل اللّغة وخارجها، وإشكاليَّة الفصاحة واللَّحن في الدَّرس الدّلاليّ عند العرب من القديم والحديث، كما استعرضَ عددًا من مظاهر التَّطوّرِ اللُّغويّ الشَّكليّ والدّلاليّ.

يسعى الكتاب إلى وصفِ واقعِ العربيَّةِ ومُعجَمِها من وجهةِ نَظَرٍ لِسانيَّة

تفرضُ طبيعة اللُّغة أنَّ تظلَّ القوائم المقدَّمة من المعجم منفتحة على التَّجربة الإنسانيَّة بما أنَّها تعكس مُرورًا متواصِلاً من البنية الحاصلة في اللّغة إلى بينة التّجربة غير المنتهية الّتي يحظى بها الإنسان

وقد خَلُصَ البحث إلى مجموعة من النَّتائج أهمُّها: الإشارة إلى أنَّ طبيعة اللُّغة تفرض أنَّ تظلَّ القوائم المقدَّمة من المعجم منفتحة على التَّجربة الإنسانيَّة بما أنَّها تعكس مُرورًا متواصِلاً من البنية الحاصلة في اللّغة إلى بينة التّجربة غير المنتهية الّتي يحظى بها الإنسان، ووجَدَت الدّراسة كذلك أنَّ إشكالات المعجميَّة العربيَّة اليوم تنحصِرُ في بُعدَين أوّلهُما: ضعفُ العناية بالبُعد النَّظريّ، وثانيهما: غَلَبَة الجانب العاطفيّ على الوصفيّ الواقعيّ المستعمل من اللُّغة، وهذا ما يستدعي من الباحثين ضرورة التّوفيق بين البُعد النَّظريّ وقضايا المعجميَّة التَّطبيقيَّة لاسيما تلك الّتي تمثّل عائقًا أمام تطوّر محتوى القاموس العربيّ، وعلى الرَّغم من ذلك كلِّه لم يَكُن الغرض من الدِّراسة مجرَّد التَّخطئة المحضة للجهود المُقدَّمة، بل دراسة مظاهر التَّوليد المعجميّ ومعالجتها في إطار يجمع بين تاريخِها العريق وحاضِرِها في ضوء ما فتحتْه اللِّسانيّات الحديثة من اجتهاد، وما انتهت إليه من نظريّات، وما توصَّل إليه المحدثون ومجامع اللُّغة العربيَّة من مواقف وقرارات تفتح أمام العربيَّة مجالات التَّطوّر دون أن تفقدها ثوابتها التي تضمن لها بقاءها.

مِن أعْلامِ العَربِيّة

- ابنُ درّاجٍ القَسطلّيُّ .. الشّاعرُ المُغترِبُ
- سطور في ترجمة ابن جنّيّ ..
- وقَفةٌ مع الإبداع الأدبيّ في جُمَلٍ من نثرِ عليّ الطّنطاويّ
- الخَنْسَاء.. أشْعَرُ شَواعِرِ العَرَبِ

ابنُ درّاجٍ القَسطلّيُّ .. الشّاعرُ المُغترِبُ

إنّ المُطّلعَ على ديوانِ ابنِ درّاجٍ القَسْطلّيِّ سيدركُ أنّ هذا الشّاعرَ قد تركَ واحدًا من أكبرِ دواوينِ الشّعرِ العربيِّ، حَيْثُ عُدَّ من أهمِّ شُعراءِ بَلاطِ المنصورِ ابنِ أبي عامرٍ، وحافظًا لمعاركِه، وأيّامِ دولتِه، وشاهدًا على عصرِ اضْطرابِ الأندلُسِ إبّانَ الفتنةِ في قُرطبةَ، ولُقّبَ بِمُتنبّي الأندلُسِ، حتى قالَ عنه صاحبُ اليتيمةِ: «.. كانَ عندهم بِصُقْعِ الأندلسِ كالمُتنبّي بِصُقعِ الشّامِ».
وحينَما نقرأُ ديوانَه الكبيرَ سنُدركُ لماذا وضعوه في هذه المنزلةِ، فقد كانَ لسانَ الجزيرةِ، وتُشبهُ عامريّاتُه ـ أي القصائدُ التي كتبَها في المنصورِ ابنِ أبي عامرٍ ـ سَيفيّاتِ المُتنبّي التي كتبَها في سيفِ الدّولةِ الحَمْدانيِّ، فقد كانَ مدّاحًا للمنصورِ، ثم بعدَ أنْ ألجأتْه الفتنةُ إلى مدحِ ملوكٍ عدّةٍ، باحثًا عن الرِّفدِ والعطاءِ.

د. محمود بكري الأمين
دكتوراه في البلاغة والنقد الأدبي

وعلى الرّغمِ من شُيوعِ المديحِ في ديوانِه إلّا أنّنا نَلحظُ حديثَه المُستمرَّ عن شعورِه بالاغترابِ، واستيلاءِ الرِّحلةِ على قدْرٍ ليس بالقليلِ من شعرِه، فقد سيطرتْ على ابنِ دَرّاجٍ القَسطلّيِّ حالةٌ منَ الاغترابِ الشّديدِ، والتي ظهرت بشكلٍ ملحوظٍ في شعرِه، حيث عاشَ عدّةَ مراحلَ من عُمرِه، كانت سببًا رئيسًا في تمظْهُرِ هذا الاغترابِ لديْه.

فقد عاشَ في أوّلياتِ حياتِه حياةً طيّبةً، حيث كانَ أجدادُه سادةَ بلْدةِ قسطلّةَ وحكّامَها، ويبدو أنّ الأحوالَ قد تدهورَتْ ممّا اضطرّه إلى ترك «قسطلّة» تَحْتَ وطأةِ الفاقةِ، وقد كان لهذا الانتقالِ وفراقِ أهلِه وأحبّتِه أثرٌ كبيرٌ في شعورِه بالقلقِ والاغترابِ، وغدت روحُه معذّبةً تتوقُ إلى ذلك الماضي اللّاهي، ولا زال يذكرُ شرْخَ الشّبابِ وما كان عليه:

فيا لَلشّبابِ الغضِّ أنْهجَ بُرْدُهُ
وَيا لَرِياضِ اللّهْوِ جفَّ سَفاها

وَعيْنُ الصِّبا عارَ المَشيبُ سَوادَها
فَعَنْ أيِّ عيْنٍ بَعْدَ تلْكَ أراها؟

سَلامٌ على شَرْخِ الشّبابِ مُرَدَّدٌ
وآهًا لِوَصْلِ الغانِياتِ وآها

وَيا لَدِيارِ اللّهْوِ أقْوَتْ رُسومُها
وَمَحَّتْ مَغانيها وصُمَّ صَداها

فهو يُعدّدُ حنينَه إلى الماضي المُنصرِم، ويتذكّرُ صورتَه فيبكي أيّامًا لم تَعُدْ كما كانت، وديارَ اللّهوِ التي دَرَسَت، وبَلِيت مَغانيها، ونكادُ نسمعُ نحيبًا بين الأبيات وهو يردّدُ:

فَيا حبَّذا تلكَ الرُّسومُ وحبَّذا
نَوافحُ تُهْديها إليَّ صَباها

تَهادي المَها الوَحْشيِّ في عَرَصاتِها
يُذكِّرُنيه آنِساتُ مَهاها

قُلْ للرَّبيعِ اسْحَبْ مُلاءَ سَحائِبِ
فاجْرُرْ ذُيولَكَ في مَجَرِّ ذَوائِبي

وامْزُجْ بِطيبِ تحيَّتي غَدَقَ الحَيا
فاجْعلْهُ سُقْيَ أحبَّتي وحَبائِبي

واجْنَحْ لِقُرْطُبَةٍ فَعانِقْ تُرْبَها
عَنِّي بِمِثْلِ جَوانحي وتَرائِبي

وأَنِسْتُ بالأَهْوالِ حتّى لَمْ أُبَلْ
ألِقاءُ أُسْدٍ أَمْ لِقاءُ ثَعالِبِ

ولم تكنِ الفتنةُ القُرطبيّةُ ببعيدةٍ عنه، فقد عاش أهوالَها؛ حيث ضربتِ الفتنةُ الأندلسيَّةُ بِكَلْكَلِها، وَعَمَّتِ الجميعَ، ممّا اضطرّه إلى الانتقال من مكانٍ إلى آخرَ بحثًا عمّن يمنحُه الأمانَ، لكنّه لم يجدْ إلّا الغربةَ والتَّرحالَ، ليهربَ ممّا تعجُّ به قرطبةُ من قلاقلَ وما تنوءُ به مِن اضطراباتٍ. فاتّجه إلى سبتةَ ومدح رئيسَها، فلم يجد فيها ما يَرنو إليه، فما لبثَ أن عادَ إلى الأندلسِ، فقصدَ بعد ذلك عدّةَ أقاليمَ أندلسيّةٍ، مادحًا رؤساءَها مُؤمِّلًا أن يجد الاستقرارَ في بعضها، لكنّه لم يذق طعمَ الاستقرار؛ فعاش مُغتربًا يبحثُ عن ملاذٍ آمنٍ يَروي اغترابَه المُدقعَ، حتى لم يعدْ يأبهُ بالمصائب بعد أن تعبتْ روحُه، وأنْهكتِ الأيّامُ جسدَه:

إنّه يحنُّ إلى قُرطبةَ، بل يشتاقُ إلى تُرابها، وفي ظلِّ هذا الحنينِ يُؤكّدُ تجشُّمَهُ مشقّةَ السّفرِ والتَّرحالِ، وكأنّها لحظةُ يأسٍ تقفُ فيها النّفسُ لا راضيةً ولا مرضيّةً.

ولقد كان لتركِه بلْدتَه قَسْطلّةَ بحثًا عنِ الرِّفدِ والعَطاءِ، ثمّ تركِه قُرطبةَ بعد الفتنةِ، وتنقّله بين الملوكِ والأمراءِ عاملًا أساسيًّا في ابتعادِه عن أُسرتِه، ومن ثَمَّ كَوَّنَتْ تلك العواملُ إطارَ التّجربةِ الشِّعريّةِ لديه، وكان اشتياقُه الدّائمُ إلى أسرتِه، خاصّةً لحظاتِ الفراقِ، مِحورًا مُهمًّا من محاورِ شعرِه، فهو لا يفتأُ يذكرُ حنينَه إلى أُسرتِه، ويرسمُ لنا صورةً لحوارٍ موجعٍ مع زوجتِه إبّانَ رحيلِه، يبثُّ فيه مواجِعَه وآلامَه:

دَعي عَزَمَاتِ المُسْتَضَامِ تَسيرُ
فَتُنْجِدُ في عُرْضِ الفَلاَ وَتَغُورُ

لَعَلَّ بِمَا أَشْجَاكِ مِنْ لَوْعَةِ النَّوَى
يُعَزُّ ذَلِيلٌ أَوْ يُفَكُّ أَسِيرُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى
وَأَنَّ بُيُوتَ العَاجِزِينَ قُبُورُ

وَلَمْ تَزْجُرِي طَيْرَ السُّرَى بِحُرُوفِهَا
فَتُنْبِئُكِ إِنْ يَمَّنَّ فَهْيَ سُرُورُ

تُخَوِّفُنِي طُولَ السِّفَارِ وَإِنَّهُ
لِتَقْبِيلِ كَفِّ العَامِرِيِّ سَفِيرُ

دَعِينِي أَرِدْ مَاءَ المَفَاوِزِ آجِنًا
إِلَى حَيْثُ مَاءُ المَكْرُمَاتِ نَمِيرُ

وَأَخْتَلِسُ الأَيَّامَ خُلْسَةَ فَاتِكٍ
إِلَى حَيْثُ لِي مِنْ غَدْرِهِنَّ خَفِيرُ

فهو يَتوقُ إلى الخلودِ للرّاحةِ والبقاءِ، لكنّه يُدركُ تمامًا أنّه لن يَجْنيَ منَ البقاءِ إلّا الفناءَ والاندثارَ، وسيُفلتُ من بين يديه المجدُ الذي يبحث عنه، فينهَرُها ويقرّرُ أنّه ليس أمامه سوى الرّحيلِ.

ويبقَى سؤالُه الذي يفيضُ تَفجُّعًا ماثلًا أمامَه، وكأنّ حياتَه كلَّها كانت بحثًا عن إجابتِه، وكأنَّ شِعرَه كان محاولةً لرسم صورةِ هذا التّساؤلِ:

أَلا هَلْ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا
سِوَى البَحْرِ قَبْرٌ أَوْ سِوَى المَاءِ أَكْفَانُ؟

وَهَبْنَا رَأَيْنَا مَعْلَمَ الأَرْضِ هَلْ لَنَا
مِنَ الأَرْضِ مَأْوَى أَوْ مِنَ الإِنْسِ عِرْفَانُ؟

لقد عاش ابنُ درّاج حالةً منَ الاغترابِ المُضْني، والذي تضافرت فيه عواملُ أنْهكتْ روحَه القلقةَ، وغلَّفَ الحنينُ شِعرَه، فبكى لحظاتٍ ذاقَ فيها طَعمَ الطُّمأنينةِ، في حين بقيَ جُلَّ حياته يُفتّشُ في البلاد عن أمانٍ، فلم يجد أمامَه إلّا غُربةً تُحيله إلى أُخرى.

سطورٌ في ترجَمةِ ابن جنّيّ

هو أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي صاحب التّصانيف، كان أبوه مملوكاً روميّاً لسليمان بن فهد الموصلّي، وقد كان مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة، كما كان أعورَ، وقد قال في نسبه:

فإن أصبح بلا نسب
فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول إلى
قروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا
أرمّ الدهر في الخطب
أولاك دعا النبيّ لهم
كفى شرفا دعاء نبي

وهذه الأبيات قد تدل على ما أشعره به الناس من نقص لكونه من أصل غير عربي، فقال تلك الأبيات متفاخراً بعلمه وبأجداده القياصرة ليعوض النقص الذي أحسه في مجتمعه. وقد سكتت كتب التراجم -فيما وجدنا- عن تفاصيل نشأته سوى أنها كانت في الموصل، ولكن يتضح أنه كان لابن جني نشأة علمية وأنه أحيط بجو ثقافي، ودلالة هذا اتصاله فيما بعد بعلماء كُثر، وعلو كعبه بين علماء عصره وسعة ثقافته.

شيوخه وطلبه للعلم

أخذ ابن جني العلم عن عدد كبير من العلماء والشيوخ، فأخذ النحو عن الأخفش وبعده عن أبي علي الفارسي حتى أنه سار على مذهبه في النحو، وأخذ عن كثير من رواة اللغة والأدب منهم أبو بكر محمد المعروف بابن مقسم، وروى عن ثعلب، كما روى عن المبرد. ويروي ابن جني عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، وممن أخذ عنهم أبو عبد الله الشجري.

صحبته للمتنبي

عرف عنه صحبته للمتنبي وتأثره به، حتى إنه كان من أوائل من شرح ديوان المتنبي ، وقد كان "أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيرا ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئًا من شعره أنفة وإكبارا لنفسه، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.»

تصانيفه

لَهُ تصانيف عديدة ومنها: «سِرُّ الصِّنَاعَة، وَاللُّمَعُ، وَالتَّصريفُ، والتَّلقينُ فِي النَّحْوِ، والتَّعَاقبُ، والخصَائِصُ، وَالْمَقْصُور وَالمَمْدُوْد، وَمَا يُذكَّرُ وَيُؤنَّث، وَ إِعرَابُ الحمَاسَة، وَالمُحْتَسَبُ فِي الشواذِّ»، ويعد كتاب الخصائص أشهرها.

وفاته

وافته المنيّة في بغداد، في خلافة القادر، وتحديدًا يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة .

وقَـفـاتٌ مع الإبْداعِ الأدبيِّ في جُملٍ من نَثْرِ عَـلـيٍّ الطَّنطاويِّ

تهدُف هذه الورَقةُ إلى الإسهامِ في جُهودِ مَجمعِ اللُّغةِ العربيَّةِ بالشّارقةِ، المتوجِّهَةِ لخِدمةِ اللُّغةِ العربيَّةِ، والنُّهوضِ بها، من خِلالِ إصداراتِ المجمعِ المتنوِّعةِ، وجاءَتْ مَعْنِيَّةً بمُستوى الجملةِ الَّتي هي القالبُ اللُّغويُّ المُجسِّدُ للإبداعِ، الَّذي تَصبُّ فيه مُعطياتُ الوَحداتِ البِنائيَّةِ الأُخرى، من أصواتٍ وصِيَغٍ صَرفيَّةٍ؛ لتَمكينِ صاحبِ الرِّسالةِ اللُّغويَّةِ من حَمْلِ رسالتِه إلى المُخاطَبِ. وحَظيَ فَنُّ الشِّعرِ بالكثيرِ من الأعمالِ العلميَّةِ الَّتي تَناولَتْ بالتَّحليلِ مُستوياتِه اللُّغويَّةَ المختلفةَ، وأرادَ الباحثُ أن يَجعلَ للنَّثرِ نَصيبًا من العِنايةِ والاهتمامِ في هذه الورَقةِ، بالوقوفِ عند بعضِ الجُملِ المتنوِّعَةِ من حيثُ أبنيَتُها، في نَثرِ الشَّيخ عليِّ الطَّنْطاويِّ، وفي ضَوءِ السِّياقِ الَّذي وردَتْ فيه، مُتجاوبَةً لنَقْلِ الرِّسالةِ اللُّغويَّةِ الَّتي أرادَ الشَّيخُ عليُّ الطَّنطاويُّ إيصالَها إلى المخاطَبِ، حاملةً مَضامينَ اجْتماعيَّةً، وقِيمًا تَربويَّةً، وتَجارِبَ إنسانيَّةً.

د. بكري محمد الحاج

رئيسُ مَجْمَعِ اللُّغةِ العربيَّةِ السّودانيِّ

2 - التَّعريفُ بالشَّيْخِ عليِّ الطَّنطاويِّ:

اعْتمدَ الباحثُ في كِتابةِ التَّعريفِ الآتي للشَّيْخِ عليٍّ الطَّنطاويِّ على مَوسوعةِ ويكيبيديا الحُرَّةِ، وكِتابِ:(عليّ الطَّنطاويّ: كان يومَ كنت) لأحمدَ بنِ عليٍّ آل مريع، وقد غطّى هذان المَرجعان ما يَتعلَّقُ بمَوْلِدِه، ونشْأتِه، وتَعليمِه، وعَملِه، ورحلاتِه، ومؤلَّفاتِه، ووَفاتِه، ولا يُريدُ الباحثُ الإطالةَ في تَكرارِ ما ورَدَ حولَ هذه الجَوانبِ؛ ولذا سَيوجِزُ الحديثَ في بعضِها على الوَجهِ الآتي:

1/2 مَوْلدُهُ، ونَشْأتُه، وتَعليمُهُ:

وُلِدَ الشَّيخ عليٌّ الطَّنطاويُّ في دِمَشْق بسوريا في 23 جمادى الأولى 1327 هـ (12 حزيران/يونيو 1909م) لأُسرةٍ عُرِفَ أبناؤها بالعِلم، فقد كان أبوه الشَّيخُ مُصطفى الطَّنطاويُّ، من العُلماءِ المعْدودين في الشّام، وانتهَتْ إليهِ أمانَةُ الفَتْوى في دمشْق. وأُسرةُ أمِّهِ أيضًا (الخطيب) من الأُسَرِ العِلميَّة في الشّام وكثيرٌ من أفرادِها من العُلماء المعْدودين ولهم تراجِمُ في كُتبِ الرِّجالِ، وخالُهُ أخو أُمِّه، هو مُحبُّ الدِّينِ الخطيب الَّذي استَوْطَنَ مِصرَ وأنشأَ فيها صَحيفتَي «الفتح» و«الزَّهراء»، وكان له أثَرٌ في الدَّعوةِ فيها في مَطلعِ القَرنِ العشرين.

والطَّنطاويُّ نِسْبةً إلى طنْطا المدينةِ المِصريَّةِ المَعروفةِ، وقدِمَ جَدُّه إلى دمشق عام 1255هـ، وأمّا تَعليمُه فقد ذَكرَ أنَّهُ جَمعَ في الدِّراسةِ بين الطَّريقةِ التَّقليديَّةِ القائمَةِ على التَّلقِّي على المَشايخِ، والطَّريقةِ الحَديثةِ النِّظاميَّةِ، حيْثُ التحقَ بالمَدارسِ الأهْليَّةِ أوَّلًا، ثمَّ الحُكوميَّةِ ثانيًا، وأنْهى المَرحلَةَ الثّانويَّةَ عام 1346هـ . بعْدَ ذلك انْتقلَ إلى مِصرَ والتَحقَ بدارِ العلومِ العُليا، ولكنَّهُ عادَ إلى دمَشْق بَعْدَ أقلَّ من عام؛ ليَدرُس الحُقوقَ في جامِعتِها، ونالَ اللّيسانس (البكالوريوس) سنة 1933م.

2/2 حَياتُه العَمَليَّة:

عَملَ الطَّنطاويُّ في عِدَّةِ وَظائفَ تَدريسيَّةٍ في سوريا، كما عَملَ في القَضاءِ، ثمَّ انتقلَ للعَملِ في العِراقِ مُدرِّسًا بالثّانويَّةِ المركزيَّةِ ببغدادَ، ولكنَّهُ لَم يمكُثْ بها طَويلًا؛ فغادَرَها إلى لُبنانَ، ثمَّ عادَ إلى سوريا، فإلى العِراقِ مُجدَّدًا، وحظِيَ بالعَملِ بالمملَكةِ العَربيَّةِ السَّعوديَّةِ خمسًا وثلاثين سَنَة.

عَملَ بالتَّدريسِ في كلّيَّةِ التَّربيةِ بمكَّةَ، ثمَّ لَم يَلبَثْ أنْ كُلِّف بتَنفيذِ بَرنامجٍ للتَّوعيةِ الإسلاميَّةِ فترَكَ الكلّيَّةَ وراحَ يطوفُ على الجامِعاتِ والمَعاهدِ والمَدارسِ في أنحاءِ المملكَةِ لإلْقاءِ الدُّروسِ والمُحاضراتِ، وتَفرَّغَ للفَتوى يُجيبُ عن أَسئلةِ النّاسِ وفتاويهِم في الحَرَمِ -في مَجلسٍ له هناك- أو في بَيتِهِ ساعاتٍ كلَّ يوم، ثمَّ بَدأَ بَرنامجَيْه: «مَسائلُ ومُشكلاتٌ» في الإذاعَةِ، و«نورٌ وهِدايَةٌ" في الرّائي (والرّائي هو الاسْمُ الَّذي اقْترَحَهُ عليٌّ الطَّنطاويُّ للتّلِفزيون) اللَّذَيْن قُدِّر لهما أنْ يكونا أطولَ البَرامجِ عُمرًا في تاريخِ إذاعةِ المملكَةِ ورائيها، بالإضافَةِ إلى بَرنامَجِهِ الأشهَرِ "على مائدَةِ الإفطارِ».

وفي مَجالِ الكِتابةِ الصُّحُفيَّة كان الطَّنطاويُّ يَكتبُ في «النّاقد» و«الشَّعب» وسواهُما من الصُّحُف. وفي سنة 1933م أنشأَ الزَّيّاتُ المجلَّةَ الكُبرى، «الرِّسالة»، فكان الطَّنطاويُّ واحِدًا من كُتّابها، واسْتمرَّ فيها عشرينَ سَنَةَ إلى أَنِ احتُجِبتْ سنة 1953. ولَهُ مقالاتٌ مُتناثِرةٌ في عشراتٍ من الصُّحفِ والمجلّاتِ الَّتي كان يَعجزُ -هو نَفْسهُ- عن حَصرِها وتَذكُّر أسْمائها.

3/2 مؤلَّفاتُه وآثارُهُ العِلْميَّة:

أمّا مؤلَّفاتُ الطَّنطاويِّ، وآثارُهُ العِلميَّةُ فتفيضُ كثْرةً، وتتعدَّدُ تنوُّعًا، وقد أَحْصى أحمدُ بنُ عليٍّ آل مريع مَجموعةً منها زادَتْ على أربعين مؤلَّفًا، ويقولُ عنها: «وأغلَبُ نِتاجِ الطَّنطاويِّ نُشِر ابتداءً عَبْر الصُّحفِ، ثمَّ أُعيدَ جمْعُهُ وطِباعتُه ونَشْرُه، وقد تُرجمتْ بَعضُ أعمالِهِ إلى أكْثَر من لُغةٍ». وكانت للطَّنطاويِّ إطْلالاتٌ عَبْر الإذاعَةِ والتِّلِفزيون من خِلالِ عَدَد من البرامِجِ النّاجِحَة، الَّتي كان يحرصُ النّاسُ على مُتابَعَتها، والإفادَةِ منها.

4/2 وَفــاتُــه:

وعنْدَ بُلوغِه الثَّمانين، وفي أواخرِ عُمرِه أَغلقَ بابَهُ، واعْتزلَ حياةَ النّاسِ، ثمَّ ضَعُفَ قلبُه في آخرِ أيّامِه؛ فأُدخِلَ المُستشفى عدَّةَ مرّاتٍ، وتكرَّرَتِ الأزَماتُ القَلبيَّةُ عليهِ إلى أنْ أسْلَمَ الرّوحَ إلى بارئها بعْدَ عِشاءِ يوْمِ الجُمُعة،4 ربيع الأوَّل 1420 هـ الموافق 18 حزيران عام 1999م، ودُفِنَ في مكَّةَ المكرَّمةِ في اليَوْمِ التّالي بعدَما صُلّيَ عليه في الحَرمِ المكّيِّ الشَّريفِ.

3 - نمـاذِجُ مِـن الجُمَلِ الوارِدَة في نَثْـرِه:

1/3 (وأولئكَ هُمُ المعَذَّبونَ الصّابِرون):

من مقال للطَّنطاويِّ بعُنوانِ (في الحُبِّ) (8)، اسْتهلَّه بسُؤالٍ تَشْويقيٍّ قائلًا: (ومَن حَرَّم الكَلامَ في الحُبِّ؟). ويقولُ في الفِقرةِ الثّانيَةِ من المقال: «ولوْلا الحُبُّ ما التَفَّ الغُصْنُ على الغُصْنِ في الغابةِ النّائيَةِ، ولا عَطَف الظَّبيُ على الظَّبيَةِ في الكِناسِ البَعيد، ولا حَنى الجَبلُ على الرّابيَةِ الوادِعةِ، ولا أَمَدَّ اليَنبوعُ الجَدولَ السّاعي نحْوَ البَحرِ... ما في الحُبِّ شَيءٌ، ولا على المُحبّينَ سَبيلٌ، إنَّما السَّبيلُ على مَن يَنْسى في الحُبِّ دينَهُ، أو يُضيع خُلُقَه، أو يَهدمُ رُجولَتَهُ...».

وبَيَّن الطَّنطاويُّ في هذا المَقالِ مَوقفَهُ من الحُبِّ، والتَّعاملِ مع عَواطِفهِ، ليس انْسياقًا مع الهوى، ومُتابَعةً لجُموحِ النَّفْس، بل تقَيُّدًا بقِيَم الدّين، ومَوْروثِ الخُلُقِ القَويم، مَهْما كانتْ آلامُ الحُبِّ، وتَباريحُ العِشقِ، ويقولُ مُسترْسِلًا في تَوضيحِ الفِقرةِ الّتي منها الجُمْلة موضوعُ التَّحليلِ: « وأولَئِك هُمُ المُعَذَّبون الصّابرون، يَعيشونَ فلا يَدْري بآلامِهِمْ أحَدٌ، ويَموتونَ فلا يُقامُ لِشَهيدِهم قَبْر، ولا يَهْدَؤون ولا يَهْنَؤون ...».

وفي هذا السّياقِ جاءَتْ هذه الجُملةُ الاسْميَّة الموجَزَةُ مُعبِّرةً عن هذا المَضمون، مُتآزِرة مع غَيْرِها لنَقْل مَضْمونه إلى المُتلقّي، راميًا الشَّيخُ الطَّنطاويُّ من ورائِهِ إلى غَرْس هذه القِيَم، حتّى في التَّعامُلِ مع غَرائزِ النَّفْسِ البَشريَّة، وأَتى الطَّرَف الأوَّلُ من هذه الجُملةِ كَلمةً اسميَّةً إشاريَّةً، في حين أَتى الطَّرَف الثّاني جُملةً اسميَّة، إذا عَدَدنا الضَّميرَ في صَدْرها مُسنَدًا إليهِ شاغِلًا لمَوقِعِ المُبتَدَأ على رَأيِ البَصريّين، ويَجوزُ جَعْلُه ضَميرَ فَصْل، أو عمادًا على رأْيِ الكوفيّين، مُؤدّيًا لوَظيفةِ التَّوْكيد، ومُقوّيًا لمَضْمونِ الجُملة.

2/3 وإلى أيْنَ الرَّحيلُ؟

وهذا المِثالُ الأوَّلُ وَرَد في مقالٍ للطَّنطاويِّ بعُنوانِ: (عام جَديد) يتحدَّثُ فيه عن مُناسَبةِ أوَّلِ العامِ الهِجريِّ، وما تذكرهُ من مُرورِ السِّنينَ نَتيجَةً لتَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ، خَصمًا على الأعمارِ دونَ أنْ يَنتبهَ النّاسُ لهذا، والتَّرتيبُ الأصْليُّ لهذه الجملةِ هو: (والرحيلُ إلى أين؟)، وتَقدَّمَ شِبْهُ الجُملةِ الشّاغِلِ لمَوقِعِ الخَبرِ على المُبتدَأ عن طريقِ إعادَةِ التَّرتيبِ وهو«من أبرَزِ عناصِرِ التَّحويلِ وأكثَرِها وُضوحًا؛ لأنَّ المُتكلِّم يَعمَدُ إلى مورفيم حَقُّه التَّأْخيرُ –فيما جاءَ عن العرَبِ– فيُقدِّمه، وإلى ما حَقُّه التَّقديمُ فيؤَخِّرهُ؛ طلبًا لإظْهارِ تَرتيبِ المَعاني في النَّفْس» .

3/3 إنَّ العيدَ في حَقيقَتِه عيدُ القَلْب:

هذه الجُملةُ أَتَتْ في مَقالٍ للطَّنطاويِّ عن فَلسفةِ العيدِ، ويقولُ تَتمَّةً لهذه الجُملة: « إنَّ العيدَ في حَقيقتهِ عيدُ القَلْبِ، فإنْ لَم تَمْلأ القُلوبَ المَسرَّةُ، ولَم يَترعْها الرِّضا، ولَم تَعمَّها الفَرحَةُ كان العيدُ مُجرَّدَ رَقْمٍ على (التَّقويم). أين بَهجةُ القَلبِ، وأين مَسرَّةُ النَّفْس، وأين بَهاءُ الأيّامِ؟...». وتوَضِّحُ بَقيَّةُ جُملِ النَّصِّ حالَ الأمَّة في هذا الزَّمان، وما سادَ بين أبنائِها من خِلافٍ وتَخاصُمٍ وتَحارُب.

4/3 رَمضانُ القَديمُ كان يَغْمُرُ أرْجاءَ دِمَشْق كُلَّها... وكان فيه نَصرُ بَدْرٍ

وهذه الجُملةُ من مَقالٍ للكاتِبِ يَحْتَفي فيه بِقُدوم رَمضانَ، ويَسْتهلُّه بقَوْله: « هذا الحَديثُ عن رَمضانَ. وفي رَمضانَ النّورُ والعَطِرُ، وفي رَمضانَ الخَيْر والطُّهْرُ، وفي رَمضانَ الذِّكْرياتُ الكُثُر، ففيهِ نَزلَ الذِّكرُ، وفيهِ لَيلةُ القَدْرِ، وكان فيه نَصرُ بَدْرٍ» .وتَكتَسِبُ هذه الصّياغةُ في التَّرحيبِ برمضانَ، والفَرح بقُدومهِ جمالًا وانْسجامًا لِمُكوِّناتها، بهذا التَّكرارِ الجَذّابِ لِكلمَةِ (رَمضان) في الجُملِ الأوائِلِ، وبإعادَةِ الضَّميرِ عَليها في بَقيَّةِ الجُمَلِ، وقد تَوَسَّط الخَبرُ بيْن الفِعلِ النّاسخِ واسْمِه، وهذا التَّقديمُ للخَبرِ جائِزٌ وَفقًا لأقْوالِ نُحاةِ العَربيَّةِ.وهو تَقديمٌ يَتمُّ اسْتجابَةً لِمتطلّباتِ المَعنى لتَسارُعِ رَمضانَ إلى ذِهنِ الطَّنطاويِّ؛ ولِكونهِ مَحلَّ العِنايةِ والاهْتمامِ.

5/3 يومِضُ شُعاعُ الأملِ من بيْنِ فَرجِ الغَدِ:

هذا المِثالُ من مَقالٍ جَديدٍ في عُنوانِه، مُتكرِّرٍ في مَضْمونه الَّذي يُلِحُّ على الطَّنطاويِّ في عَددٍ من مَقالاتِه في هذا الكِتاب، ويَقتطِفُ الباحِثُ فِقرةً من هذا المَقالِ الَّذي أتى بعُنوان: (بيْن الطَّبيعة والله) تَقول: «ثمَّ رَفعْتُ رَأسي فَجأةً إلى التَّقويم؛ فنَظرتُ فيه، وجَمُدَ بَصري عليه ... أمِنَ المُمكنِ هذا؟ أيَحدُثُ هذا كُلُّه في هُدوءٍ؟ يَموتُ في هذه اللَّيلةِ عامٌ ويولَدُ عامٌ، يَمضي الرّاحِل بذِكْرياتِنا وآلامِنا وآمالِنا إلى حيثُ لا يَعودُ أبدًا، ويُقبِلُ القادِمُ فاتِحًا ذِراعَيْه ليَأخُذ قِطْعةً من نُفوسِنا، وقِسْمًا من حياتِنا، ولا يُعْطينا بَدلًا منهُ شَيْئًا...؟» .

وقد أتَتْ هذه الجُملةُ مُرتَّبةً على الأصْلِ بتَقديمِ الفِعلِ على الفاعِلِ، وتَأخُّرِ المُكمِّلِ عنهما، وأسهمَتْ الصِّيَغُ الصَّرفيَّة، والوَحداتُ الصَّوتيَّة في تَجسيدِ المَعنى الَّذي أرادَ الكاتِبُ إيصالَ مَضمونِه إلى المُتلَقّي، ليَتأمَّلَ حَقيقةَ الحَياةِ وتَوالي اللَّيلِ والنَّهارِ فيها، وتَعاقُبِ الأعوامِ عامًا بعْدَ آخَر.

6/3 وتَرقُّبُ دُخولَه ضاحِكًا مَرحًا:

وهذه الجُملةُ من مَقالٍ بعُنوان: (في اللَّيل)، يَرسمُ فيهِ خَيالُ الطَّنطاويِّ المُنْطلِق، ونَفْسهُ المُتأمِّلَةُ صوَرًا شَتّى لِما دارَ في خاطِرِه في لَيلِه المُؤرِّق، ومن بَينِها ما وَقعَ بيْنَ زَوجينِ مُتنافِرَين لا يَعذِرُ أحدُهما الآخَرَ: « وأنَّ الزَّوجةَ كانَت تَنتظرُه، وقد أَناخَ عليها الأمَلُ، وتَرقُّبُ دُخولَه ضاحِكًا مَرحًا، فلَمّا رَأتْه مُربَدَّ الوَجْه، خابَ أمَلُها ؛ فتَألَّمتْ وأَعْرضَتْ... ».

والَّذي سَوَّغ هذَين التَّغييرَين وُجودَ ما يُشيرُ إليهما، وتَعاضَدَتِ الصِّيَغُ الصَّرفيَّةُ مُسْهِمةً في تَمكينِ الكاتِبِ من رَسْمِ هذه الصّورةِ الَّتي حَلَّت على خاطِرِه مع غيرها في لَيلِه المُثْقلِ بالسَّهَرِ والأرَق.

7/3 فهيَ شِفاؤهُ وهِيَ داؤهُ وهِيَ نَعيمُهُ وهِيَ شَقاؤهُ:

يَقولُ الطَّنطاويُّ في الفِقرةِ الَّتي منها هذا المِثالُ، عن تَعلُّقِ المُحبِّ بحِبِّه رَغمَ صُدودِه: «تُؤرِّقُه ويَرجو لَها طيبَ المَنام، وتُشْقِمه ويَرجو لها البُعدَ عن الأسْقام، يَعتَذِرُ عن ذَنْبِها وهي المُذْنِبةُ، ويَبكي عن حُبِّها وهو القَتيلُ؛ فهِيَ شِفاؤهُ وهِيَ داؤهُ، وهِيَ نَعيمُه وهِيَ شَقاؤهُ... ».

ويُلاحَظُ تَوالي هذه الجُملِ الأربعِ البَسيطَةِ المُكوِّنةِ لهذه الجُملةِ المُركَّبةِ، مَختومَةً بهذا الضَّميرِ الَّذي أكْسَبها جَمالًا، وكَساها انْسِجامًا صَوْتيًّا، والضَّميرُ حَلَّ مَحلَّ الكَلِمةِ الاسْميَّة (المُحبّ) بناءً على قاعِدةِ التَّحويل بالاسْتِبدال. وجاءَ طَرَفا هذه الجُملةِ المُركَّبةِ مُتَجانِسَيْن، مِن حيْثُ الاسْميَّةُ، والإخبارُ، والإثباتُ. وأتى العَطْفُ، مُناسِبًا للسّياقِ؛ ليَتمكَّنَ الطَّنطاويُّ من التَّعبيرِ عن رِسالتِهِ اللُّغويَّة إلى المُخاطَبِ في شأنِ الحُبِّ، وعَلاقَةِ المُحبّين.

8/3 كانَتِ المَساجِدُ مُمْتلِئَةً والدُّروسُ فيها حافِلَةٌ

أتَتْ هذه الجُملةُ المَوسَّعةُ بـ(كان) مُرتَّبةً على الأصْلِ، وهِيَ من مَقالٍ بعُنوان: (وَقْفةٌ على طَلَلٍ) يَجْترُّ فيه الطَّنطاويُّ ذِكْرياتِ الطُّفولةِ والشَّبابِ في دِمشْق، ويُقارِنُ بيْن تلك الفَتْرةِ وما آلَ إليه الحالُ في النَّواحي كافَّةً. يقول: « ما كان في دِمَشْق شَيءٌ من مَظاهِرِ هذه الحَضارَةِ النّافِعةِ، وما كان فيها كذلِكَ شيئٌ شَيءٌ من أَوْضارِها ولا أَضْرارِها... وكانَتِ المساجِدُ مُمْتلِئَةً بالمُصلّينَ... ».

المصادر والماجع:

- شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، المكتب العصرية للطباعة والنشر، بيروت 1409هـ.
- صور وخواطر، لعليّ للطّنطاويّ، دار المسرة، دار المنارة للنشر والتوزيع 1408هـ.
- عليّ الطّنطاويّ: كان يوم كنت: صناعة الفقه والأدب،لأحمد بن علي آل مريع، مكتبة العبيكان، الرياض 1427هـ.
- في نحو اللّغة وتراكيبها، لخليل أحمد عمايرة، مؤسسة القرآن، عمان 1410هـ- 1990م.
- موسوعة ويكيبيديا الحرّة (على شبكة الإنترنت).

(تُماضِرُ بنتُ عَمْرٍو السُّلَمِيّةُ)

الخَنْسَاء.. أشْعَرُ شَواعِرِ العَرَبِ

لقد فَازَ بَنُو الشّرِيدِ – من قبيلةِ عُصَيَّةَ - بالشُّعراء المُجيدين للشّعرِ؛ وهمُ الخنساءُ وأخَواهَا صخرٌ ومعاويةُ؛ لأنّهم كلّهم شعراءُ، وإنِ اشتهرت به الخنساءُ.

قال ابنُ عبدِ البَرّ: قَدمتِ الخنساءُ على رَسُول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مع قومِها من بني سُلَيم فأسلمت معهم، فذكروا أنّ رسُولَ اللّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ كانَ يَسْتنشدُها ويُعجبُه شِعرُها، فكانت تُنشدُه، وهو يقول: "هيه يَا خناسُ"، ويومي بيده... قال: وأجمع أهلُ العلم بالشّعر أنه لم تكن امرأةٌ قط قبلهَا ولا بعدَها أشعرَ منها. [الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج4/ ص: 327].

د. أحمد اقمد
باحث

والخنساءُ هي: تُماضر بنتُ عمرو بنِ الحارث بن الشّريدِ بن رياحِ بن يقظةَ بنِ عصيّةَ [...] بنِ قيسِ عيلان بن مُضر. وقد جاء في ديوانها أنّ النّبي صلَّى اللهُ عليه وسلم قال: (إنّ لكلّ قوم حرزًا؛ وإنّ حرزَ العرب قيسُ "بنُ عيلان"). وكان أيضًا يفتخرُ ويقول: « أنا ابنُ العَوَاتك من سُليم». وفيهم شرفٌ وخيرٌ كثير. والشّريدُ بيتُ سُلَيْم في الجاهلية؛ وإنّما سُمّي شريدًا لأنّه قُتل إخوتُه فبقي وحدَه فسُمّي الشّريد.

وهي صحابيةٌ جليلةٌ، عاشت في الجاهلية ثمّ أسلمت وحسُنَ إسلامُها، وهي منَ المُخضرمين.

بين عائشةَ والخنساءِ

جاء في الحديث أنّه صلى الله عليه وسلم سمِع عائشةَ تذكر اليُرنَّا – وهي الحِنّاءُ – فقال لها: «ممن سمعتِ هذه اللّفظةَ»؟ فقالت: من الخنساء.

ويَروي ابنُ عبد ربّه في العقد الفريد قصّةَ «صدارٍ» كانت الخنساء تلبسُه قائلًا: دخلتِ الخنساءُ على عائشةَ أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعليها صدارٌ من شَعَر قد لبستْهُ؛ فقالت لها: ما هذا يا خنساءُ؟ فقالت: إنّ له معنى دعاني إلى لباسِه؛ وذلك أنّ أبي زوّجني سيّدَ قومِه، وكان رجلًا مِتلافًا، فأسرفَ في مالِه حتى أنفدَه، ثم رجعَ في مالي فأنفدَه أيضًا، ثم التفت إليّ فقال: إلى أين يا خنساءُ؟ قلتُ: إلى أخي صخرٍ. قالت: فأتيناه فقسمَ مالَه شطْرين، ثم خيّرنا في أحسن الشّطرين، فرجعنا من عنده، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعَه، ثم التفت إليّ فقال لي: إلى أين يا خنساءُ؟ قلت: إلى أخي صخرٍ! قالت: فرحلنا إليه، ثمّ قسم مالَه شطْرين وخيّرنا في أفضل الشّطْرين، فقالت له زوجتُه: أما ترضى أن تشاطرَهم مالَك حتى تخيّرَهم بين الشّطْرين؟ فقال:

وَاللهِ لَا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا
فَلَوْ هَلَكْتُ قَدَّدَتْ خِمَارَهَا
وَاتَّخَذَتْ مِنْ شَعَرٍ صِدَارَه
وَهْيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَتْنِي عَارَهَا
فآليتُ ألاّ يفارقَ الصِّدارُ جَسدي ما بقيت

ذِكْرُ الخنساءِ وأخويْها: صخرٍ ومعاويةَ

لقد كان للخنساءِ أخوانِ كريمانِ هما: معاويةُ وصخرٌ، أمّا معاويةُ فهو أخوها للأب والأمّ، وكان من فتيان سُلَيم وفُرسانِهم، وقد قتله هشامُ بنُ حرملة الفزاريُّ، ورثَتْه أختُه الخنساءُ بقولِها:

أَلا لا أَرى في النَّاسِ مِثْلَ مُعاوِيَهْ
إِذا طَرَقَتْ إِحْدى اللَّيالِي بِداهِيَهْ

بِداهِيَةٍ يُضْغي الكِلابَ حَسِيسُها
وَتَخْرُجُ مِنْ سِرِّ النَّجِيِّ عَلانِيَهْ

فَأَقْسَمْتُ لا يَنْفَكُّ دَمْعِي وَعَوْلَتِي
عَلَيْكَ بِحُزْنٍ ما دَعا اللهَ داعِيَهْ

ومن شعرها فيه أيضًا :

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكِ أَوْ أَفِيقِي
وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتِ وَلَنْ تُطِيقِي

وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
وَفارِسَهُمْ بِصَحْراءِ العَقِيقِ

أَلا هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنا اللَّيالِي
وَأَيّامٌ لَنا بِلِوَى الشَّقِيقِ

وَإِذْ فِينا فَوارِسُ كُلِّ هَيْجا
إِذا فَزِعُوا وَفِتْيانُ الخُرُوقِ

وَإِذْ فِينا مُعاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو
عَلى أَدْماءَ كَالْجَمَلِ الفَنِيقِ

فَبَكِّيهِ فَقَدْ وَلَّى حَمِيدًا
أَصِيلَ الرَّأْيِ مَحْمُودَ الصَّدِيقِ

فَلا وَاللهِ لا تَنْساكَ نَفْسِي
لِفاحِشَةٍ أَتَيْتَ وَلا عُقُوقِ

وَلَكِنِّي وَجَدْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا
مِنَ النَّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الحَلِيقِ

وأمّا أخوها صخرُ بنُ عمرو؛ فقد كان فارسًا جوادًا مِغوارًا شُجاعًا، أغار على هُذيل مرارًا وقتلَ منهم قتلَى، فلما كان ذات يوم أغارَ عليهم آخرَ النّهار فكمَنوا له حيث لا يَظنُّهم، فمرَّ بالكَمين فطعنَه رجلٌ في صدره فجُرحَ؛ فلم يزلِ الجرحُ يُعَالَجُ إلى أن نبتَ فيه مثلُ اليدِ فَأَعْيَا الأطبّاءَ. فلما يُئِسَ منه وقفَ رجلٌ على زوجته فقال: كيف صخرٌ؟ فقالت: لا حيٌّ فيُرجى ولا ميّت فيُريحُ، وهو يسمعُ، فأنشأ يقولُ:

أَرى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيادَتِي
وَمَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعِي وَمَكانِي

فَأَيُّ امْرِئٍ ساوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً
فَلا عاشَ إِلّا في شَقًا وَهَوانِ

ومات قبلَ الإسلام، ويقال إنّه أخ الخنساء لأبيها، وأمّا معاويةُ فشقيقُها. وكان أبوهُما عمرو بنُ الشّريد – كما في الشعر والشعراء لابن قُتيبة – يُمسكُ بيدَي ابنَيْه صخرٍ ومعاويةَ في الموسم ويقول: أنا أبو خَيْرَيْ مُضر، ومن أبى ذلك فلْيُنافِرني، ولم يُنكرْ أحدٌ عليه.

وقد رثتِ الخنساءُ صخرًا بقصائدَ من عيون المراثي العربية، منها:

قَذًى بِعَيْنِكِ أَمْ بِالعَيْنِ عُوّارُ
أَمْ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِها الدّارُ

وهذا مطلعُ قصيدتِها الرّائيَّةِ في صخرٍ، ومن أبياتِها:

وَإنَّ صَخْرًا لَتأْتَمُّ الهُداةُ بِه
كَأنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وَإنَّ صَخْرًا لَوالِينَا وَسَيِّدُنَا
وَإنَّ صَخْرًا إذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ

ومما قالت في رثائِه أيضًا:

أَعَيْنَيَّ جُودا وَلا تَجْمُدَا
أَلا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

أَلا تَبْكِيَانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ
أَلا تَبْكِيَانِ الفَتَى السَّيِّدَا

طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعَ العِمَا
دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

يُكَلِّفُهُ القَوْمُ مَا عَالَهُمْ
وَإنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

تَرَى الحَمْدَ يَهْوِي إلَى بَيْتِه
يَرَى أَفْضَلَ الكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وقد كان صخرٌ أحبَّ إليها من معاوية؛ لأنه كان حليمًا جوادًا محبّبًا في العشيرة، وكان مقتلُ معاويةَ قبلَ مقتلِ صخرٍ فكانتِ الخنساءُ تندبُه، فلمّا أصيب صخرٌ نسيت به ما كان قبلَه من مُصاب معاوية.

وفي العِقدِ الفريدِ أنّه قيل للخنساء: صِفي لنا أخوَيْكِ صخرًا ومعاويةَ. فقالت: كان صخرٌ والله جُنّةَ الزّمانِ الأغبرِ، وكان والله معاويةُ القائلَ والفاعلَ. قيل لها: فأيُّهما كان أسنَى وأفخرَ، قالت: أمّا صخرٌ فحرُّ الشّتاءِ، وأمّا معاويةُ فبردُ الهواءِ. قيل لها: فأيُّهما أوجعُ وأفجعُ. قالت: أمّا صخرٌ فجمْرُ الكبدِ، وأمّا معاويةُ فسقامُ الجسدِ! وأنشأتْ:

أَسَدَانِ مُحْمَرَا المَخَالِبِ نَجْدَةً
بَحْرَانِ فِي الزَّمَنِ الغَضُوبِ الأَنْمَرِ

قَمَرَانِ فِي النَّادِي رَفِيعَا مَحْتِدٍ
فِي المَجْدِ فَرْعَا سُؤْدُدٍ مُتَخَيَّرِ

بينَ الخنساءِ ودُريدِ بن الصِّمّة

تروي كتبُ الأدبِ أنّه مرّ بها دريدُ بنُ الصِّمّةِ وهي تهنأُ بعيرًا لها – أي تَطْليهِ بالهِناءِ وهو القَطِرانُ- فقال فيها:

حَيُّوا تُمَاضِرَ وَارْبَعُوا صَحْبِي
وَقِفُوا فَإنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِي

أَخُنَاسُ قَدْ هَامَ الفُؤَادُ بِكُمْ
وَأَصَابَهُ تَبَلٌ مِنَ الحُبِّ

ثمّ خطبَها فبعثتْ جاريتَها تنظرُ في بَولِه هل يثيرُ أو يقعرُ؟ فأتتها فقالت: بل يثيرُ، فردّتْه، فهجاها. فقيل لها: هلا هجوْتِه؟ فقالت: ما كنت لأجمعَ عليه الرّدَّ والهجوَ، ثم هجتْهُ بعد ذلك.

ختامًا؛ رحم الله تُماضرَ بنتَ عمرو السُّلَميّةَ "الخنساء" علَمًا، فقد مثّلتِ المرأةَ العربيّةَ المسلمةَ أحسنَ تمثيلٍ أدبًا وشعرًا، وصبرًا ووفاءً وعِفّةً.

أَدَبٌ ونَقَدٌ

- العُنْوَانُ: عَتبةٌ أم نصٌّ مُوازٍ
- بُكَائِيّةُ مَالِكِ بنِ الرَّيبِ في رثاءِ نفْسِه
- تَحْلِيلُ قَصِيدَةِ عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ
- خُلاصة الوَفا في مَعاني مدحِ المُصطَفى

العُنْوَانُ: عَتبةٌ أم نصٌّ مُوازٍ

تقومُ عمليّةُ تلقّي النُّصوصِ على ثلاثةِ عناصرَ أساسيّةٍ، وهي: المُبدعُ ـ النّصُّ ـ القارئُ، وهي عمليّةٌ تسمحُ بتبنّي إستراتيجيّةٍ قرائيّةٍ في مَسْعى لفهمِ النَّصّياتِ وتفكيكِها وتأويلِها. وحيثما وُجِدَ أُفقٌ فثمّةَ بِنياتٌ لُغويّةٌ ودلاليّةٌ كُبرى، تقابلُها أيضًا وتتقاطعُ معها، بِنياتٌ لُغويّةٌ ودَلاليّةٌ صُغرى، وهو ما يُعطي للنّصِّ هُويةً، أو لنقلْ، بداءةَ هويّاتٍ/ عناوينَ يُعرفُ بها وتُعرفُ به في شكلٍ تقابُليٍّ دلاليٍّ تداوُليٍّ.

د. رشيد الخديري
باحث/ المغرب

1. العنوانُ مَدخلًا قرائيًا

إنّ النَّصَّ باعتبارِه نسيجًا منَ البُنى والدّلالاتِ والأَسْيِجَةِ، فهو يحتاجُ إلى مداخلَ قرائيّةٍ لا تميّزُ بين المتنِ والنُّصوصِ العَتبيَّة، ونتَقَصَّدُ بها ها هنا، تلك المُوازياتِ النّصّيةَ التي تَتَكوَّنُ خارجَ النَّصِّ /المتنِ، فهي إلى ذلك تَتَعَيَّنُ بوصْفِها «نظاما إشاريًّا ومعـــــرفيًّا لا يقلُّ أهمّيَّةً عنِ المتنِ الذي يَخفرُه أو يحيطُ به، بل إنّه يُؤَدِّي دورًا هامّا في نوعـــــــــيّةِ القراءةِ وتوجـــــيهِها» بتعبيرِ الباحثِ المغربيِّ عبد الرّزّاق بلال، ومن أهمِّ هذه العتباتِ النَّصّيّةِ: المكوِّنُ العُنوانيُّ، فهو دالٌّ اختزاليٌّ، وعنصرٌ أساسيٌّ في أيِّ عمليّةٍ قرائيّةٍ، وليس مجرَّدَ تشكيلٍ زُخرفيٍّ يُزَيِّنُ ويُطَرِّزُ أغلفةَ الكُتبِ، مثلَ أيِّ واجهةٍ تجاريةٍ، فالعَنْوَنَةُ لم تعُدْ مُقتصرةً على مجالِ الأدبِ، فقد أضحتْ في عالَمِنا المعاصرِ المتسارعِ، دالًّا كبيرًا في العمليّةِ التّواصُليّةِ التّداوُليّةِ، في الخطاباتِ، في الحياةِ اليوميّةِ، وفي حياةِ النّاسِ، والحياةِ العمليّةِ، وواجهاتِ المحلّاتِ التّجاريّةِ، والسّلعِ والمُؤسّساتِ والشّوارعِ والمنازلِ وغيرِها، وهذا مُؤشّرٌ على أنَّ العناوينَ علاماتٌ دالَّةٌ وهُوياتٌ تنطقُ بأسماءِ حامليها وَوظائفِهِمْ.

وغنيٌّ عنِ البيانِ، أنَّ الثّقافةَ العربيّةَ منذُ القديمِ إلى وقتِنا الرّاهنِ، قد أولتِ العنوانَ اهْتمامًا كبيرًا، فهو يَستقي معناه "من وظيفتِه؛ لأنّ عنوانَ الشّيءِ دليلُه ووضْعُه أن يكونَ في بدايةِ المصنَّفِ؛ لأنه خيرُ مَن يُساعدُنا في كشفِ غرضِ المُؤلّفِ، إذ كثيرًا ما يحملُنا إلى العلْمِ المصنّفِ به.. وقديمًا قيل إنَّ العنوانَ مُشتقٌّ منَ العنايةِ؛ لأنَّ الكتبَ قديمًا كانت لا تُطبعُ، فلما طُبعت وعُنونتْ جعلَ القائلُ يقول: من عنَّى بهذا الكتابِ؟ ولقد عنَّى كتابَه. وقد جرتِ العادةُ في التّأليفِ القديمِ أن تتغلَّب عناوينُ مؤلَّفاتِ العلماءِ على أسمائِهم، أي أنَّ العالِمَ أشهرُ ما يكونُ بمصنّفاتِه ممّا سوى ذلك"، وهو أيضًا، "السّيرةُ المكثّفةُ التي يعيشُها النّصُّ في عالَمِ الورقةِ"، وهو إلى ذلك، كما يُشيرُ النّاقدُ المغربيُّ محمد مفتاح في كتابِه "ديناميةُ النَّص":" يَمدُّنا بزادٍ ثمينٍ لتفكيكِ النّصّ، ونقول هنا: أنه يُقَدِّمُ لنا معونةً كبرَى لضبْطِ انسجامِ النّصِّ وفهمِ ما غمُضَ منه، إذ هو المِحورُ الذي ينمو ويتوالدُ ويتنامَى ويعيدُ إنتاجَ نفسِه"(4)، ومن ثمّ، يصيرُ العنوانُ كاشفًا لأسرارِ النَّصيّاتِ، ووسيطًا مهمًّا في بناءِ إستراتيجيّةٍ قرائيّةٍ لا تميّزُ بين الهامشِ والمركزِ، وتوجيهِ القارئِ/المُتلقّي نحوَ إيجادِ منافذَ جديدةٍ للقراءةِ والفهمِ والتّأويلِ، ذلك أنّه "أضْحَى وسيطًا إجرائيًّا، نقديًا، أساسيًّا في توجيه القارئِ نحو أُفقِ التّوقُّعِ والتّأويلِ". معنى ما تقدّمَ: أنَّ المُكوِّنَ العُنوانيَّ في الثّقافةِ العربيّةِ، يَتَّخِذُ منازلَ عدّةً، تبعًا لمدلولاتِه ووظائفِه وأبعادِه، فهو عند

القُدامَى، يعني الكشْفَ عنِ البواطنِ، وإظهارِ الخفيِّ، والعنايةَ والتّوسيمَ والتَّصنيفَ والتّجنيسَ والتَّعيينَ والإغراءَ، بالإضافةِ إلى كَوْنِهِ يُمَثِّلُ دَوْرَ الوسيطِ بين المتنِ والقارئِ، إلى غيرِ ذلك، ومع تَطوُّرِ النَّظريّاتِ النّقديّةِ في العصْرِ الحديثِ، خصوصًا نظرياتِ التّلقّي، تطوَّرتْ آلياتُ قراءةِ النّصوصِ المُوازيةِ وفهْمِها بشكلٍ عامٍّ، والعناوينِ بشكلٍ أخصّ.

يرى جيرار جينيت أنَّ العنوانَ هو: "مجموعةٌ مِنَ العلاماتِ اللّسانيّةِ"، وهي إشارةٌ إلى أنَّ العَنْوَنَةَ تَنْطَوي على بِنيةٍ لُغويّةٍ إحاليّةٍ، وتُضْمِرُ بعدًا لِسانيًّا تداوُليًّا في عمليّةِ بناءِ الخطابِ وقراءتِه بالتّوازي مع النَّصِّ المَركزيِّ، ورغمَ أنَّ "العنوانَ بِنيةٌ لُغويّةٌ مستقلّةٌ بذاتِها، من حيث كونُها مُنفصِلةً خطّيًّا عنِ النّصِّ، وبما أنّها كذلك فيُمكنُ مقاربتُها مُعجميًّا، ونحويًّا، وصرْفيًّا، وبَلاغيًّا، ودلاليًّا من طرفِ المُتلقّي الدّارسِ الذي يَمتلكُ أجهزةً قرائيّةً عالمةً، تَسْتندُ إلى ذخيرتِه اللّغويّةِ، والنّحويّةِ، والاستدلاليّةِ، والتّناصّيةِ"، كما تنبَّهَ إلى ذلك النّاقدُ محمّد بازي، ومن ثمَّ، فالعناوينُ تَكتسي أهمّيةً بالغةً في أيِّ عملٍ إبداعيٍّ، خصوصًا أنّه إشارةٌ وجبَ التّوقّفُ عندَها بالدّرسِ والتّحليلِ، بيْدَ أنَّ وضْعَ العناوينِ ليس بتلك السُّهولةِ التي يَتَخَيَّلُها البعضُ، بل هي تشكيلٌ يَستدْعِي الكثيرَ مِنَ التّأمّلِ والفحْصِ والتَّقصّي، لذلك، نلاحظُ أنّنا حين نُطالعُ مجموعةً مِنَ المُؤلّفاتِ والكتُبِ والدّراساتِ والمقالاتِ، نُلْفي أنَّ ثمّةَ بَوْنًا شاسعًا بين المتْنِ باعتبارِه النّواةَ الأساسَ، والعُنوانِ، وهذا مُؤشِّرٌ على انعدامِ التّفكيرِ الرّصينِ والدّقيقِ في وضْعِ المُكوّنِ العُنوانيِّ وموضعَتِه الموضعَ المناسبَ فلا يُعقلُ أنْ تُقْرَأَ قصيدةٌ شعريّةٌ أو مقالةٌ أو نصٌّ روائيٌّ دُونَ العودةِ إلى العُنوانِ.

د . أحمد مختار عمر

دوسوسير

2. العُنوانُ علامةٌ لِسانيّةٌ

يقولُ الباحثُ محمّد بازي: "قد يَعتبرُ البعضُ أنَّ العُنوانَ دليلٌ أبيضُ فارغٌ، ومن ثمّةَ لا يجبُ إعطاؤه أهمّيَّةً قُصْوى، وقد يحتجُّ البعضُ الآخرُ قائلًا: إنَّ العناوينَ ليست كذلك، وإنّما هي أدلّةٌ وراءَها مقاصدُ، ولها وظائفُ تَحديديّةٌ، أو وصْفيّةٌ، أو تلخيصيّةٌ، أو إغرائيّةٌ، أو غيرُ ذلك، وهي اختزالاتٌ لبنياتٍ دلاليّةٍ مُوسّعةٍ، تقولُ أشياءَ وتُوحي بأخرى، ولا يُمكنُ أن نُجازفَ فنقولَ بأنّها مجرّدُ علاماتٍ شكليّةٍ فارغةٍ"، وأعتقدُ أنَّ العُنوانَ علامةٌ، وليس مُجرّدَ فراغٍ، أو شيئًا عابرًا، فبقدْرِ ما نُشَدُّ إلى المتنِ ونَميلُ إلى قراءتِه بشغَفٍ، نَلفتُ عنايتَنا واهتمامَنا بالعُنوانِ، فالتّكاملُ بين الهامشيِّ والمركزيِّ في أيِّ نصٍّ أو دراسةٍ أو كتابٍ، تُعينُنا في التّوصّلِ إلى منافذَ قرائيةٍ جديدةٍ وتُحرّضُ المُتلقّيَ/ القارئَ على التّوغّلِ بين طيّاتِ المتنِ من أجلِ اكتشافِ شواردِه وأسرارِه، وهي كلُّها مُؤشّراتٌ تَشي بدرجاتِ الوعْيِ المُتحقّقِ بين النّصِّ والقارئِ، وبناءً عليه، فإنَّ العنوانَ كما أكّدَ ذلك النّاقد بنعيسى بوحمالة "بقدْرِ ما يضعُ بين يدي القراءةِ مُعطيَاتٍ لا تخفَى أهمّيتُها في إطارِ التّعرّفِ على النّصِّ والتقاطِ العديدِ من جُزئياتِه وشواردِه، قد يكونُ أحيانًا عاملَ تعْتيمٍ على بعضِ الأمورِ أو القفْزِ عليها"، وسواءٌ اختلفْنا أو اتّفقْنا، يبقَى المُكوّنُ العُنوانيُّ علامةً فارقةً ومائزةً في أيِّ إنتاجٍ أدبيٍّ أو نقديٍّ، لكونِه يُؤَلِّفُ مَدْخَلًا مُهمًّا مِنْ مَداخلَ عديدةٍ في عالَمِ الكتابةِ والإبداعِ.

بُكَائِيّةُ مَالِكِ بنِ الرَّيبِ في رثاءِ نفْسِه

يُعَدُّ مالكُ بنُ الرَّيْبِ التَّميميُّ من أشهرِ الشُّعراءِ الصَّعاليكِ المُسلمين، ونسبُه هو: «مالكُ بنُ الرّيبِ بنِ حوط بنِ قوط بنِ حسل بنِ ربيعةَ بنِ كابيةَ بنِ حرقوص بنِ مازنِ بنِ عمرو بنِ تميم» ، وقد وُلد في باديةِ تميم بالبَصرة وبها ترَعْرعَ، ويُكَنَّى بأبي عُقبةَ. ولا تقدّمُ لنا الكتبُ التي وثّقتْ ترجمتَه أيّةَ معلوماتٍ عن حياته. وأشار الدّكتورُ حسينُ عطوان إلى هذه المسألة، ولِيتجاوزَ هذا الفراغَ المعرفيَّ، قدّمَ تقسيمًا مُهمًّا لحياةِ الشّاعرِ بناءً على ما سجَّلَه في شِعره، حيث قسّمَها إلى مَرحلتَين: "مرحلةُ التّصعلُكِ والتّلصُّص، ومرحلةُ التّوبةِ والصّلاحِ والجهادِ في سبيلِ الله، أمّا في المرحلةِ الأُولى فيبدُو أنّه عاش حياةً كلُّها كفافٌ وشظفٌ، كما كان يرى أنَّ الحُكّامَ الأمويّين هم مصدرُ شقائه وافتقاره، وأنّهم كانوا يُريدون له أن يذلّ ويَستسيغَ الهَوانَ، ممّا أوْغرَ صدْرَه عليهم، وأغراه بالعِصيانِ والثّورةِ ضِدَّهم» .

د. كريم الطيبي
أستاذ محاضر، جامعة محمد الأول/ المغرب

إنَّ وُغولَ ابنِ الرَّيبِ في صحاري الصّعلَكةِ وجبالِها مردُّه إلى جملةِ أسبابٍ، منها ما هو سياسيٌّ، إذ إنَّ العصرَ الأُمويَّ الذي جَايَلَهُ الشّاعرُ هو عصْرُ تَشتُّتٍ طَائِفيٍّ وانقسامٍ حزبيٍّ بامتيازٍ، فانتشرَ الظّلمُ والاقتتالُ، وعمّتِ الفتنةُ والفسادُ، ممَّا هيّجَ مشاعرَ الصّعاليكِ وجعلَهم يَتحوّلون إلى كائناتٍ بشريّةٍ يملؤُها الحقدُ والعنفُ والكرهُ والانتقامُ. ولا شكَّ أنَّ العاملَ السّياسيَّ له تأثيرٌ مُزدوجٌ على الحياةِ الاجتماعيّةِ وكذا الاقتصاديّةِ، فتردّي الوضْعِ السّياسيِّ في الدّولةِ الأُمويّةِ انعكسَ عَلَيْهِ تراجعٌ في الحياةِ المادّيّةِ، حيث حصلتِ اختلالاتٌ فِجَّةٌ في بيت المالِ، لاستنزافِ أموالِ المُسلمين فيما لا ينفعُ، فَسَادَ البؤسُ وعمَّ الفقرُ، فكان، والحالُ هذه، منَ الصّعاليكِ أنِ اختاروا منهجَ اللُّصوصيّةِ والإغارةِ لضمانِ عيْشِهم. لقد كانت هذه الدّوافعُ وراءَ توجيهِ ابنِ الرّيبِ حياتَه إلى الصّعلكةِ، غيرَ أنّه كان يمتازُ بخصائصَ فريدةٍ ميّزتْهُ عن باقِي الصّعاليكِ، فقد كان صُعلوكًا قويًّا وفارسًا شُجاعًا، وقد سجّلَ هذه الصّفاتِ في يائِيَّتِهِ التي نحن بصدَدِ الاشتغالِ بِهَا والتي يُوثّقُ فيها حدَثَ اقترابِ وفاتِه الذي جعلَه يَرثِي لحالِه ويندبُ حياتَه.

1 - في الرِّثاءِ:

تكادُ المعاجمُ القديمةُ تُجمعُ على أنَّ كلمةَ «رثَى» تعني البُكاءَ على الميّتِ والنُّواحَ عليه؛ حيث نجدُ ـ مثلا ـ في لسانِ العربِ: «رثى فلان فلانًا يَرثيه رثْيًا ومرثيةً، إذا أبكاهُ بَعْدَ موته، فإنْ مدحه بعد موته قيل: رثاه يُرثِّيه ترثيةً، ورثيتُ الميتَ رثْيًا ورثاءً ومَرثاة ومَرثية، ورثيتُه: مدحته بعد الموت وبكيتُه ورثوتُ الميت أيضًا إذا بكيتُه وعَدَّدْتُ محاسنَه. وكذلك إذا نظمتَ فيه شعرًا». والمعنى نفسُه نجدُه في «القاموس المحيط»: «رثيتُ الميتَ رثْيًا ورِثاءً ورثايةً، بكسرِهما، ومَرثاة

ومرثية، ورثوته: بكيته، وعددت محاسنه كرثيته تَرْثِيَةً، وترثّيته: نظمتُ فيه شعرًا» .

أمّا فيما يخصُّ المفهومَ الاصطلاحيَّ، فالرّثاءُ يعدُّ فنًّا من فنون القولِ الشِّعريِّ، إنّه غرَضٌ منَ الأغراضِ الشِّعريّةِ العربيّةِ التي برزتْ في الشّعرِ الجاهليِّ وعُرف منذ ذلك الوقتِ إلى الآن على أنّه ذكرٌ لمحاسنِ الميتِ وإظهارُ الحزنِ والولْوَلةِ والتّفجّعِ لفُقدانه. وكان الشِّعرُ في المَراثي «إنّما يُقالُ على الوفاءِ، فيقضِي الشّاعرُ قولَه بقولِه حقوقًا سلفتْ، أو على السّجيّةِ إذا كان الشّاعرُ قد فُجِعَ ببعضِ أهلِه، أمّا أن يقالَ على الرّغبةِ فلا؛ لأنَّ العربَ التزمُوا في ذلك مذهبًا واحدًا، وهو ذكرُ ما يدلُّ على أنَّ الميتَ قد ماتَ، فيَجمَعُون بين التّفجُّعِ والحسْرةِ والأسفِ والتّلهُّفِ والاستعظام، ثمّ يَذكرونَ صِفاتِ المدْحِ مُبلّلةً بالدّموعِ حتى قال قدامةُ: إنّه ليس بين المَرثيَةِ والمِدْحَةِ فصْلٌ إلّا أن يُذكرَ في اللّفظِ ما يدلُّ على أنّه لِهالكٍ، ومن أجلِ ذلك لم يتبسّطُوا في معانِي الرّثاءِ والفجيعةِ منَ الموجوداتِ وما يتبعُ ذلك من درسِ العواطفِ المُحزنةِ والبحثِ عن أماكنِ الألمِ في نفسِ الإنسانِ» . والغرَضُ من هذا الرّثاءِ كما أكّدَ ابنُ رشيقٍ "أن يكونَ ظاهرَ التّفجُّعِ، بيّنَ الحسْرةِ، مخلوطًا بالتّلهُّفِ والأسفِ والاستعظامِ" .

> **فالرّثاءُ يعدُّ فنًّا من فنون القولِ الشِّعريِّ، إنّه غرَضٌ منَ الأغراضِ الشِّعريّةِ العربيّةِ التي برزتْ في الشّعرِ الجاهليِّ وعُرف منذ ذلك الوقتِ إلى الآن**

وإذا تأمّلْنا مفهومَ الرّثاءِ عندَ شوقي ضيف، نجدُ أنّه يتّخذُ ثلاثةَ أشكالٍ: «النّدبَ والتّأبينَ والعزاءَ» .

وقدِ انبثقَ من فنِّ الرّثاءِ اتّجاهٌ آخرُ هو فنُّ رثاءِ الذّاتِ، وهو الذي يَرثِي فيه الشّاعرُ نفسَه قُبَيْلَ موتِه، فيذكرُ في قصيدتِه مُغامراتِه وأُمنياتِه وتأمّلاتِه في الحياة والموت، بحيث تُعَدُّ القصيدةُ «وعاءً لأحاسيسَ مُرهفةٍ وصادقةٍ وقويّةٍ ليس وراءَها غيرُ الشّاعرِ نفسِه». وهكذا فإنّ رثاءَ الذّاتِ يعتمدُ على مُعايَشةِ الشّاعرِ الموتَ الحقيقيَّ ويَبنِي تجربةً فرديّةً شِعريّةً يُصوّرُ فيها آمالَه وآلامَه وفلسفتَه للحياةِ ويُعيدُ إحياءَ ماضِيه وبطولاتِه ومغامراتِه.

وتندرجُ يائيةُ مالكِ بنِ الرّيْبِ ضمْنَ هذا الإطارِ؛ إذ إنَّ الشّاعرَ يَرثي نفسَه قُبيْلَ موتِه، وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ مسألةَ موتِه اختلفَ فيها الباحثونَ، وأُذيعتْ حولَها ثلاثُ رواياتٍ؛ أمّا الأولى فهي قولُهم إنّه «مات وهو بِخانٍ فرثَتْه الجنُّ لمّا رأت غُربتَه ووحدتَه، ووضعتِ الصّحيفةَ التي فيها القصيدةُ اليائيَّةُ تحت رأسِه» ، وهي روايةٌ لا نشكُّ في بُطلانِها، فقد أكّدَ الدّكتورُ حسين عطوان أنّها «أسطورةٌ منَ الأساطيرِ» . أمّا الرّوايةُ الثّانيةُ فهي زعْمُهم بأنّه قُتلَ وهو في غمرةِ الحربِ، إذ طُعنَ بطعنةٍ فسقطَ يُصارعُ الموتَ. أمّا الرّوايةُ الثّالثةُ وهي الأقربُ إلى جادّةِ الصّوابِ فهي أنَّ مالكًا بعدَ انتهائِه منَ الغزوِ والجهادِ في سبيل الله وعودتِه إلى أهلِه وعشيرتِه اشتدَّ عليه المرضُ فأنشدَ تلك القصيدةَ يَرثِي بها نفسَه، فمات قبلَ أن يَبلُغَ مَوطنَه.

> وإذا تأمّلْنا مفهومَ الرّثاء عندَ شوقي ضيف، نجدُ أنّه يتّخذُ ثلاثةَ أشكالٍ: «النّدب والتّأبين والعزاء».

2- القصيدةُ ورثاءُ النّفس:

أ- التّمنِّي قبلَ الموت:

بدأَ الشّاعرُ قصيدتَه الرِّثائيّةَ والبُكائيّةَ في حقِّ نفسِه، بتمَنٍّ مَمزوجٍ بمعانِي الأَسَى والحُرقةِ يقولُ فيه:

ألا لَـيـتَ شِـعْـري هَـلْ أَبـيـتَـنَّ لَـيـلَـةً
بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجِـي الـقِلاصَ النَّوَاجِيَا

إنَّ مالكًا وهو يدنُو منَ الموتِ شيئًا فشيئًا، لم يجِدْ سوى فتْحِ بابِ التّمنّي عسَى أن يَجودَ القدَرُ بليلةٍ يبيتُ فيها قُربَ شجرِ الغضَا، ذلك الشّجرُ الذي ينبتُ في رمْلِ صَحاري القصيم، بيْدَ أنَّ الغضا ههنا رمزٌ دلاليٌّ توسّلَ به الشّاعرُ ليدلَّ على موطنِه الأصليِّ وأهلِه وأبنائِه، ففي القصيدةِ ما يُحيلُ على أنَّ مالكًا مُتعلّقٌ بعشيرتِه وأبنائِه، مما يجعَلُهُ يتَمَنَّى الموتَ وسَطهم ويَختِمُ لحظاتِه الأخيرةَ معهم. ويتأكّدُ المعنَى من خلالِ هذا البيتِ:

لقدْ كَـانَ فـي أَهْـلِ الغَضَى لَـوْ دَنَـا الغَضَى
مَــزَارٌ وَلَـكِــنَّ الـغَـضَـى لَـيـسَ دَانـيَـا

فالشّاعرُ ودَّ في لَحظاتِ موتِه لو يزورُهم، لكنَّ طولَ المسافةِ حالتْ دونَ ذلك.

ب- منْ رحلةِ الضّلالةِ إلى رحلةِ الهُدَى:

تُوثّقُ بكائيةُ مالكِ بنِ الرّيبِ المَرحلةَ الثّانيةَ من حياتِه، حيث انتقلَ من كونِه صُعلوكًا "فاتكًا لصًّا

يُصيبُ الطّريقَ" ، إلى حياةِ الإيمانِ والذّبِّ عن دينِ الله والجهادِ في سبيلِه، وذلك بعدَ أن صاحبَه سعيدُ بنُ عثمانَ بنِ عفّانَ وجعلَه في جيشِه، وقد كان له أثرٌ كبيرٌ في نشرِ الدّينِ الإسلاميّ في بلاد ما وراءَ النّهر، حيث شاركَ في فتح بُخارَى وسمرقند. ويحضرُ هذا المُنعرجُ الذي طبعَ حياةَ ابنِ الرّيبِ في مَرثيتِه التي جَعَلَها وثيقةً تاريخيّةً تَحكي ذاتَ الشّاعرِ، يقولُ:

ألمْ تَرَني بِعْتُ الضلالةَ بالهُدَى
وأصْبَحْتُ في جَيْشِ ابنِ عفَّانَ غازِيَا

دَعاني الهَوَى مِنْ أهلِ أُودَ وَصُحْبَتي
بِذي الطَّبَسَيْنِ فالتَفَتُّ ورائيَا

إنّ الشّاعرَ يَستحضرُ، في هذه اللّحظةِ العسيرةِ ما قبْلَ الموتِ، حَدَثَ انتقالِه من حياةِ الضّلالةِ ودخوله إلى نورِ الهُدى لعلَّه يُقوّي عزيمتَه في مواجَهةِ الموتِ الذي أوْشكَ على خطْفِ روحِه، ثمّ يشاركُ الآخرَ بحَكْيِ تجربتِه الذّاتيةِ التي تؤرخ لحدث توبته لعلها تكون عبرة لمن يعتبر.

ت- الرّثاءُ وأمجادُ الذّات:

إذا كان رثاءُ النّفس يختلفُ عنِ الرّثاءِ في أنّ الشّاعرَ يَرثي نفسَه بنفسِه، فإنَّ الغاياتِ والمطامحَ لا تختلفُ، فرثاءُ الذّاتِ يعتمدُ كذلك على ذكرِ مَحاسنِ الذَّاتِ وأمْجادِها، واسترْجاعِ مُغامراتِها وبُطولاتِها قيْدَ حياتِها. والنَّظرُ في القصيدةِ يُؤكّدُ رسوخَ هذا المَنحَى في رثاءِ الذّاتِ، فمالكٌ نَثَرَ صفاتِه الحميدةَ، وخلالَه المُثلَى، واسترجعَ ذكرياتِ بُطولاتِه:

أَجَبْتُ الهَوَى لَمّا دَعاني بِزَفْرَةٍ
تَقَنَّعْتُ مِنْها أنْ أُلامَ رِدائيَا

شوقي ضيف

حسين-عطوان

يُجيبُ الشّاعرُ نداءَ سعيدِ بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ حينما دَعاه إلى الجهادِ في سبيلِ الله، ونشْرِ الدّعوةِ الإسلاميّةِ، وذلك في واقعةِ «ذي الطَّبَسَين»، وفي هذا تأكيدٌ على شجاعتِه وقوّةِ شكيمتِه، وقد أكّدتْ كتبُ الأخبارِ، فيما تناقلَتْه عن مناقبِه، أنّه كان شابًّا جميلاً وقويًّا وشُجاعًا وكانت أيامُ صَعْلكتِه يُمضيها مع أشدِّ النّاسِ لُصوصيّةً وفتكًا ونهْبًا، وكان من رُفقائه شِظَاظٌ الضّبّيُّ الذي يُضربُ بِهِ المثلُ في النّهبِ فيقال: «أَلَصُّ من شِظاظٍ». لقدِ استثْمرَ ابنُ عثمانَ بنِ عفّانَ ما يمتازُ به مالكُ بن الرّيبِ من بأسٍ وقوّةٍ وحِنكةٍ ودهاءٍ في الحروبِ الَّتي يَشُنُّهَا عَلَى أَعْدَاءِ الدِّين، ذلك أنَّ مالكًا نفسَه وجدَ في مُقارعةِ الأعداءِ راحةً له، ووجدَ في الإيمانِ والجهادِ غايتَه وكأنّه قبْلَ هذا كان هائمًا في الدّنيا دونَ وجهةٍ، وتزدادُ حَيرتُنا حينما نعرفُ أنَّ شاعرَنا هو الذي كان يُحرّضُ سعيدًا على خوْضِ الحروبِ لنشْرِ الدّعوةِ، فكان حينَما يرَى تَراجُعًا من سعيدٍ في الحرب يَهجُوه ويَحقدُ عليه. لقدِ ارْتَبطت حياةُ مالكٍ، في مرحلتِه الثّانيةِ، بمقارعةِ الأعداءِ ليُصبحَ مشروعُه الأساسُ هو الدّفاعَ عن رايةِ الإسلام:

وأصْبَحْتُ في أَرْضِ الأعادي بُعَيْدَمَا
أرانِيَ عَنْ أَرْضِ الأعادِيِّ قاصِيَا

ث- الكُنْتيّةُ وبُطولةُ الذّاتِ:

تَحضرُ في قصيدةِ مالكِ بن الرّيْبِ ظاهرةٌ لافتةٌ للنّظرِ وهي ظاهرةُ الكُنْتِيَّةِ؛ إذ إنَّ الشّاعرَ كان يردّدُ، في أكثرَ من بيتٍ، الفعلَ الماضي النّاقصَ (كان) مُقترنًا بضميرِ المُتكلّمِ (تُ) الذي يُحيلُ على ذاتيّةِ الشّاعرِ، وتدلُّ الكُنتيّةُ على استرجاعِ الإنسانِ ماضيَه حنينًا وشوقًا، أو تعاليًا من خلالِ إبرازِ أمجادِ الذّاتِ فيما مضَى، والتّوسّلُ بالكُنْتيةِ حقيقٌ بأن يُعيدَ "إنتاجَ الذّاتِ عبْرَ قِيمِ البُطولةِ" ، وبها تقدّمُ «الذّاتُ في لحظاتِ الفعْلِ والزّهوِ والفخْرِ، ويُنسبُ إليها منَ الأفعالِ ما يكونُ به الافتخارُ» . ويمكنُ الوقوفُ عند هذه الظّاهرةِ في الأبياتِ الآتيةِ:

خُذاني، فجُرّاني ببُرْدي إليْكُمَا
فَقَدْ كُنْتُ قبْلَ اليَوْمِ صَعْبًا قِيادِيَا

وَقَدْ كُنْتُ عَطّافًا، إذَا الخَيْلُ أدْبَرَتْ
سَرِيعاً لَدَى الهَيْجَا، إلَى مَنْ دَعَانِيَا

وَقَدْ كُنْتُ صَبّاراً عَلَى القِرْنِ في الوَغَى
ثَقِيلاً عَلَى الأَعْدَاءِ، عَضْباً لِسَانِيَا

لقد قدّمَ ابنُ الرَّيْبِ، من خلال الكُنْتِيّةِ، صورةً عن نفسِه، ولا تخرجُ هذه الصُّورةُ عن جانبِها البُطوليِّ، فقد أسبغَ على ذاتِه صفاتٍ محمودةً مثلَ الشّجاعةِ والقيادةِ والقوّةِ، وإلى جانبِ أنّه يعطفُ على العدوِّ الذي يَتقهقرُ في الحروبِ، ويَنْبري إلى ساحةِ الوغَى إذا دُعيَ دونَ خوفٍ أو تماطُلٍ. إضافةً إلى صفةِ الصّبرِ التي فاقَ بها أقرانَه في مُعتركِ الحربِ. يتبدّى لنا أنَّ الشّاعرَ أعادَ صياغةَ ماضِيه الحافلِ بالأمجادِ التي تبعثُ على الاعتزازِ

والفخْر، وحاولَ بها أن يملأَ شعورَه بالضّعف والألمِ مع اقترابِ وقتِ الرَّحيلِ إلى الحياةِ الأُخرى.

ج- بلاغةُ الرِّثاءِ في القصيدة:

1- سَرْدِيَّةُ الشِّعْر:

تتميّزُ بُكائيّةُ مالكِ بنِ الرَّيْبِ بطابَعِها القَصَصيِّ الذي يَغلبُ عليها، حيث يتداخلُ فيها الشِّعْرُ بالسَردِ والسّردُ بالشّعرِ، وهذه التّقنيةُ الفنيّةُ مُناسبةٌ للغرَضِ الذي يَقصدُه الشّاعرُ؛ لأنَّ إنشادَ قصيدةٍ في رثاءِ النّفسِ لا بدَّ أن تتوسّلَ بالقصِّ، من أجلِ استحْضارِ الماضِي، وحَكْي أفعالِ الذّاتِ الإيجابيّةِ، واسترجاعِ ما علِقَ في الذّاكرةِ من قصصِ البُطولةِ والشّجاعة. وعليه تغدُو تقنيةُ شَعْرنةِ السّردِ وسَرديةِ الشّعرِ تقنيةً بلاغيّةً جماليّةً تقدّمُ صورةً قصصيّةً يَتأثَّرُ بهَا المُتلقّي لما تحْويه في بقاعِها من بناءٍ دراميٍّ وشخصيّاتٍ مُؤثّرةٍ وأحداثٍ مُشوِّقة. وقد سيْطرَ المشهدُ القَصَصيُّ على المَرثيَةِ من خلالِ استعمالِ أفعالِ المُضارعةِ التي تدلُّ على تنامِي الأحداثِ وتواتُرِها والحركيّةِ والديناميّةِ (أَبيتَنَّ - أُزْجي - أُقَلِّبُ - يُخَبِّرْنَ - تهيجُ - أقولُ - يسوُّونَ - أَترُك... الخ). كما تحقّقتْ قَصَصِيّةُ القصيدةِ في حَبكَتِها الدّراميّةِ التي قامت على حَكْي حياةِ الشّاعرِ/ الرّاوي/ الشّخصيّةِ الرّئيسيّة، واسترجاعِ أفعالِ ذاتِها الماضيةِ من جهةٍ، وكذا تتبُّعُ أحداثِ دُنوِّ بطلِ القصّةِ/ مالكٍ نحوَ قبرِه. وقد عضّدتِ الهيكلةُ السّرديّةُ لمَرثيَةِ ابنِ الرّيْبِ المُقوّماتِ القَصصيّةَ التي تجلّتْ فيها كالشّخصيّاتِ التي ذَكرَهَا الشّاعرُ (ابنُ عثمان - عمر- ابنتي- أمّ مالك ...الخ)، والمكانِ (جنب الغضا - أرض الأعادي - الطَّبَسين- قرى الكُرد- خُراسان... الخ). إنّ البناءَ السّرديَّ في شِعرِ الصّعاليكِ عمومًا، يُعدُّ مظهرًا فَنِّيًّا طبَعَ شِعْرَهم.

2 - بلاغةُ التّصوير:

هناك سِماتٌ فنّيّةٌ يشتركُ فيها شعْرُ الصّعاليكِ عامّةً، بيْدَ أنَّ بُكائيّةَ مالكِ بنِ الرَّيْبِ انفردتْ باحتواءِ تلك السِّماتِ الفنّيةِ في صُورةٍ بليغةٍ، ذلك أنَّ الشّاعرَ تَأثَّرَ في رثاءِ نفسِه بالأجواءِ التي تَستدْعِيها طقوسُ الموتِ، وعبَّرَ عن تجربَتِه المَريرةِ بأصْدقِ الأحاسيسِ، وأدقِّ المعاني، وقدِ اعتمدَ الشّاعرُ في نقلِ أطوارِ الأحداثِ على مُكوّنِ الوصْفِ، وهو وصْفٌ انفعاليٌّ يُثيرُ عاطفةَ المُتلقّي ويجعلُه يتأثّرُ بالعوالمِ التي صاغها الشّاعرُ، يقولُ:

تَــذَكّــرْتُ مــن يَــبْــكِــي عَــلَــيَّ فَــلَــمْ أَجِــدْ
سِــوَى الــسَّــيْــفِ والــرُّمْــحِ الــرُّدَيْــنِــيِّ بَــاكِــيَــا

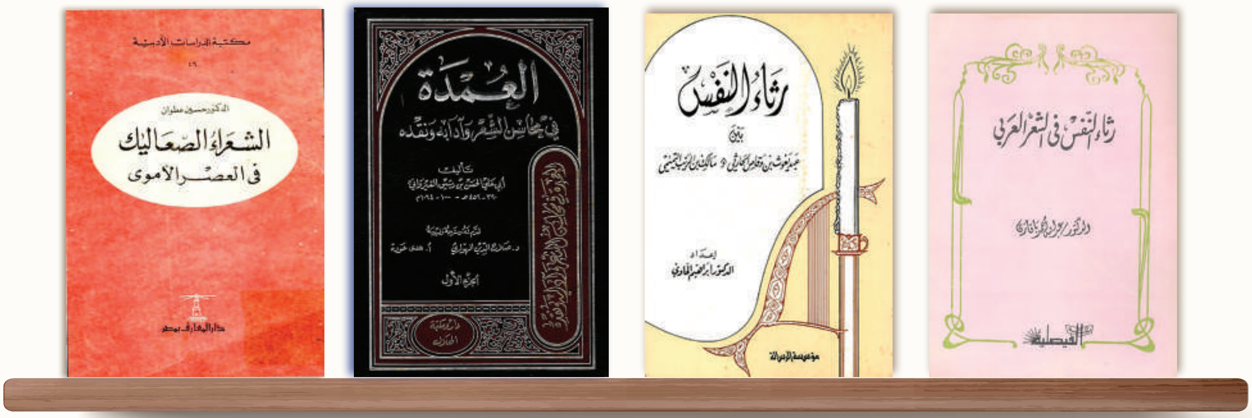

وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ
إلى الماءِ، لم يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا

نُلاحظُ أنَّ الشّاعرَ يلتقطُ موقفًا واقعيًّا ليرسُمَ صورةً وصْفيّةً تُوثّقُ لحظةَ عيْشِه وَحيدًا لا يُحيطُ به شيءٌ سِوى الموتِ الذي يقتربُ منه شيئًا فشيئًا، والأقربُون منه وأهلُه الذين سيبكونَ فُقدانَهم له بَعيدون عنه، ومن ثمَّ لم يجدِ الشّاعرُ سِوى أسلحتِه التي رافقَتْه في رحلتِه زَمَنَ الغَزْوِ، ولعلَّ في إضفاءِ الأفعالِ الإنسانيّةِ على الأشياءِ، أو ما يُسمّى بالتّشخيصِ، إشارةً إلى أنّ الوصْفَ الوِجدانيَّ يستقِي أُسُسَه من بَوتقةِ الخيالِ، مِمَّا يجعلُنا نزعُمُ أنَّ الشِّعرَ الصّعلوكيَّ شِعرٌ يَعتمِدُ على الخيالِ المُتّقد، ولا يَكتفِي فقط بمُحاكاةِ الواقعِ، وفي القصيدةِ ما يُثبتُ أنّ الشّاعرَ قُبَيْلَ وفاته تمثَّلَ موتَه، ووَصَفَ حالتَه، ويتبدَّى لنا ذلك في قولِه:

أُقَلِّبُ طَرْفِي فَوْقَ رَحْلِي، فلا أرَى
بِهِ مِنْ عُيُونِ المُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا

وبالرَّمل منّي نِسْوَةٌ لو شَهِدْنَنِي
بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطّبيبَ المُدَاوِيَا

فمِنْهُنَّ أُمّي، وابْنَتَاها، وَخَالَتِي
وَبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ البَوَاكِيَا

يُبرزُ الشّاعرُ صورةً وصْفيّةً نفسيّةً تعكسُ حالتَه الدّاخليّةَ؛ إذ إنَّ الشّعورَ بالوحدةِ والغربةِ يُسَيْطِرُ على ذاتِه في أبياتٍ مُختلفة، إنَّ حالتَه التي تَبعثُ على التَّعاطُفِ والشّفقةِ تَجعلُ الشّاعرَ يَتذكّرُ أهلَه وزوجَه وابنتَيْه وخالتَه الذين لو رأيْنَه في هذا الوضعِ لبكَيْنَ له وسَارَعْنَ إلى طلَبِ الطّبيبِ. بيْدَ أنَّ بُعدَهم عنه حالَ دونَ ذلك، وأزَّمَ حالَ الشّاعرِ الذي واصلَ رِثاءَ نفسِه بعد تيقُّنِه بأنّ نهايةَ الموتِ آتيةٌ عاجلاً لا آجلاً.

ويلتبِسُ الوصْفُ العاطفيُّ بالوصْفِ المَشهديِّ الذي يُركّزُ على تصويرِ الأحداثِ بدقّةٍ، ويرتبطُ بتقريبِ القارئِ من مِحنةِ الشّاعرِ، ومن ثمَّ يَستميلُ المُتلقِّي ليَعيشَ في الأمداءِ التي شيّدَها كأنّه حاضرٌ فيها، ويحضرُ هذا النّوعُ منَ الوصْفِ في قولِ الشّاعرِ:

صَرِيعٌ على أيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ
يُسَوُّونَ قَبْرِي، حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا

وَلَمّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيّتي
وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي، وَحَانَتْ وَفَاتِيَا

أَقُولُ لأصْحَابِي ارْفَعُونِي لأَنّني
يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي! دَنَا المَوْتُ، فَانْزِلا
بِرَابِيَةٍ، إنّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا

يُعمّقُ ابنُ الرّيْبِ، في هذه الصّورةِ الوصْفِيّةِ المَشهديّةِ، رسْمَ صُورتِه لذاتِه وهي في لحظاتِ الضَّعْفِ والهَوانِ، كيف لا وهي تُعاينُ ببصَرِها لحْدَها الذي ستأوِي إليه، لا شكَّ أنَّ الموتَ المفاجئَ أقلُّ خسارةً وأكثرُ ارتياحًا للإنسانِ من هذا الموتِ الذي يَجعلُ الشّاعرَ يُعيدُ النّظرَ فيه بعدَ مُعاينَةِ مراحلِ الموتِ وطُقوسِه ومراسيمِ دفْنِه.

وتمتازُ بُكائيّةُ مالكِ بنِ الرَّيبِ ببناءٍ فنّيٍّ مُتناسقٍ، يَعتمِدُ على مُقوّماتٍ بَلاغيّةٍ مُتنوّعةٍ، تُبيّنُ المنحَى الفنّيَّ الذي ميّزَ شِعْرَ مالكِ بنِ الرّيبِ عامّةً ومَرْثيتَه هذه على وجهِ الخُصوصِ، فيائيَّتُه حافلةٌ بالصّوَرِ الشِّعريّةِ البارعةِ التي تتوسّلُ بالخيالِ تارةً، وبالواقعِ تارةً أُخرى.

لقد سخّرَ الشّاعرُ الإمكاناتِ التّعبيريّةَ التي تُتيحُها اللُّغةُ العربيّةُ في إبداعِ صُوَرٍ بيانيّةٍ تُترجمُ حالتَه النّفسيّةَ المُتشظّيةَ وهو يعيشُ لحظاتِه الأخيرة، فقدِ اعتمدَ على الصُّوَرِ المَبنِيّةِ على الاستعارةِ بكثرةٍ وذلك بإسنادِ أفعالٍ إنسانيّةٍ إلى أشياءَ مُقتبَسةٍ منَ الطبيعةِ من قَبيلِ: (ليتَ الغضا ماشَى الرّكابَ – دنا الغضا – بعتُ الضّلالةَ – السّيفُ والرُّمحُ الرُّدَينيّ باكيًا– تراءت مَنيتي... إلخ). لقد كَوَّنَتِ الاستعارةُ في المَرْثِيَةِ، قيْدَ التّحليلِ، تقنيّةً فنّيّةً مُتميّزةً توّسلَ بها ابنُ الرّيْبِ، لِما لها من أبعادٍ نفسيّةٍ ووجدانيّةٍ، إضافةً إلى تمكّنِها من تقريبِ المُتلقّي إلى حجْمِ الفاجعةِ والألمِ الذي يعتصرُ قلْبَه، وَلِذَا فالاستعارةُ هي الوجْهُ الأسلوبيُّ القمينُ بإبرازِ مُعاناةِ مالكِ بنِ الرّيْبِ، وكما يقولُ جابر عصفور: «الشّاعرُ حينما يحاولُ تحديدَ انفعالاته ومشاعرِه إزاءَ الأشياءِ يَضطرُّ إلى أن يكونَ استعاريًّا» .

وقد دعَّمَ مالكُ بن الرّيْب الحركةَ الدّلاليّةَ بحركةٍ إيقاعيّةٍ تَنْبني على جماليّةٍ صوتيّةٍ مُنسابةٍ، عضَّدتِ البَوْحَ المَشُوبَ بِالفَجِيعَةِ الذي أبداه في رثاء ذاتِه، حيث إنَّ الإيقاعَ الخارجيَّ للمَرثِيَةِ نُظِمَ على بحرِ الطّويلِ (فعُولُن مَفاعِيلُن/4) ومعلومٌ أنَّ هذا الوزنَ ينسجمُ مع نداءاتِ النّفسِ الشّجيّةِ، ويُعبّرُ عن دلالاتِ المُعاناةِ والحزنِ واليأسِ. أمّا من حيثُ الإيقاعُ الدّاخليُّ فالقصيدةُ بُنيتْ على مُكوّناتٍ إيقاعيّةٍ مُختلفةٍ من أهمِّها التَّكرارُ الذي بدَا في بقاعِ المَرثِيَةِ طَاغِيًا، ويَتوزّعُ بين تَكرارِ كلماتٍ معيّنةٍ (الغضا- الهوى- خُراسان- كنت - طورًا...الخ) وتَكْرارِ أساليبَ إنشائيّةٍ (ليت - لله درّي- ليتَ شِعري- إذا - يا صاحبي- دَرّ ... الخ) وإضافةً إلى الحُمولةِ المَعنويّةِ التي يَكتسِيها التَّكرارُ في تأكيدِ مشاعرِ التّحسُّرِ والألمِ التي تَعتوَرُ ذاتَ الشّاعرِ، يَضطلعُ هذا الوجهُ الأُسلوبيُّ بوظيفةٍ مهمّةٍ في التّماسُكِ النّصِّيِّ الذي يظهرُ في القصيدةِ.

خاتِمَةٌ

لقد سعَيْنا في هذه الدّراسةِ إلى الوقوفِ عند سِمةِ رثاءِ الذّاتِ في شعرِ الصّعاليك، ووجدْنا أنَّ مَرثيَةَ مالكِ بن الرّيبِ هي أحسنُ تمثيلٍ لسِمةِ رثاءِ الذّاتِ، فقد فتح لنا نبشُ هذا المبحثِ آفاقًا جديدةً في إعادةِ قراءةِ شعرِ الصّعاليك الذي ما يزالُ يُخبّئُ الكثيرَ منَ الأسئلةِ والإشكالاتِ والمشاريعِ البَحثيّةِ. وقد خلُصْنَا إلى أنَّ القصيدةَ نسيجٌ منسجمٌ ومتّسقٌ، جمعَ بين مضمونٍ دلاليٍّ عميقٍ، وبناءٍ شكليٍّ فنّيٍّ مُتميّزٍ، يُبرزُ أنَّ تجربةَ مالكِ بن الرّيب تجربةٌ ثريّةٌ شِعريًّا تستحقُّ العنايةَ، وجديرٌ بالذّكرِ أنَّ وقوفَنا عندَ هذه المَرثيَةِ الفذّةِ التي عدَّها صاحبُ جمهرةِ أشعارِ العربِ من عيونِ المَراثِي، هو محاولةٌ لإبرازِ بعضِ ما تمتازُ به من خصائصَ جماليّةٍ لافتةٍ فقط، أمّا القصيدةُ فهي غنيّةٌ بالمعانِي، وحافلةٌ بالمظاهرِ الجماليّةِ اللُّغويّةِ ولا يتّسعُ المقامُ للتّفصيلِ فيها وتحليلِها تحليلاً وافيًا.

> **جابر عصفور: «الشّاعرُ حينما يحاولُ تحديدَ انفعالاته ومشاعره إزاءَ الأشياءِ يَضطرُّ إلى أن يكونَ استعاريًّا»**

دِرَاسَةٌ في أَبْجَدِيَّةِ الذَّاتِ

تَحْلِيلُ قَصِيدَةِ عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ

د. محمد عدنان الخطيب
مدقّق وباحث في المعجم التاريخيّ للغة العربيّة

قالَ عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيبِ (مِنَ المفضّلياتِ)

أَبَنِيَّ إِنِّي قد كَبِرْتُ ورابَنِي ... بَصَرِي، وفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِياً ... تَبْقَى لكُمْ منها مَآثِرُ أَرْبَعُ
ذِكْرٌ إِذا ذُكِرَ الكِرَامُ يَزِينُكمْ ... و وِرَاثَةُ الحَسَبِ المُقَدَّمِ تَنْفَعُ
ومَقَامُ أَيامٍ لَهُنَّ فَضِيلةٌ ... عِنْدَ الحَفِيظَةِ والمَجامِعُ تَجْمَعُ
ولُهًى مِن الكَسْبِ الَّذِي يُغْنِيكُمْ ... يوماً إِذا احْتَضَرَ النُّفُوسَ المَطْمَعُ
ونَصِيحَةٌ في الصَّدْرِ صَادِرَةٌ لَكُمْ ... ما دُمْتُ أُبْصِرُ في الرِّجالِ وأَسْمَعُ
أُوصِيكُمُ بِتُقَى الإِلهِ فَإِنَّهُ ... يُعْطِي الرَّغائِبَ مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ
وبِبِرِّ والِدِكُمْ وطاعَةِ أَمْرِهِ ... إِنَّ الأَبَرَّ مِن البَنِينَ الأَطْوَعُ
إِنَّ الكَبِيرَ إِذا عَصَاهُ أَهْلُهُ ... ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ ما يَصْنَعُ
وَدَعُوا الضَّغِينَةَ لا تَكُنْ مِن شأْنِكُمْ ... إِنَّ الضَّغائِنَ لِلْقَرَابَةِ تُوضَعُ
وَاعْصُوا الَّذِي يُزْجِي النَّمَائِمَ بيْنَكم ... مُتَنَصِّحاً، ذَاكَ السِّمامُ المُنْقَعُ
يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكم ... حَرْباً كما بَعَثَ العُرُوقَ الأَخْدَعُ
حَرَّانَ لا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ ... عَسَلٌ بماءٍ في الإِنَاءِ مُشَعْشَعُ
لا تأْمَنُوا قَوْماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ ... بَيْنَ القَوَابِلِ بالعَدَاوَةِ يُنْشَعُ

فَضِلَتْ عَداوَتُهُمْ عَلى أَحْلامِهِمْ وأَبَتْ ضِبابُ صُدورِهِمْ لا تُنْزَعُ

قَوْمٌ إذا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيْهِمُ حَدَجُوا قَنافِذَ بالنَّميمَةِ تَمْزَعُ

أَمْثالُ زَيْدٍ حينَ أَفْسَدَ رَهْطَهُ حَتَّى تَشَتَّتَ أَمْرُهُمْ فَتَصَدَّعُوا

إِنَّ الَّذينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوانَكُمْ يَشْفي غَليلَ صُدورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

وثَنِيَّةٍ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ عَزَّةٍ فَرَجَتْ يَدايَ فَكانَ فيها المَطْلَعُ

ومَقامِ خَصْمٍ قائِمٍ ظَلِفاتُهُ مَنْ زَلَّ طارَ لَهُ ثَناءٌ أَشْنَعُ

أَصْدَرْتُهُمْ فيهِ أُقَوِّمُ دَرْأَهُمْ عَضَّ الثِّقافِ وهُمْ ظِماءٌ جُوَّعُ

فَرَجَعْتُهُمْ شَتَّى كَأَنَّ عَميدَهُمْ في المَهْدِ يَمْرُثُ وَدْعَتَيْهِ مُرْضَعُ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِيَ حُفْرَةٌ غَبْراءُ يَحْمِلُني إليها شَرْجَعُ

فَبَكَى بَناتِي شَجْوَهُنَّ وزَوْجَتي والأَقْرَبُونَ إليَّ، ثُمَّ تَصَدَّعُوا

وتُرِكْتُ في غَبْراءَ يُكْرَهُ وِرْدُها تَسْفي عَلَيَّ الرِّيحُ حينَ أُوَدَّعُ

فَإِذا مَضَيْتُ إلى سَبيلي فابْعَثُوا رَجُلاً لَهُ قَلْبٌ حَديدٌ أَصْمَعُ

إِنَّ الحَوادِثَ يَخْتَرِمْنَ، وإنَّما عُمْرُ الفَتى في أَهْلِهِ مُسْتَوْدَعُ

يَسْعَى ويَجْمَعُ جاهِداً مُسْتَهْتَراً جِدّاً، ولَيْسَ بِآكِلٍ ما يَجْمَعُ

تبدُو الحياةُ بتقلُّباتِها، وتتلاحمُ صورُها أمامَ النّاظرِ القائمِ القَعيدِ، ويظهرُ الكبَرُ مظهرًا من مظاهرِ الموتِ المؤجَّلِ من بين أنقاضِ العمرِ المهدودِ يُطلُّ عَبدةُ بنُ الطّبيبِ ليَشملَ أولادَه بالحرْصِ والخوفِ والحبِّ والرّعايةِ. عُصارةٌ من دم الحياةِ يُبلّغُها إيّاهم ليَتزوّدوا بها في حياتِهم، ولِيطمئنَّ قلبُ الشّاعرِ بعضَ الشّيءِ، وإنْ يكُ ثَمّةَ استماعٌ فماذا يكونُ القولُ إذاً؟

إنّ ما يَشعرُ به عبدةُ هو أنّه قدِ امتلكَ معرفةً مُفيدةً منَ الحياة التي شبَّ فِيها وكبُرَ، وأنّه جديرٌ بِأَنْ يُسمعَ ويُستمتَعَ بما عندَه من ذخرٍ. وكيف لا؟ وقد خبَرَ الحياةَ حتى رابَتْه، وها هي تهدّدُه بالهلاكِ. وإنّما إذ يمضِي فهو قد بَنى بها مآثرَ ومَكرماتٍ تفيدُ الوارثَ وتُلهمُ العاثرَ، هي ذكرٌ في الكرام، وحسَبٌ في الأقوامِ وذودٌ عنِ المحارمِ، وأعطياتٌ وافيةٌ عند حضورِ طمَعِ النّفسِ وشُحِّها. هذا ما يُعلّلُ شاعرُنا به نفسَه، وهذا ما يَستعيدُه لنفسِه قبل ذكرِه لِبنِيه.

إنّ ابنَ الطّبيبِ هذا كأنّه يقفُ يُفتّشُ الزّمنَ الذي رابَه، والهولَ الذي انتابَه، على الرّغم من ضعْفِه الآن، ويذكرُ ما حقّقَه وما بَناه، وها هي آثارُه وأُعطياتُه، وها هي كرامتُه وشرَفُه، وإنّما يَستأثرُ بالشّاعرِ، هنا، قلقُه ووجهتُه لِبنيه، وتنزعُ نفسُه منزعًا عاطفيًّا صِرفًا إليهم ، مصدرُه الخوفُ

> إنّ ما يَشعرُ به عبدةُ هو أنّه قدِ امتلكَ معرفةً مُفيدةً من الحياةِ التي شبَّ فِيها وكبُرَ، وأنّه جديرٌ بِأَنْ يُسمعَ ويُستمتَعَ بما عندَه من ذخرٍ

والقلقُ والحرصُ عليهم، فيُوجّهُ ما جَناه منَ الحياة قسْرًا، وما اعتَصرَه منها ذُخرًا إلى أيديهم؛ لِيتزوَّدُوا به في مُعتركِ الحياةِ.

وهنا تأتِي نصيحتُه، تأتي وجهَتُه بعد أن قوَّم ذاتَه، وذكرَ فعْلَه والزّمن. تظهرُ النّصيحةُ الآن دينيّةً صِرفةً، وأُخرويّةً خالصةً، هي تقوَى الإلهِ ومخافَتُه حين سَعْيِهم وكسْبِهم بالأخصِّ؛ ذلك أنّ الإنسانَ قد يَظهرُ، وقد يتعثّرُ، وقد يكسبُ وقد يَخسرُ، فذلك بيدِ الله وإلى الله عائدٌ، وليس للمرءِ إلّا السَّعيُ التّقيُّ المعتدلُ. إنّ مَن ينهمُ في هذه الحياةِ، لن تزيدَه الحياةُ إلّا جوعًا، والذي يمضِي بها مُتطلّعًا جَشعًا لن تزيدَه إلّا رجوعًا، والكسْبُ الكسْبُ في تقوَى اللهِ، وذلك هو التَّزوُّدُ:﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هذا ما يُعلِّمُه عبدةُ الآن لأولادِه، كي لا يضلُّوا في هذه الحياةِ، ويَضيعُوا، وتأخُذَهم بزخارِفها.

إنّ تلك الحياةَ من قبلُ قد غرّتْ عبدةَ فنهلَ منها فقال:

ثُـمَّ ٱصطَبَحْتُ كُمَيْتًا قَرْقَفًا أُنُفًا
مِـنْ طَـيِّـبِ الـرَّاحِ وَالـلَّـذّاتُ تَـعْلِيلُ

فهي الآن قد تكشّفَتْ عن رَيْبِها، وتظهرُ بشيْبِها النّاصلِ؛ لذلك فلْيكنْ للأولادِ الحذرُ، وليكنِ التّزوّدُ من طاعة الله سُبحانه وتُقاه؛ للفوزِ بالآخرة التي يُقبلُ إليها الآن.

وإنَّ من تُقَى الله طاعةَ الوالدِ أوّلاً، وذلك أُسٌّ مِنْ أُسسِ الفلاحِ الأُولى، يَحرصُ عليهم به شاعرُنا، ويُوجّهُهم إليه لِيُهَدِّئَ من قلقِه، وارتجاجِ خاطرِه. وإنّ منَ الكبائرِ ألّا يُطيعَ المرءُ والدَه، ومنَ الخُسْرِ أن يَنسَى قولَه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ حيث اقترنتْ طاعةُ الوالدَين والإحسانُ إليهم بعبادةِ الله، فينشأُ الشّاعرُ مُؤكّدًا هذه الصّلةَ، وهذا التّرابُطَ بين تقوى الله، وطاعةِ الوالدِ، وليس همُّه هنا نفسَه؛ إذ يجبُ أن تُطاعَ منهم، بل همُّه عليهم كي يُفلحُوا، ويَنجُوا من حبالةِ الدّنيا وخُسْرِها.

ويظهرُ للشّاعرِ شيءٌ آخرُ مَضرةٌ للدِّين، ومفسدةٌ للقرابةِ، هو الضّغينةُ، الحقدُ الذي يذهبُ شررُه بكلِّ خيرٍ، ويُثيرُ كلَّ شرٍّ، ويمزّقُ الجسدَ الواحدَ منَ القرابةِ والبدنِ؛ حيثُ الضّغينةُ تكوي قلْبَ صاحبِها أوّلاً، ولن تُجْدِيَ عَلَيْهِ نَفْعًا. يعرفُ هذا عبدةُ، ويُجنّبُ أولادَه هذا الشّرَّ، وهذا المزلقَ الحارقَ، ويُحذّرُهم من سُمٍّ آخرَ قد يراقُ لهم، إنّما هو النّمّامُ المفسدُ الذي يسعَى بين الأقاربِ والإخوةِ، لِيفرّقَ بينهم، وليُحلَّ الشّرَّ والقتالَ مُتظاهرًا بالنّصحِ لكلٍّ منهم.

كذلك يسوقُ عبدةُ قصيدتَه ونصيحتَه هذه، وكذلك يمضِي لِيصلَ إلى نظرتِه المستقرّةِ على حُفرةِ قبرِه المقبلِ، المغبرّةِ

المظلمةِ المُقفرةِ، ولن يُؤنِسَه شيءٌ بل سيزيدُه وحدةً ووحشةً بكاءُ زوجِه وبناتِه وحُزنُهنّ، وسيبقَى وحيدًا لابثًا في جوف الأرضِ الصّمّاءِ. ولقد يظهرُ للشّاعرِ أنَّ الإنسانَ إنّما خُلقَ لهذه الحفرةِ الغائرةِ، ويُصبحُ العمرُ رهينةً آنيّةً عِنْدَ المرءِ سُرْعَانَ ما تُغَادِرُهُ.

كذلك تدورُ مشاعرُ عبدةَ هنا، وكذلك يظهرُ قلقُه وتجربتُه، حيث ينتقلُ بين نفسِه ونفْسِ أولادِه.

ومن خلال رَيْبِه بالحياةِ، وانتفاضِ يدِه منها، وحرْصِه على أولادِه، وخوفِه عليهم تنسكبُ هذه العواطفُ الفائرةُ الواهنةُ، بسببِ الكبَرِ، وانْفِلالِ العزمِ والقُوى، فيبوحُ بها هادئةً رصينةً، حريصةً، منَ العقلِ المتدبّرِ بالحياةِ، ومن مكامنِ الحِجا والحِجْرِ المُصطدم.

لقد تقدّمتْ في القصيدةِ مآثرُ الشّاعرِ، وإعدادُه في الحياةِ، ثمّ أتتِ النّصائحُ لِتتلُوَها النّظرةُ الأخيرةُ إلى ما بعدَ الحياةِ. ولقد يظهرُ لنا – وقدّمْنا بذلك – أنَّ الشّاعرَ انساقَ إلى ذكْرِ هذه الأُعطياتِ والمآثرِ التي أنتجَها تعليلاً لنفسِه وتوطيناً لأولادِه كي يُبعدَهم عنِ الانزلاقِ في الرّغائبِ ومغالبةِ الأمورِ بعُسرٍ وسُوءٍ. وإذ يقدّمُ لهم مكاسبَه

”

لقد تقدّمتْ في القصيدةِ مآثرُ الشّاعرِ، وإعدادُه في الحياةِ، ثمّ أتتِ النّصائحُ لِتتلُوَها النّظرةُ الأخيرةُ إلى ما بعدَ الحياةِ

أوّلًا، فذلك كي يَسْلبَ منهمُ النّهمَ بِالحياةِ، فيُوطِّنَهُم على القناعةِ، والصّفاءِ، والوُدِّ، والتّآلُفِ؛ وإنّما هي هذه اللّحظاتُ الفانِيَةُ الذّاهبةُ، فلِمَ تَتزاحمون وتَتباغضون، ولِمَ تَعتركون عليها؟ تلك رغبةُ الشّاعرِ ووصيّتُه، وتلك خلاصةُ العُمرِ الـمُرِّ الذي يلُوكُه الآن !

ربّما أخذَ الشّاعرُ منَ الحياةِ، وأعْطَتْه، ولكنّها الآن تأخذُ ما أعطَت، وتأخذُ المزيدَ؛ لذلك فليستْ هي بالوفيّةِ، وليستْ بالآمِنةِ، وهذا ما ينتظرُ الأولادَ إذًا ؟ فهل لهم بهذه النّصيحةِ من رفيقٍ؟ ويُخاطبُهم.

تنطلقُ القصيدةُ مُبتدئةً بالخطابِ "أَبَنِيّ"؛ بالخطابِ عن قُربٍ لِيكونَ الكلامُ أنْفذَ، وصوتُ العاطفةِ أقربَ مِنْ أنفاسِه الوُدَدَاءِ اللاّهفةِ عليهم .

إنَّ الخطابَ القريبَ هنا للأبناءِ في ابتداءِ القصيدةِ يمثّلُ مِحورَ القصيدةِ، حيث يُشدُّها كلَّها إليه، ويَجذبُ أبعادَها ذاتَ الصّلةِ بالأولادِ، والتي تكلَّمَ بها الشّاعرُ عن تجربتِه

إذاً إنّنا نعلمُ هنا أنَّ الشّاعرَ لم يتكلّمْ عن نفسِه إلاّ بما أثارَه فيه الأولادُ من خوفٍ وقلقٍ عليهم، وحرْصٍ لهم، لذلك مضَى مع نفسِه، ونظرتِه تلك إلى الحياةِ؛ لِيَقتنِعُوا، وإنَّ سرًّا منَ الأسرارِ أيضًا، يدفعُه في داخلِه، حيث يتكلّمُ، هو حبُّ التّواصلِ مع الحياةِ، بعدُ، ومغالبةُ الفناءِ، وحبُّ البقاءِ الأمثلِ باستمراريّةِ بَنِيه. تلك فطرةُ الله في خلْقِه

تتجسّدُ في عبدةَ إذ يخاطبُ أولادَه للزّمن الذي بعدَه، وتمضِي القصيدةُ كلُّها بخطابِهم، ويُكرّرها بأُوصِيكم، ودَعوا، واعْصُوا؛ لأنّهم هدفُه هنا من وراءِ القصيدة .

ولأنّه مشغولٌ بهم في شِعره هنا، فهو ليس بشاعر؛ أي: ليس بمجمّلٍ شِعرَه، ومزوّقٍ له، وقلَّ عندَه التّصويرُ الفنّي، فأتت قصيدَتُه نسَقًا منَ الخطابِ والتّعقّلِ، والعاطفةِ المجروحةِ بالسّنين، الضّعيفةِ منَ المقاومة، إلّا بما تتذكّرُه من مآثرَ.

إنَّ القصيدةَ هنا تُصبحُ صوتًا تقريريًّا تعليميًّا، ووصيّاتٍ، وكلُّها تُقدّمُ بطابَعِ رصينٍ مَوتُورٍ؛ فيه قلقٌ ضمنيٌّ، مبعثُه ذلك الانْضِغاطُ منَ الزّمنِ القاهرِ، وذلك الضّعفُ الرّازحُ على جنباتِ التّراثِ؛ أي الشّاعرُ ليس هادئًا، إنّما هو ضعيفٌ عنِ النّهوضِ والتّذمُّرِ، أوِ الاستنكارِ والثّورةِ؛ لذلك يبدُو قلقَ الوجدانِ، هادئَ الكلماتِ، بما يَتسايرُ مع عقلِه الظّاهرِ الذي يسوقُ الوقائعَ والوصايَا ويَسردُها، ويعلُو على الانفعالاتِ بضرورةِ الحرْصِ منَ الوالدِ، والتّبليغ.

أتتِ القصيدةُ بهذا خطابيّةً إخباريّةً، يَفصلُ بين أخبارِها الأمرُ الخطابيُّ الإنشائيُّ هذا، ولقد ظهرَ التّقريرُ والتّأكيدُ بشكْلٍ فاعلٍ لتأديةِ غرَضِ الشّاعرِ بحرْصِه، ورغبَتِه في التّبليغِ؛ حيث تتكرّرُ «إنّ" المؤكّدةُ بعدَ الحدثِ، و«لقد» المحقّقةُ للقولِ. ولقد قام الخبرُ، والإنشاءُ - بعدُ بما فيه من أمرٍ وقسَمٍ ونداءٍ - معًا بالتّقريرِ وتأكيدِ القولِ، لتثبيتِ رغبةِ الشّاعرِ. وهذا أتى طوعًا لِما قصدَه من قولِه، في الأصْلِ، لأولادِه، ولم يطلبِ المزيدَ إلّا في تأمُّلِه في مصيرِه، في البيتِ قبلَ الأخيرِ؛ حيث تظهرُ صورةُ الانفرادِ في القبْرِ، ومظهرُ الحزنِ بأهلِه بعد وفاتِه، وتُظهر كلمةُ «تصدّعوا» هذا الانْشِعابَ في نفس الشّاعرِ والمرارةَ فيها.

إنَّ الشّاعرَ لا يطلبُ الشّعرَ لذاتِه -كما قلنا- بل يقودُه لغرَضِه الحريصِ هذا، فأتت كلماتُه واضحةً مجلوّةً متينةً ثابتةً في أماكنِها، مرتبطةً مع بعضِها بدافعِ حرْصِه، وقلقِه من أن لا يَفهمُوا قولَه.

ولقد كان للإسلامِ والقرآنِ أثرُهما في صقْلِ كلماتِه وتلْيِينِها، فظهرَتْ مع «التّقوى، والبرِّ، والطّاعةِ، والنّصيحةِ» طيّبةً قريبةً منَ النّفسِ، ومتواصلةً مع القارئِ بيُسْرٍ، وذلك لأنَّها تعنيه، أيضًا، بمعانِيها. وهذا الأثرُ منَ اللّينِ والوضوحِ والثّباتِ الذي صبغَ القصيدةَ، قد أتى مُتميّزًا من أغلَبِ الشّعرِ الجاهليِّ الذي سبقَه؛ حيثُ القوّةُ هناك والنّبْرُ، والجَلْجلَةُ، وصعوبةُ الكلماتِ. ولهذا فلقد أتى هنا بالبحر الكامل، الذي يَستوعبُ هذه المُعطياتِ ويميلُ معها عمّا كانت تميلُ به من عُنفوانٍ وشدّةٍ، وقوّةٍ في مُعلّقةِ عنترةَ، وإن كانا قدِ التقيَا في الصّيغةِ الخِطابيّةِ، ولكنّه الخِطابُ المجلْجِلُ العَنتريُّ هناك المُتصادِمُ، بينَما الخِطابُ الصّريحُ المرسَلُ هنا، المبلّغُ لخبرةِ العقلِ، ورزانَتِه هنا، غيرُ هوى الذّاتِ وجموحِها عند عنترةَ. فهذا تغييرٌ نلحَظُه على سويّةِ البحرِ بين الجاهليِّ القديم، والإسلاميِّ القويم؛ لذلك إن نقرأِ القصيدةَ الآن فنحن لن ننساقَ بانفعالِنا مع موسيقَى القصيدةِ هنا؛ لأنّها مُتراسلةٌ بنضجٍ ورَتابةٍ ،آخذةٌ بأيدي بعضِها في فجاجِ البحرِ المفتوحِ الذي يَستوعبُ هنا كلَّ ما أرادَه الشّاعرُ من تأمّلاتٍ ووصايَا، على الرّغم من نُدرةِ الرّويِّ وصعوبةِ القافيةِ نِسبيًّا. ولنا أن نلحظَ أنَّ البيتَ الأوّلَ لم يأتِ مُصرَّعًا كسائرِ الشِّعرِ الجاهليِّ، وذلك لأنَّ الشّاعرَ لم يحرِصْ على خدمةِ الموسيقَى الشّعريّةِ، إذ لم يصدُرْ عنِ انفعالٍ شِعريٍّ، وكأنّه صدرَ بقولِه هنا عن قولٍ كان يقولُه مع نفسه من قبلُ ثمّ استمرَّ هنا مَكشوفًا في القصيدةِ، مُتواصِلًا معه. ولم يَعتمدْ عمودَ الشّعرِ الجاهليِّ المعروفِ، بل بدأَ بالغرَضِ حرْصًا عليه، وانطلاقًا منه، وربّما نعودُ بهذا إلى أثرِ الإسلامِ الذي خفّفَ من حِدّةِ الشّعرِ، وحِدّةِ الانفعالِ، بل هذّبَها، وربَطَها برباطِ القِيمةِ، لا العُرفِ أوِ الانفعالِ.

بهذا نُنهِي دراسةَ قصيدةِ عَبدةَ بنِ الطّبيبِ، وقد أتتْ نموذَجًا منَ الشّعرِ الإسلاميِّ التّربويِّ.

خُلاصةُ الـوَفـا
في معاني مدحِ المُصْطَفى

كيف لا أَهوى حبيبًا   كُلُّ ما فيـه عظيمُ

الحمدُ لله الذي صَدَحَتْ بالثناءِ عليه أَلْسُنُ العابدين والعارفين، واسْتَمْطَرَتْ سَحَائِبَ الأَمدادِ بأسرارِ تحميدِهِ وأنوارِ تمجيدِهِ ابتهالاتُ الذاكرين ودموعُ الخاشعين، فَلَبِسَتْ قلوبُهُمْ مِنْ صَفاءِ اليقينِ حُلَلا، ومِنْ بَوَارِقَ التقوى تفاصِيلَ وجُمَلا، فهم الهُدَاةُ المهتدون على سُنَنِ الأَمين وقَدَمِ التَّمكين. والصَّلاةُ والسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلان على طِبِّ القلوبِ ودَوَائها، وعافيَةِ الأَبْدَانِ وشِفَائِها، ونورِ الأَبصارِ وضيائها، النبيِّ المصطفى والرسول المُجْتَبَى، صاحب الكرامة والتكريم، والتقديم والتعظيم، سيدنا محمَّد الذي مدحه رَبُّه في الذكر الحكيم فقال: ﴿وإِنّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم﴾.

ا.د.وافي حاج ماجد
أستاذ وباحث أكاديمي

يا سيدي يا رسول الله:

إنْ صُمْتُ عن نظم الكلامِ تَكَلُّفًا
فالصمتُ أَبْلَغُ في عظيمِ المَشْهَدِ
وإذا الهَـوَىٰ سَلَبَ الفـؤادَ فإنَّني
أسقي الـبـلاغةَ مِنْ مديحِ مُحَمَّدِ

هو فَنٌّ يَرْوي القُلوبَ بِصِدْقِ الغرام، فَنٌّ فاض على ألسنة العاشقين شعرًا تَرْوي بدائعه الأيام، فَنٌّ المُكْثِرُ فيه مُقِلٌّ، والمبالغُ المحمودُ فيه مُقَصِّر، فَنٌّ ترى المُهَجَ سكرى بِشَهْدِ معانيه، والنفوسَ ظَمْأَىٰ لِرَشْفَةِ وِصالٍ مِنْ مَعِين معاليه، فترىٰ عُيُونَ الأدباء تَكْتَحل بِمِيل الشوق إذا لاح في الخاطر طيفُ قُباءَ وسَلْعٍ وذي سَلَمٍ والعقيق، فَأَرْخَصوا عقيقَ الدمع منثورًا على وَجَنَاتٍ طالما طَمِعَتْ في ضَمِّ ترابٍ حوى خير من وطئ الثرىٰ ورَقِيَ الذُّرَا، إنَّه فنّ المديح النبوي الشريف المبارك، مديح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ:

فإنَّ للمدح النبوي الشريف شِعابًا فتَّانة وأفنانًا فينانة، يصعب على المرء استقصاؤها بحثًا، أو جَمْعًا وعَدًّا؛ ومَنْ ذا الذي يُزَاحم بِمَنْكِبِهِ الثُّرَيَّا أو يجمعُ البحرَ المحيطَ في وعاء ؟! وإنما أردنا في مقاتنا هذه أنْ نظْفَرَ بشيء من جواهر هذا البحر الخِضَمّ وسحائبه المُرْسَلَة، فانتقينا من فيض درره ما نرصّع به طُلَى هٰذا البحث، أَلَا وهو بيان الأغراض المعنوية التي يتناولها مُدَّاح المصطفى صلى الله عليه وسلم في قصائدهم السَّنِيَّة؛ فإنَّ الباحثَ المدقّق في ذلك النتاج الضخم، والتراث الذهبي الهائل يَجِدُ أنَّ معاني شعراء المديح النبوي قد دارت في فلك أغراض محددةٍ بارزة، غدت ميادينَ تتبارى فيها جياد الفصاحة والبلاغة: (البسيط)

وكُلُّهم من رسول الله مُلْتَمِسٌ
غَرْفًا من البحر أو رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

وَلِسَانُ حالِهِمْ صائِلٌ قائِلٌ (الكامل):

لي فِيكَ قَلْبٌ مُغْرَمٌ يا سَيِّدي
فإذا صَمَتُّ ففيكَ صَمْتي كُلُّهُ
وحُشَاشَةٌ مَحْشُوَّةٌ بِهَوَاكا
وإذا نَطَقْتُ فمادحٌ عَلْيَاكا

ونشرع الآن في ذكر لُبَاب البحث المقصود بيان المعاني الشريفة في شعر المدح النبوي

1 – بيان محاسِنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الخِلْقِيَّة، وأوصافه الغَرَّاء الجسدية والحسِّيَّة:

ومن ذلك ما ينسب إلى السيدة عائشة أُمُّ المؤمنين رضي الله عنها، وقيل لحسَّان بن ثابت (الوافر):

وأجملَ منكَ لم تَرَقطُ عَينٌ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ
عَيْبٍ وأكملَ منكَ لم تلدِ النساءُ
كأنكَ قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

وشَنِّفْ مسامعك، ومتّع ناظريك بأبيات الإمام الصّرصري الحنبلي الضرير (656هـ) يصف المحاسن المحمدية (الطويل):

هو الأبلجُ البادي الوضاءةِ وجهُهُ
كبدرِ الدجى بل كان أبهى وأجملا
قسيمٌ وسيمٌ أوطفُ الهُدْبِ عَيْنُهُ
بها دَعَجٌ يسمو فَيُحْسَبُ أكحلا

وأُشْرِبَ خَدَّاهُ البياضَ بحمرةٍ
كوَرْدٍ نَدٍ هَبَّتْ له الرّيحُ شَمْأَلا
أَغَرُّ الثنايا واضحُ النحرِ جيدُهُ
من الفضَّةِ البيضاءِ أحسنُ مُجْتَلَى
أَجَلُّ الورى فَرْعًا وأنورُ مَفْرِقًـا
وأجملُ عِرْنينًا وأحلاهم حُلَى

2 – **بيان محاسنه الخُلُقيَّة، وشِيَمِهِ الفريدة، وخصاله النبوية العطرة؛ ومن غيض ما قيل في ذلك (الكامل):**

يا مَنْ بهديك أفلح السعداءُ
هذي عظاتُكَ للقلوبِ دواءُ
يا مَنْ بُعثت إلى الخلائقِ رحمةً
أقسمتُ أنكَ رحمةٌ وضياءُ
وبُعثْتَ أميًّا تقول فتغتذي
منكَ العقول وتستقي العلماءُ
وعَدَلْتَ في أمرِ العبادِ فيستـوي
في دينك الفقراءُ والأمراءُ

3 – **ذِكْرُ مُعْجِزَاتِهِ البَاهِرَةِ؛ وذلك يتضمن:**

أ – سردها.

ب – تناول بعضها بشيء من التفصيل.

جـ - بيان أهميتها، وتأثيرها، وعظمتها الشامخة، ووجوه الإعجاز فيها.

ومن أشهر تلك المعجزات الشريفة: القرءان الكريم، والإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وحنين جذع النخلة، ونطق ذراع الشاة، ونبعُ الماء من بين أصابعه الشريفة، إضافة إلى بركاته المستفيضة. ولله در القائل (الكامل):

لك معجزاتٌ أعجزتْ كلَّ الورى
نطق الذراعُ بِسُمِّهِ لكَ معلنا
ودعوتَ أشجارًا أتتكَ مطيعةً
والماءُ فاضَ براحتيك وسَبَّحَتْ

وعليُّ مِنْ رَمَدٍ به داويتَهُ
وعليكَ ظَلَّلَتِ الغمامة في الورىٰ
وفضائلٌ جَلَّتْ فليس تحاكىٰ
والضَّبُّ قدْ لبَّاك حين أتاكا
وسَعَتْ إليك مجيبةً لنداكا
صُمُّ الحصى بالفضلِ في يمناكا
في خيبرٍ فَشُفِي بطِيْبِ لَماكا
والجِذْعُ حَنَّ إلى كريمِ لقاكـا

وكذا للإمام أبي محمدٍ الشقراطيسي (496 هـ) في لاميته الشهيرة؛ إذ تناول معجزة حنين الجذع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال مفصِّلًا (البسيط):

والجذعُ حَنَّ لأَنْ فارقته أسَفًا
ما صَبْرُ من صار مِنْ عَيْنٍ على أثَرِ
حَيِّـيْ فمات سكوتًا ثمَّ مات لَدُنْ
حنين ثَكْلى شجتها لوعةُ الثّكَلِ
وحالُ من حالٍ من حالٍ إلى عَطَلِ
حَيِّـي حنينًا فأضحى غايةَ المَثَلِ

4 – **التغني والتغزل بالديار الحجازية والرحاب الحرمية، والهيام بشعابها ومداخلها، تلميحا تارة وتصريحا تارة أخرى؛** فدونك أشواق الصرصري في بائيته يحملها راحلته (البسيط):

نَعَمْ، براها السُّرى والشوقُ يقدُمُها
بلا زمامٍ إلى نَعْمانَ تنجذبُ
كلَّتْ ومِنْ شوقها لم تدرِ ما حمَلَتْ
ولهانةً لقُبًا بالوجدِ تنسحبُ
كأنها علمت مقدارَ ما طلبتْ
حتى استوت عنده الراحاتُ والتعبُ
رفقًا بها فلها يا سعدُ عهدُ هوًى
برامةٍ وحقوقٌ باللوى تجبُ
ولا تَسُقْها ويمِّمْ ماء كاظمة

وانزلْ فلي في رُبا أطلالها عَرَبُ

5 – بيانُ سيرته المباركة، أو شيء منها، والعناية بالتفصيل في بعض المحطات الهامة فيها؛

ومن ذلك: قصةُ ولادته الميمونة وما رافقها من أخبار وأحداث، وبدء الوحي، والهجرة المباركة إلى المدينة المنورة، وغزواته وفتوحاته، وكذا قصة وفاته ودفنه ووداع الصحابة له. بأبي هو وأمي حيًّا وميتًا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأنشدوا (الكامل):

وُلِدَ الحبيبُ وخدُّه مُتَورِّدُ
والنورُ من وَجَناتِه يَتوَقَّدُ
جبريلُ نادى في مَنَصَّة حُسْنِه
هذا مليحُ الوجهِ هذا الأوحدُ
هذا جميل النعتِ هذا المرتضى
هذا جليلُ الوصفِ هذا أحمدُ
قالت ملائكة السماء بأسرهِم
ولد الحبيبُ ومثلُهُ لا يولَدُ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما ذُكِرَتْ قُبَا
أبدًا ولا كانَ المحصَّبُ يُقْصَدُ

6 – بيانُ خصائصه المحمَّدية، وشمائله الزكية، وتقدمه على إخوانه الأنبياء والمرسلين في الدرجة والمرتبة عند الله، كما قال البوصيري (696 هـ) (البسيط):

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
ولم يُدانوه في عِلمٍ ولا كرمِ

وهو القائل أيضًا في مطلع همزيته المشهورة (الخفيف):

كيف ترقى رقيَّكَ الأنبياءُ
لم يساووك في عُلاك وقد حالَ
ما مَضَتْ فترةٌ من الرُّسْلِ إلَّا
تتباهى بك العصورُ وتسمو
(م) يا سماءً ما طاولتها سماءُ سَنًا منك دونهم وسَنَاءُ
بَشَّرَتْ قومَها بك الأنبياءُ
بك عليـــاءُ بعدها علياءُ

7 – بيان شدَّة الشوق والعشق والحنين إلى سيد المرسلين، وزيارته ونيل القرب منه والوصال، والبركات والنفحات وذي ساحة العواطف والمشاعر، وفيها يتبارى المُدَّاح، وكُلٌّ مِفَنٌّ في إبداء ما يكابده من حُرَقِ الجوى ولوعاتِ الفراق، وما يشتعل في فؤاده من تباريح الهوى والحب والغرام بسيد الأنام؛ يا سيدي يا عظيم الجاه (البسيط):

العشقُ أشعل نارَ الشوق في كبدي
يا سيدي يا رسول الله يا سندي
أدمنت حبك فاعطف داوِ لي ألمي
عساه يُشفى عذابُ الروحِ والجسدِ
وفي القوافي غرامٌ فيك حَرَّكني
فرمتُ بالمدحِ نيلَ الوصلِ بالمددِ
إنْ أعلنَ الجذعُ أنَّ الشوقَ حَرَّكَهُ
فالقلبُ أقسمَ أنْ يهواكَ للأبدِ
هذي دموعي على خَدَّيَّ شاهدةٌ
بأنَّني في هواكم فاقـــــدُ الجَلَدِ

وتجدُ لتلك المشاعر رِقَّة خاصة عندما تنبعث من أفئدة شعراء عاقتهم العوائق عن الوصول إلى أعتاب المدينة، فرحل رفاقهم وخَلَّفُوهم يكابدون تباريح الشوق والحَزَن، فهناك تصدر اللوعات والآهات، والزَّفرات الملتهبات كما قال ابن الفارض (632 هـ) في رائية العشق (الكامل):

زِدْني بفرط الحُبِّ فيك تَحيُّرًا
وارحمْ حَشًا بلظى هواكَ تَسَعَّرًا

أمَّا الإمام البرعي الكبير (803 هـ) فهو أستاذٌ في هذا الفن، بل غدا نسيج وحده فيه، فقصائده تَبكي وتُبكي الصُّمَّ الجلامد (الكامل):

يا راحلينَ إلى منى بقيادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي
لبسوا الثيابَ البيضَ شاراتِ الرِّضا
ضَحَّوْا ضحاياهم وسال دماؤها
بالله يا زُوَّارَ قبر محمد
فَلْيُبْلِغ المختارَ ألفَ تحيةٍ
قولوا له عبد الرحيم مُتَيَّمٌ
هيجتُم يوم الرحيل فؤادي
والشوق أقلقني وصوت الحادي
وأنا لبعدهمُ لبستُ سوادي
وأنا المتيَّمُ قد نحرتُ فؤادي
من كان منكم رائحًا أو غادي
من عاشقٍ متفتت الأكبادِ
ومفارقُ الأحبابِ والأولاد!!

وأيُّ قلب لا يذوب - يا برعيَّ العشق - عند سماع تلك الأبيات؟! وأي روح لا تطير إلى طيبة عند سماعها، وعند سماع أبيات الإمام ابن العَرِيفِ (526 هـ) (البسيط):

شَدُّوا المَطِيَّ وقد نالوا المُنَىٰ بِمِنَى
وكلهم بأليم الشوق قد باحا
يا راحلين إلى المختار من مُضر
سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا!

8- ذكر صحابته الكرام ومناقبهم، ولا سيما العشرة المبشرون بالجنة، وأهل بيته وأزواجه أمهات المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين؛ ولسان حالهم صادح برائية البوصيري الفاخرة: (البسيط)

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أبي بَكْرٍ خَليفَتِه
مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِه للدِّينِ يَنْتَصِرُ
وَعَنْ أَبِي حَفْصِ الفَارُوقِ صاحِبِه
مَنْ قَوْلُه الْفَصْلُ في أَحْكامِه عُمَرُ
وَجُدْ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَتْ
لَهُ المَحَاسِنُ في الدَّارَيْنِ والظَّفَرُ
كَذَا عَلِيٌّ مَعَ ابْنَيْه وَأُمِّهِمَا
أَهْلُ العَبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا الخَبَرُ
سَعدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةٌ وَأَبُو
عُبَيْدَةٍ وَزُبَيْرٌ سَادَةٌ غُرَرُ
وحمزةٌ وكذا العباسُ سيدُنا
ونجلُه الحَبْرُ من زالتْ بِه الغِيَرُ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ والأَتْبَاعِ قاطبةً
ما جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِي أَوْ بَدَا السَّحَرُ

9 - بيان استلذاذ المادح بالنظم في مدحه صلى الله عليه وسلم، وذكر ما يلقاه من فَرَحٍ وأُنْسٍ في ذلك

بل بمجرد ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم تَتَّقِدُ قريحتُه، فتنطلقُ المعاني هائمة لتنسبك فتنسكب في بديعِ قوالب النظم، لتخرج في حُلَلٍ شعرية زاهية زاهرة، وباهية باهرة، ولسان حالهم قائل (البسيط):

يا سيدي يا رسول الله خُذْ بيدي
فقد تحملت عبئًا فيه لم أقُمِ
ما مَرَّ ذكركمُ إلَّا وألزمني
نثر الدموع ونَظم المدح في كلمي
فما التزمتُ قوافي الشعر أمدحكمْ
إلَّا لأدعى لكم من جملة الخَدَمِ

ولله در مجد الدين الوَتري البغدادي (توفي بعد عام 661 هـ) إذ يقول (الطويل):

بمدحكَ أرجو الله يغفرُ زلَّتي

ولو كنتُ عبدًا طولَ عمريَ أُذْنِبُ

10 – بيان تَقاصُرِ نظم المادح وشعره عن الوفاء بوصف الممدوح العظيم صلى الله عليه وسلم واعترافه الصريح بذلك؛

وأنه مهما قال وكتب فلن يوازي مرتبته الشريفة، وقدره العظيم الذي لا يعلمه إلا الله، كيف لا وقد مدحه خالقه – سبحانه وتعالى – في القرءان الكريم!

– يقول شيخ أدباء الأندلس لسان الدين بن الخطيب (776 هـ) (الكامل):

مدحَتْكَ آياتُ الكتاب فما عسى
إذا كتابُ الله أثنى مفصحًا
يثني على عَلْيَاكَ نَظْمُ مديحي
كان القُصُورُ قصارَ كلِّ فصيحِ!

– وله أيضًا (الكامل):

يا مصطفىٰ من قَبْلِ نشأة آدم
أيرومُ مخلوقٌ ثناءَكَ بعدما
والكونُ لم تُفْتَحْ له أغلاقُ
أثنى على أخلاقك الخَلَّاقُ؟!

– ولأبي القاسم بن جُزَيّ (785 هـ) (الطويل):

أرومُ امتداحَ المصطفىٰ فَيَرُدُّني
قصوريَ عن إدراك تلك المناقبِ
ومَنْ لي بحصرِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ
ومن لي بإحصاء الحصى والكواكبِ
ولو أنَّ أعضائي غدَتْ ألسُنًا إذن
لما بَلَغَتْ في المدح بعض المآربِ

– وللبُوصيري (البسيط):

كُلُ البلاغة عيٌّ في مناقبه
لو أجمعَ الخلقُ أنْ يُحْصُوا محاسنَهُ
إذا تفكرتَ، والتكثيرُ تقليلُ
أعيتهم جملةٌ منها وتفصيـــــلُ

– وللعارف بالله الإمام الحافظ عبد الغني النابلسي (1143 هـ) (الكامل):

ماذا يقولُ المادحون ومدحُهُ
قد أعجز البلغاءَ كُنْهُ صفاتِهِ
قد جاءَ في أُمِّ الكتاب مُسَطَّرَا
فترى المبالِغَ في المديحِ مُقَصِّرا

****

وبعد:

فقد كانت تلك المعاني خلاصةَ ما يعرّج عليه المادحون في المدائح النبوية؛ فقد يتناول الشاعر إحداها، أو بعضًا منها، أو معظمها، وهم في ذلك لهم سَنَنٌ يتبعونها في أجزاء القصيدة مُفْتَتَحًا، وقلبًا، ومختَتَمًا، على تفاوت أساليبهم وتغاير الأقاليم، وامتداد العصور، واختلاف أنماط القصائد، فكلُّهم (البسيط):

ذاقوا من الحُبِّ راحًا بالنُّهَى مُزِجَتْ
فأدركوا الصَّحْوَ في حالاتِ سُكْرِهِمِ

وذا وما قد ذُكِر، غيضٌ من فيض، وقُلٌّ من كُلٍّ، إذ يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن الدراريِّ ما لاح بالأفق، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ بما حَبَّرْتُهُ وَوَشَّيْتُهُ نيلَ القَبول، والظَّفَرَ بحسن الختام وبركَةِ الوصول، وذاك عُمْدَةُ الطلب وزُبْدَةُ الحَلَب.

يا سيدي يا رسول الله:

قلَّتُ ما قلتَ ولولا فيضكمْ
مدَّني في مدحكمْ ما قلتُ شيْ

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المعجم التاريخي للغة العربية

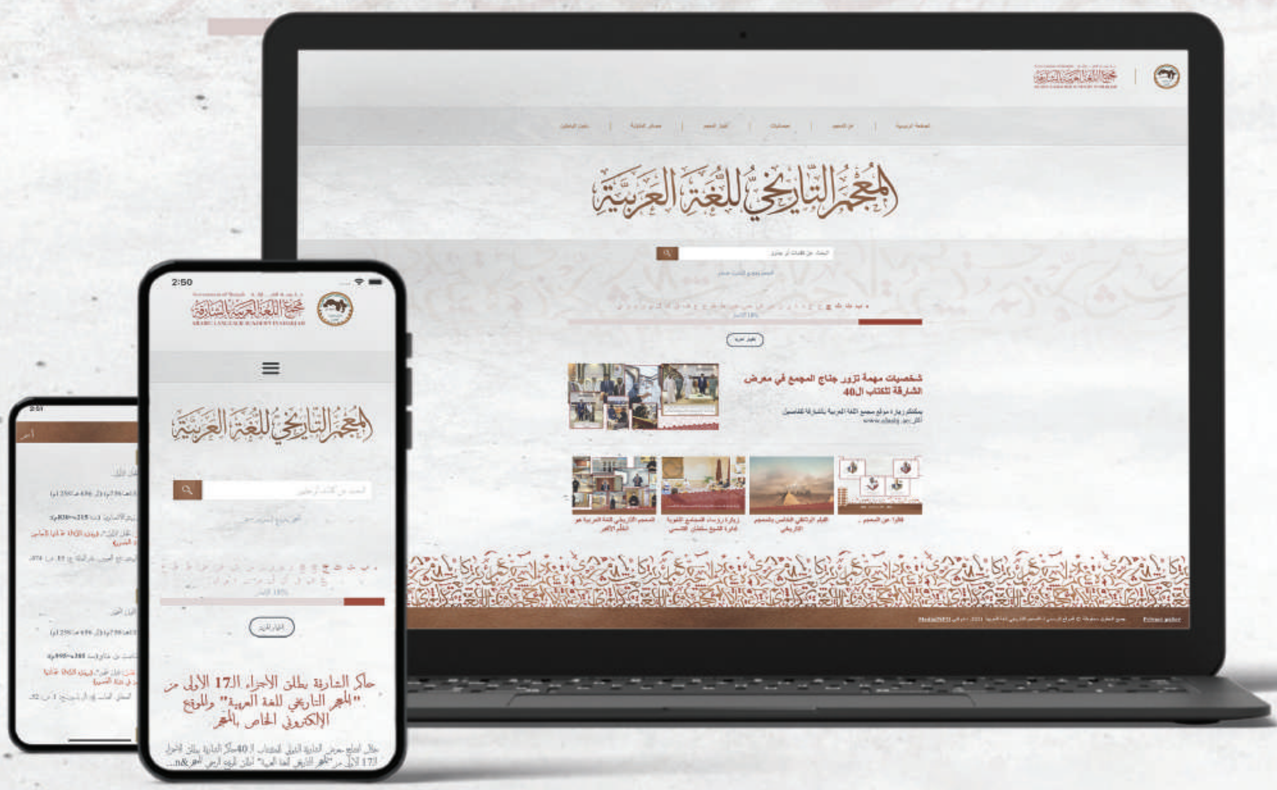

Download on App Store

GET IT ON Google Play

EXPLORE IT ON AppGallery

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

إصدارات مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

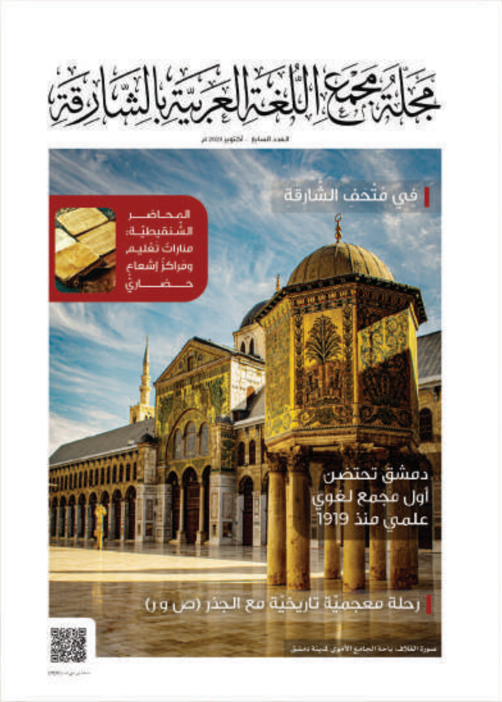

المدينة الجامعية – الشارقة –الإمارات العربية المتحدة | مبنى مجمع اللغة العربية | الدور الأول
هاتف: 400 60 51 6 971+ | فاكس: 410 60 51 6 971+ | ص.ب: الشارقة: 1973
البريد الإلكتروني:info@alashj.ae | الموقع الإلكتروني: www.alashj.ae

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة
ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

الإعلان عن التّرشح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللغويّة والمعجميّة

الدورة السّابعة 2024م

جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمُعجميّة
Sharjah Linguistic and Lexical Studies Award

يُعلنُ مجمع اللغة العربية بالشارقة عن فتح باب الترشح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّابعة 2024م بتقديم بحوث منشورة لها رقم نشر دوليّ في محورين رئيسين ومُحدّدين، هما:

المحور الأوّل: الدّراسات اللغويّة:

كتب تحقيق التّراث اللّغويّ.

المحور الثّاني: الدّراسات المعجميّة:

المعاجم المختصّة في العلوم الإنسانيّة والشّرعيّة.

تُمنح الجائزة لأربعة فائزين: اثنين في الدّراسات اللغوية واثنين في الدراسات المعجمية:

الجائزة الأولى: 30 ألف دولار
الجائزة الثّانية: 20 ألف دولار

لمزيد من المعلومات يُرجى الدخول على موقع الجائزة:

shj-arabic-award.shj.ae